

دراسات أندلسية مورييسكية إسبانية

عنوان الكتاب
دراسات أندلسية مورييسكية إسبانية

تأليف
د. عدنان خلف سرهيد الدراجي

التنفيذ الفني الإلكتروني
نمير صابر خليف

الناشر: بيت الحكمة / بغداد - العراق
جميع حقوق النشر محفوظة للناشر



بيت الحكمة - العراق - بغداد - باب المعظم - ص.ب. (٥٣٦٤٠) مكتب بريد الأقصى

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق (٦٩٨) لسنة ٢٠٢٠

E-Mail: baytal_hikma@yahoo.com

Info@baytalhikma.iq

دراسات أندلسية موريكية إسبانية

د. عدنان خلف سرهيد الدراجي

٢٠٢٠م

١٤٤٠هـ

الفهرست

المقدمة.....	٧
الباب الاول: دراسات في التراث الديني الموريسكي.....	١١
الفصل الأول: الامام علي بن أبي طالب (ع) عند الموريسكيين.....	١٣
المقدمة	١٤
اولاً:- الموريسكيون	١٦
ثانياً - مغازي الرسول محمد (ﷺ) في الفكر الموريسكي.....	٢١
ثالثاً:- الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بطل مغازي الموريسكيين :-	٢٢
رابعاً:- الامام علي (عليه السلام) و سانتياغو	٢٣
خامساً:- صورة الامام علي (عليه السلام) في المغازي	٢٤
الفصل الثاني: أهل البيت (عليهم السلام) في الاستشراق الاسباني.....	٦١
المقدمة	٦٢
اولاً: الاستشراق الاسباني	٦٢
ثانياً: المستشرق مارمول كاربخال (١٥٢٠-١٦٠٠م).....	٦٤
ثالثاً: اهل البيت في مؤلفات مارمول	٦٦
الفصل الثالث: المنقذ في الفكر الموريسكي	٩٣
اولاً: المنقذ عند الموريسكيين.....	٩٤
ثانياً: النبوة وفكرة المنقذ عند الاسبان	١٠٥
ثالثاً: المنقذ الإسلامي	١١٠
رابعاً: أصحاب المنقذ	١١١
خامساً: وقت الظهور للمنقذ	١١٢
الفصل الرابع: التقية عند الموريسكيين .. دراسة تأصيلية تاريخية.....	١٢٥
المستخلص:.....	١٢٦
اولاً: تعريف التقية	١٢٦
ثانياً: التقية في التاريخ	١٢٧
ثالثاً: التقية في المذاهب الاسلامية	١٢٨
رابعاً:- التقية عند الموريسكيين:	١٣٠
خامساً:- المسوغ الشرعي لاعتناق التقية عند الموريسكيين.....	١٣١
سادساً:- محاكم التفتيش ومرسوم الطرد	١٣٣
سابعاً:- التقية أسلوب الدين السري للموريسكيين	١٣٦
الفصل الخامس: النبوة في الفكر الموريسكي	١٥٣
أولاً: النبوة الموريسكية	١٥٦
ثانياً:- دوافع الموريسكيين للالتجاء الى النبوة	١٥٨
ثالثاً:- النبوة المسيحية	١٥٩

الباب الثاني: دراسات في الحضارة الاندلسية الموريسكية..... ١٦٣

الفصل الأول: المسلمون الموريسكيون في رحلة مونزر ١٤٩٤ - ١٤٩٥م..... ١٦٥

١٦٦	مقدمة
١٦٧	أولاً: الحياة الاجتماعية
١٧٤	ثانياً: تجمعاتهم السكانية
١٧٩	ثالثاً: حياة المسلمين الدينية ومساجدهم
١٨٤	رابعاً: النشاط الاقتصادي
١٨٦	خامساً: الجانب العمراني
١٨٨	سادساً: الأحوال السياسية

الفصل الثاني: الطب في الأندلس من خلال وثيقة مخطوطة .. دراسة وتحقيق..... ٢٠٣

٢٠٥	المقدمة
٢٠٥	أولاً: - أهم الأطباء الذين ظهرُوا في الأندلس:
٢٠٦	ثانياً: - المؤلفات التي ألفت في مجال الطب :
٢٠٧	ثالثاً: - الشروط التي يجب توفرها في الطبيب
٢٠٧	رابعاً: صفات الطبيب
٢٠٧	خامساً: - البيمارستانات في الأندلس
٢٠٨	سادساً: - الطب عند المسلمين واثره على أوروبا
٢٠٩	سابعاً: - قراءة في الوثيقة المخطوطة
٢١٣	ثامناً: - تحقيق نص الوثيقة

الفصل الثالث: وثائق أندلسية .. دراسة وتحقيق..... ٢٢٥

٢٢٦	المقدمة:
٢٣٠	الوثائق
٢٣٠	الوثيقة الاولى
٢٣١	الوثيقة الثانية:
٢٣٣	الوثيقة الثالثة:
٢٣٥	الوثيقة الرابعة:
٢٣٧	الوثيقة الخامسة
٢٣٨	الوثيقة السادسة
٢٣٩	الوثيقة السابعة
٢٤١	الوثيقة الثامنة

الفصل الرابع: الاعياد والأزياء الاسبانية وصداها في المجتمع الاندلسي..... ٢٤٩

٢٤٩	المقدمة
٢٥٠	المحور الاول: قنوات الاتصال بين العرب واسبانيا
٢٥٣	ثانياً: - احتفال المسلمون باعياد النصارى
٢٥٥	ثالثاً: - ازياء النصارى واثرها على المسلمين

المقدمة

الحمد لله الذي دَلَعَ لِسَانَ الصَّبَاحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ، وَسَرَّحَ قِطْعَ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ بِغِيَاهِبِ تَلَجُّجِهِ، وَأَتَقَنَ صُنْعَ الْفَلَكَ الدَّوَّارِ فِي مَقَادِيرِ تَبَرُّجِهِ، وَشَعَّشَعَ ضِيَاءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَأَجُّجِهِ وَأَفْضَلَ الصَّلَاةَ وَأَزَكَّى التَّسْلِيمَ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، حَبِيبِ إِلَهِ الْعَالَمِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَالرَّسُولِ الْكَرِيمِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهَرِينَ، وَأَصْحَابِهِ الْمُتَتَجِبِينَ الْمُؤْمِنِينَ، الْآخِيَارِ. وَبَعْدَ

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْشَعْرُ بِالْفَخْرِ عِنْدَمَا يَتَجَوَّلَ فِي الْمَكْتَبَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، الَّتِي سَطَّرَهَا عُلَمَاؤُنَا الْأَفْذَادُ، وَجَمَعُوا فِيهَا كُلَّ أَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ، الَّتِي أَصْبَحَتْ فِي مَا بَعْدَ، مَنَاراً يُهْتَدَى بِنُورِهَا السَّائِرُونَ نَحْوَ طَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى غَدَتْ تِلْكَ الْمَكْتَبَاتُ وَاحِدَةً مِنْ أَعْظَمِ مَفَاخِرِ الدُّنْيَا فَهِيَ مَعِينٌ لَا يَنْصَبُ، لِكُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ، تَمْنَحُ كُلَّ بَاحِثٍ مِنْ سِحْرِهَا الْمِعْطَاءَ .

وَقَدْ كَانَ الْبَاحِثُ وَاحِداً مِنْ هَؤُلَاءِ، الَّذِينَ ارْتَادُوا هَذَا التَّرَاثُ الْجَمُّ، مُحَاوِلِينَ التَّعَرُّفَ عَلَى مَاضِي الْأُمَّةِ الْمَجِيدِ. إِذْ كَانَ الْفَتْحُ الْعَرَبِيُّ الْإِسْلَامِيُّ لِإِسْبَانِيَا، حَدَثًا حَضَارِيًّا كَبِيرًا، إِذْ امْتَزَجَتْ فِيهِ حَضَارَاتٌ سَابِقَةٌ، مِنْهَا الرُّومَانِيَّةُ وَالْقُوطِيَّةُ، مَعَ حَضَارَةٍ جَدِيدَةٍ لَاحِقَةٍ هِيَ الْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ. فَلَمْ يَكُنْ الْعَرَبُ يَفْتَحُونَ إِسْبَانِيَا، حَتَّى قَامُوا بِنِيبَاءِ الْمَجْتَمَعِ، بِمَا مَلَكُوهُ مِنْ حَضَارَةٍ وَرَقِيٍّ إِنَّ هَذَا التَّنَوُّعَ الْبَشَرِيَّ، صَاحِبُهُ تَنَوُّعٌ فِي التِّيَّارَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، وَكَانَ انْتِقَالُ التَّأَثُّرَاتِ الْحَضَارِيَّةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ فِي غَايَةِ السَّهُولَةِ ، إِذْ تُعَدُّ الْحَضَارَةُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ مَشْعَلٌ وَقَادًا أَنْارَ ظُلْمَةِ أَرْوَبَا فِي الْقُرُونِ الَّتِي سَبَقَتْ عَصْرَ النُّهْضَةِ الْأَوْرُوبِيَّةِ، فَقَدْ كَانَتْ قَرِيبَةً قَبْلَةً وَمَحْجٍ طَالِبِي الْعِلْمِ الْأَوْرُوبِيِّينَ مِنْ عُلُومِ الْمُسْلِمِينَ وَيَتَزَوَّدُوا مِنْ مَنَاهِلِ مَعْرِفَتِهِمْ لِيَرْجِعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ حَامِلِينَ فَضْلَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنْارَةٍ مَا أَظْلَمَ مِنْ حَيَاتِهِمْ.

وَشَهِدَ لِلْأَنْدَلُسِيِّينَ مَوْلَفَاتِهِمْ فِي مَخْتَلَفِ الْعُلُومِ الَّتِي تَرَجَّمَتْ إِلَى لُغَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ كَانَتْ لَهَا الْفَضْلُ فِي التَّأْسِيسِ لِعَصْرِ النُّهْضَةِ الْأَوْرُوبِيَّةِ. وَلَمْ يَحْفَظِ الْغَرْبُ لِأَسِيَا الْإِسْبَانِ هَذَا الْفَضْلَ لِلْعَرَبِ أَذْ تَنَكَّرُوا لَهُ بَعْدَ سَقُوطِ غَرْنَاطَةِ وَاخْذُوا بِطَارِدُونَ وَيَقْتُلُونَ الْمُسْلِمِينَ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ وَمَدْرٍ وَابْنٍ حَلَوْا وَارْتَحَلُوا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، الَّتِي لَمْ يَخْلَوْا شَبْرًا وَاحِدًا مِنْ بَصَائِتِهِمُ الْحَضَارِيَّةِ فِيهَا،

وَكَانَ دَوْرُ الْمُؤَلِّفِ هُنَا إِبْرَازَ بَعْضِ مَعَالِمِ ذَلِكَ الْإِرْثِ الْحَضَارِيِّ لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْعَالَمِ مِنْ خِلَالِ تَسْلِيْطِ الضُّوْءِ عَلَى بَعْضِ الْجَوَانِبِ التَّارِيخِيَّةِ لَهُمْ، مِنْ خِلَالِ عِدَّةِ بَحْثٍ جُمِعَتْ تَحْتَ مَسْمًى (دِرَاسَاتُ أَنْدَلُسِيَّةٍ مُورِيسْكِيَّةٍ إِسْبَانِيَّةٍ) مُسَاهِمَةً مِنْهُ فِي نَشْرِ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَعْلُومَةِ التَّارِيخِيَّةِ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ.

وتأتي أهمية تلك البحوث في ان أغلبها أستخرج من مخطوطات ووثائق تنشر لأول مرة، حصل عليها المؤلف أثناء أقامته في اسبانيا، وكذلك من معلومات نادرة نشرت لأول مرة عن مخطوطات في اسبانيا نشرها بعض من رجع اليها وحقق بعض محتواها أو كلها. لذلك فهي تعد معلومات قيمة ليطلع عليها الباحثون المهتمون بتلك الدراسات.

وتوزعت الدراسة على باين تناول **الباب الاول التراث الديني عند الموريسكيين**، وشمل عدة بحوث وزعت على شكل فصول، يتصدرها

الفصل الاول بحث عن الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند الموريسكيين، الذي يلقي الضوء لأول مرة على شخصيته (عليه السلام) في تصور الموريسكيين والاشادة والاعجاب والتقدیس لتلك الشخصية التي قامت على كاهلها دولة الاسلام في عهد الرسول محمد (ص) وشعورهم بالفخر والاعتزاز بهذه الشخصية التي انطوت على شجاعة اسطورية سخرتها لخدمة الدين الاسلامي، لتحفز ابنائها للدفاع عن وجودهم في الاندلس، وقد حفلت تلك المخطوطات بزهو الانتماء للأمام (عليه السلام).

اما الفصل الثاني فهي دراسة تاريخية عن أهل البيت (عليهم السلام) في الاستشراق الاسباني واخذت مارمول كاربخال المستشرق الاسباني أنموذجاً للدراسة اذ تناولت مؤلفاته وما حوته من ذكر لهم (عليهم السلام) في مؤلفاته. لتعطي صورة للقارى لما يحمله المستشرقون من مواقف تجاه الرسول (ص) وأهل البيت (عليهم السلام).

وتناول **الفصل الثالث فكرة المنقذ في الفكر الموريسكي** وما يعتقد الموريسكيون في هذه القضية، ومن ملابسات شائكة واعتقادات تحوم حول هذا الموضوع ومدى قناعتهم في تلك العقيدة. **اما الفصل الرابع فيتحدث عن التقية عند الموريسكية**، وما المسوغ الشرعي لاعتناقهم لهذا المبدأ الغريب عنهم، لاسيما وهم يدينون بالمذهب المالكي، والدواعي التي اضطرهم لذلك، من محن ومصائب وعذاب جره عليهم محاكم التفتيش، وتصريح بعض الفقهاء لهم بالتقية.

وعقد **الفصل الخامس فكرته للحديث عن النبوة في الفكر الموريسكي**، ودوافعهم لالتجاء الى النبوة، وما تعلق بذهنهم من تراث اسلامي لتلك النبوءات التي حفل بها التاريخ الاسلامي، ثم أخذ فكرة عن النبوة المسيحية، ومدى تأثر كل منهما بالآخر. هذا كل ما يتعلق بالباب الاول وما احتواه من فصول.

أما الباب الثاني فهو يتناول: دراسات في الحضارة الأندلسية الموريسكية

والتي انصبت على الاهتمام ببعض الجوانب الحضاري مستخرجة من مخطوطات مهمة تعكس بعض جوانب الحياة التي يعيشها الأندلسيون والموريسكيون، لذلك تناول هذا الباب عدة فصول منها ما تم تناوله في

الفصل الاول المسلمون الموريسكيون في رحلة مونزر ١٤٩٤ - ١٤٩٥ م

اذ تعد هذه الرحلة من الوثائق النادرة التي نقلت لنا الحياة التي عاشها الموريسكيون في غرناطة وفي اسبانيا بوجه عام، بعد سقوط الأندلس بستين او ثلاثة، وتأتي أهمية هذه الرحلة، نظر لسكوت المصادر الاسلامية عن طبيعة حياة الموريسكيون في هذا الوقت، وقد بينت الرحلة حياتهم الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، واماكن تجمعهم ونشاطاتهم.

اما الفصل الثاني فقد تناول الطب في الأندلس من خلال وثيقة مخطوطة

ويعد هذا الفصل دراسة ميدانية للطب في الأندلس، اذ انه يكشف عن الإجراءات والاحترازاات التي يقوم بها من يشرف على مهنة الطب في ذلك الوقت، من اختبارات وشهود عيان عن مهارة وحذاقة الاطباء وما اشتهر عنهم من علاجات للأمراض التي عالجوها وغيرها مما هو موضح في البحث. كل هذه الدراسة عن الطب هو من خلال وثيقة مخطوطة توثق الامور المذكورة في اعلاه، حصل عليها المؤلف من احدى ودائع المخطوطات في غرناطة .

واما الفصل الثالث فقد درس فيه المؤلف وثائق أندلسية بالدراسة والتحقيق

وهي تنتمي للحقبة الاخيرة من تواجد المسلمين الأندلسيين في شبه جزيرة ايبيريا، والوثائق عبارة عن خليط منوع من المواضيع تتراوح بين بيع وشراء ووثيقة عن تبادل مودة بين مسلم ونصراني اسباني، وهي تعكس - في بعض جوانبها- الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها سلطنة غرناطة في ذلك الوقت، والوثائق عبارة عن وثائق مخطوطة كتبت في تلك الفترة ارفق المؤلف نماذج لها مع البحث.

واما الفصل الرابع والاخير من هذا الباب فقد درس الاعياد والأزياء الاسبانية وصداها في المجتمع الأندلسي

وتناول اهم طرق الاتصال بين للإسبان والمسلمين، ثم الاعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية عند الاسبان، ومدى تأثيرها بالمجتمع الاسلامي، فضلا عن ازياء الاسبان التي أعجب بها العرب ولبسها عامتهم وخاصتهم. كل هذا كان دليلا على مدى الاتصال الوثيق بين تلك الامم التي جمعتها

جغرافية واحدة.

وليس لي في النهاية من القول، إلا إنني قدمت ما استطعت من جهد، ليكون هذه الكتاب على ما هو عليه الآن، ولكنني لا ادعي فيه الكمال أو التمام، بل هو عمل متواضع أضعه بين يدي القراء الكرام، راجياً من الله إن يغفر لي ما وقع فيه من خطأ، أو نسيان فهذه من صفات البشر.

والله الموفق للصواب ...

المؤلف

بغداد/ ٢٠١٩م

الباب الاول:

دراسات في التراث الديني الموريسكي

- الفصل الاول: الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند الموريسكيين
- الفصل الثاني: أهل البيت (عليهم السلام) في الاستشراق الاسباني
مارمول كاربخال إنموذجاً (١٥٢٠ - ١٦٠٠م)
- الفصل الثالث: المنقذ في الفكر الموريسكي
- الفصل الرابع: التقية عند الموريسكيين
- الفصل الخامس: النبوءة في الفكر الموريسكي

الفصل الأول: الامام علي بن أبي طالب (ع) عند المورييسكيين

المستخلص:

يمثل تاريخ الامام علي (عليه السلام) في كل مفاصله انموذجا للشجاعة والتقوى، فضرب به المثل وطار صيته شرقا وغربا فكانت ملوك الروم والافرنج تضع صورته (عليه السلام) حاملا لسيفه في بيوت عبادتها، وكذلك ملوك الترك والديلم فكانوا يضعون صورته (عليه السلام) على سيوفهم، كانهم يتفاءلون به للنصر والظفر في الحرب، فحمل المورييسكيون تلك الصورة له وانطلقوا يحفزون ابناء جلدتهم من اجل استنهاض همهم في استذكار تاريخهم المشرق بالاتكاء على تاريخ الامام (عليه السلام) لكي ينهضوا بتاريخهم وتاريخهم المجيد.

Abstract

Represents the history of Imam Ali (peace be upon him) in all his joints a model of courage and piety, smote him ideals and flew to fame east and west were the kings of the Romans and the Frank put his image (peace be upon him) the holder of a sword in worship houses, as well as the kings of the Turks and Daylam And they put his picture (peace be upon him) on swords, as if they Atfaelon him victory and the nail in the war, he carried Almaurickjon that picture him and drove inspire their own people in order to mobilize the hum in the recall history Orient Baltae on the history of the Imam (peace be upon him) in order to Anhzawa on their nations and the glorious history.

المقدمة

الحمد لله وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيد الخلق أجمعين، حبيب إله العالمين، سيدنا محمد النبي الأمين والرسول الكريم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر المتجبين الأخيار.

وبعد فنحن امام شخصية سافر صيتها عبر الزمن في كل حذب وصوب، وساحت شهرتها في الافاق لتنهل من عطائها البشرية جمعاء، لا تحدها حدود دينية او عرقية أو جغرافية، فكان اسمه نبراس يضي طريق البشرية وتهدي بهديه الامم، وانقطعت له الامال فكانت شجاعته مضرب الامثال حتى قيل عنه انه انسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة، تضرب بها الامثال الى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز احد الا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الى الثانية. تلك هي شجاعته التي تلقفها المورييسكيون الذين عاشوا في زمن مظلم، واطبقت عليهم دنيا الاسبان قتلاً وتعذيباً ونفياً حتى ابعدهم عن اصولهم التي انحدروا منها ثقافياً واجتماعياً ودينياً رويداً رويداً، فثاروا انتقاماً لتاريخهم حاضراً ومستقبلاً فانتفظوا امام همجية العصور الوسطى المظلمة التي تمثلت بمحاكم التفتيش وممارسات الاسبان التي فتكت بالبنية الاندلسية المتلاحمة، ومن اجل بث روح الثورة والاتفاض على الواقع المزري الذي يعيشوه استذكروا تاريخهم الاسلامي المشرقي المشرف وبطولات اجدادهم العظام، لحاجتهم الى شخصية تقوائيه تنماز بشجاعته لتكون لهم قدوة لبناء جلدتهم ينهلون من عطائها ليحفزوا ابائهم على الثورة والانتقام من اعدائهم، فكانت شخصية الامام علي بن ابن طالب (عليه السلام) هي الامل المنشود من قبل هؤلاء لما تمتاز به من شروط وافقت ذهنية المورييسكي الذي يبحث عن امل يعيد له مجاده الضائعة بالامس القريب في الاندلس، فقراء المورييسكي واقعه وقارن بينه وبين العصر الذي عاشت به شخصيته المنشودة في المشرق، فانطلق من ضعفه وكثره اعدائه وعدالة قضيته وقساوة اعدائه وبطله المشرقي وضعف امكانياته وكثره اعدائه وعدالة قضيته وقساوة اعدائه وانتصاره فيما بعد رغم تلك الظروف التي لم تسر بصالح بطله المشرقي لكن رغم ذلك فقد انتصر واضهره الله على اعدائه، وضرب به المثل بالشجاعة والاقدام، واحب المورييسكي من خلال هذه المقارنة ان يستحضر شجاعة الامام علي (عليه السلام) نظرا لتشابه الظروف فيما بينهم وان يستنهض همم قومه بتلك الشخصية التي انطلقت وانتصرت بظروف مشابهة لواقعه في الاندلس، والتي كانت محل عنايه الله تعالى وتايده، فبرزت الحاجة الى استحضار موروث الامام علي (عليه السلام) في الشجاعة ليكون قدوة يحتذى بها في الثورة والانتصار، والاستعانة بالامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) من قبل المورييسكيين يثير شي من

الاستغراب، اذ ان الارضيه الاندلسية لم تكن مهياه فكرياً لاحتضان شخصيته كون الاندلس لم تتأثر بالتيارات الموالية للامام (عليه السلام)، اذ انها فتحت في زمن بني امية ومن ثم حُكمت من قبلهم، ومعروف للكثير منا موقف بني امية المعادي للامام (عليه السلام)، لكن تلك الاسباب لم تصمد امام شعور الموريسكي بحاجته لذلك البطل الخالد فاستحضره روحاً يحارب به ويثور به ويحاول ان ينتصر به. وقد حاول الباحث ان يستقصي تاريخ الامام علي (عليه السلام) من خلال مغازي الموريسكيين التي كتبوها وتحليل شخصيته بما تحمله تلك المغازي من تاريخ حافل بهذه الشخصية الفذة، وتأتي اهمية تلك المغازي في استعانتها بالامام (عليه السلام) وفي تلك الفترة المتأخرة من تاريخ المسلمين في اسبانيا رغم تناسيها النسبي ايام حكم المسلمين لشبه جزيرة ايبيريا، والعتور على هكذا نصوص في هذه الفترة المتأخرة هو مكسب تاريخي لهذا الشخصية يضاف الى تاريخها الحافل بالشجاعة رغم بعدها التاريخي كما اسلفنا، وهي بهذا الامر فقد بعثت تاريخ الامام علي (عليه السلام) من جديد في ارض جديدة وجعلت تلك الشخصية المقدسة تُبعث من جديد ليستكمل تاريخه الجهادي في ارض غير ارضه وانا من غير اناسه فينهلون من شجاعته وشخصيته الاسلاميه المرتبطة بالله تعالى، لانه بحسب اعتقادهم كان يظهر في معاركهم يحارب الى جانبهم غيباً مما يعطي زخماً معنوياً لهم امام عدوهم الاسباني النصراني.

اولاً :- الموريسكيون

١- أحوال الموريسكيين بعد سقوط غرناطة :

أنتهت حقبة حكم المسلمين للأندلس بعد ثمانية قرون أستطاعوا فرض سيطرتهم على معظم شبه جزيرة ايبيريا، وختمت بذلك صفحة تشع حضارة في تلك الأرض، وكان آخر المراسيم السياسية تلك المعاهدة التي وقعها الملكان فرناندو وأزابيلا مع ابي عبيد الله الصغير آخر سلاطين غرناطة سنة ٨٩٧هـ-١٤٩٢م، وبموجب تلك المعاهدة^(١) خُفضت كل حقوق الشعب الأندلسي الاقتصادية والاجتماعية والدينية وأضحى بموجبها المواطن الأندلسي يتمتع بحقوقه - الى حين - في ظل حكم أسباني مسيحي كما كان يتمتع بها في ظل الحكم الإسلامي القائم قبل سقوط غرناطة، ألا أن ذلك لم يدم كثيراً أذ تنصّل الإسبان عن وعودهم بعد فترة وجيزة من أبرام المعاهدة وأخذت الضغوط تتزايد على المسلمين وبدأت مضايقات الإسبان لهم في كل نواحي الحياة لاسيما الدينية وأصبح المجتمع الإسلامي يعاني من تلك الضغوطات التي طالت الشعب الأندلسي الذي أصطلح تاريخياً بتسميته بالموريسكيين (Los Moriscos) والمقصود بهذا المصطلح هم المسلمون الذين بقوا تحت حكم الأسبان بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م.

وتمثلت مأساة الموريسكيين بأن فرض عليهم التنصير القسري واجبارهم على ترك دينهم، وحظر عليهم استخدام اللغة العربية، ومنعوا من لباسهم التقليدي وأجبروا على التحدث باللغة القشتالية، وألزموا النساء أن تكشف وجوههن وأن تفتح أبواب البيوت بعد أن جرت العادة على أغلاقها، مما خلق جواً من المعاناة الشديدة في أوساط الناس الغيورة، كما قاموا بحظر استخدام الحمامات التي كانت تشكل لهم وسيلة مهمة للنظافة، وكذلك منعوهم من الموسيقى والأغاني وإقامة الأعياد والاحتفالات والزواج الخاص بهم^(٢).

وسخّرت الكنيسة كل إمكانياتها من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين وأنطلقت محاكم التفتيش تقتل وتحرق وتنفي وتسجن كل من يشك بدينه وحاولت دمجهم وتنصيرهم قسراً بالديانة النصرانية، وأمتازت محاكم التفتيش بأنها أقسى ما لاقته الأنسانية من عذاب على وجه الأرض، فهم كانوا يبتكرون شتى أنواع التعذيب وتفننوا بتعذيب المسلمين بشتى الوسائل، فمثلاً هناك غرف في محاكم التفتيش صغيرة في حجم الإنسان بعضها عمودي وبعضها أفقي، فيبقى سجين الغرفة العمودية بها واقفاً على رجليه مدة سجنه حتى يُقضى عليه، ويبقى السجين في الغرفة الأفقية ممدداً حتى الموت، وتبقى الجثة في السجن حتى تبلى ويسقط اللحم عن العظم، وقد صممت الآت لتكسير

العظام وسحق الجسم، وكان يبدأ بسحق عظام الأرجل ومن ثم عظام الصدر والرأس واليدين، كل ذلك على سبيل التدرج حتى تأتي الآلة على كل جسد فيخرج من الجانب الآخر لها كتلة واحدة. وهناك آلة تسمى بالسيدة الجميلة أو (الرحيمة) وهي عبارة عن تابوت على شكل امرأة مصنوعة على هيئة أستعداد لعناق من ينام فيها وقد برزت من جوانبها عدة سكاكين حادة يطرحون المعذب فوق هذه الصورة ويطبقون عليه باب التابوت بسكاكينه بعنف فتمزق السكاكين جسمه وتقطعه أرباً أرباً^(٣) فضلاً عن حفلات حرق المسلمين احياء، وقد حصدت ماكنة الموت لمحاكم التفتيش عشرات الآلاف من المسلمين وأستمرت في عملها الى أن أحتل الفرنسيون إسبانيا وصدر أمر نابليون ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م بالغائها، ولكنها عادت الى الحياة في عهد فرناندو السابع ملك إسبانيا الذي أحيها سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م، وظلت في عملها حتى سنة ١٢٥١هـ / ١٨٣٤م لما وافق مجلس النواب الإسباني على إلغائها في إسبانيا كلها^(٤).

٢- الحياة الدينية عند المورييسكيين.

بعد تلك الممارسة البشعة من لدن محاكم التفتيش بحق المسلمين دخلت الشعائر الدينية الإسلامية طوراً جديداً، أذ أخذ المسلمون يخفون عقائدهم وأصبحوا يمارسونها بالسر وأظهروا العمل بالتيق في ممارسة العادات الدينية وأضطروا الى ذلك أضطراباً نتيجة لبطش محاكم التفتيش بهم، وكانوا يحافظون على الواجبات متى ما أمكنهم ذلك من صوم، وطهارة، وصدقة وصلاة، وهذه الأخيرة ظلت تؤدي الى وقت متأخر من وجودهم في إسبانيا حيث يمكن أداءها سرّاً دون أن يراهم المسيحيون.

أما أصعب الفروض بالنسبة لهم فهو الحج^(٥) نظراً لصعوبة السفر للبلدان العربية، وفرض عليهم فيما بعد التنصير القسري أو التهجير، وكذلك صدر أمر بأحراق مليون وخمسمائة ألف كتاب ديني بما فيها من الوثائق والمخطوطات التي تتعلق بالدين الإسلامي، وعمد الأسبان الى أخذ الأطفال المسلمين الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٥ - ١٢ سنة يربوهم تربة خاصة في المعاهد المسيحية، ويلقنهم النصرانية، ويزرعون في قلوبهم التعصب المقيت ضد ذويهم المسلمين، وبعد نضوجهم يستعملوهم لإسبان أداة للتجسس على أهلهم. وقاموا بأرسال العديد من الكهان والقساوسة والرهبان الى مملكة غرناطة بالذات بهدف التبشير الديانة النصرانية وعلى المذهب الكاثوليكي^(٦) وهنا وأمام جبروت محاكم التفتيش لجاء المسلمون الى العمل بالتيق وإظهار انهم على دين المسيح (ﷺ) بعد أن تخلوا ظاهرياً عن الإسلام، لكن ذلك لم ينطوي على الإسبان، وقد صرح المطران "جبرو" يصف حال الموريكسيين عام ١٥٦٥م "إنهم خضعوا في الظاهر للتنصير ولكنهم لبثوا كفرة في سرائرهم، وهم يذهبون الى القداس تفادياً للعقاب، ويعملون خفية في أيام الأعياد، ويحتفلون بيوم الجمعة أفضل من

أحتفلهم بيوم الأحد، ويستحمون حتى في شهر ديسمبر، ويقىمون الصلاة خفية، ويقدمون أولادهم للتعديد خضوعاً للقانون ثم يغسلونهم في البيوت لمحو آثار التنصير، ويجرون ختانهم ويطلقون عليهم أسماء عربية، وتذهب عرائسهم الى الكنائس في ثياب أوروبية، فأذا عدن الى البيت استبدلنها بثياب عربية وأحتفلن طبقاً للمراسيم الإسلامية^(٧)، فكانت التقية قارب النجاة الوحيد لهم فعن طريقها كان يمكن لهم أن يعيشوا في دار الحرب، وقد عبر احد الموريسكيين ممن هاجروا الى تونس عن أحوالهم في تلك الفترة قائلاً "لقد أضطهد المسيحيون هذه الأمة الإندلسية، بالسجن والتعذيب والقتل، وقد تحملت كل ذلك بصلاية، وحافظت على الأيمان الحقيقي، وأظهرت شيئاً وأضمرت في سرائها شيئاً آخر وسخرت من الأكاذيب، ومن الفئة الواهنة كما هو معروف"^(٨) وأمام تلك الضغوطات أضطر قسم منهم الى الهجرة وقد ساعدهم على ذلك بعض فتاوى علماء أهل المغرب ومن اشهرها الفتوى المعروفة باسم اسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصرارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من الصعوبات والزواج والتي حثتهم على الهجرة الى دار والأسلام من أجل الحفاظ على دينهم من التهديدات التي أحاطت بهم، فكان جواب فقهاء العدو المغربية قد نص على أن الهجرة من ارض الكفر الى ارض الإسلام فريضة الى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من ارض الحرام والباطل بظلم أو الفتنة^(٩).

لكن القسم الآخر من الموريسكيين أثر البقاء في أسبانيا تمسكاً بارضه وحباً بقوميته وهويته الأندلسية ولم يستطيع أن يمحي ذكرى آباءه وأجداده في هذه الأرض التي عاشوا عليها، ولم تردعهم تلك الفتوى التي حثتهم على الرحيل، فوجدوا - متنفساً لهم في فتوى عرفت ب(فتوى الغرباء) صدرت عن فقهاء العدو المغربية سمحت لهم بالأقامة في أسبانيا، وكان تاريخ صدورها عام ١٥٠٤م فقبلت تلك الفتوى عباداتهم بما ينسجم مع وضعهم الذي كانوا يعيشون به، فلبجأوا الى بعض التغييرات اليسيرة في ممارساتهم الدينية والاجتماعية للتخفي عن عيون محاكم التفتيش في كل مكان.

وتنص الفتوى على معالجات للامور العبادية بما ينسجم مع واقعهم فسمح لهم "بالصلاة ولو بالإيحاء... والزكاة ولو كانت هدية لفقيركم أو رباء.. والغسل من الجنابة ولو عوماً في البحور، وعليكم بالتييم ولو مسحاً بالأيدي للحيطان... وأن أجبروكم على شرب الخمر فأشربوه لابنية أستعماله، وأن كلفوا عليكم خنزيراً فكلوه ناكرين آياه بقلوبكم ومعتقدين بحرمة،... وان قالوا أشتمو محمد فأشتمو ناوين أنه الشيطان، أو محمد اليهود، فكثير عندهم أسمه"^(١٠).

وهذه الفتوى هي برنامج كامل ومبالغ فيه للتقية تجنباً لسخط محاكم التفتيش، وترتب على ذلك "أن ادى بمرور الوقت وبطبيعة الحال الى ضعف الأنشاء الديني وتلونه بأشكال المتغيرات الاجتماعية

الجديدة، وساعدت فتوى الغرباء التي كتب منها عشرات النسخ على إقامة لون من المصالحة بين المورسيكي ومصيره التاريخي المحتوم، وأخذ ميراثه الحضاري الناضج يذبل وينكمش حتى أستحال في نهاية الأمر الى حفنة من الآثار الفولكلورية، والبقايا الأتروبولوجية لشعب أختفى تحت الأرض وخضع لسطوة القهر وأكتفى باضعف الأيوان^(١١).

٣- النبوة الموريسيكية

بعد تلك المحنة التي عاشتها الأمة الموريسيكية أمام سياط الظلم وأنهار الدم بدأت تتوجه الى الثورة والانتقام والرجوع بأيامهم الى أيام المسلمين الأولى وعزتهم، فبدأوا يحفزون أبناء جلدتهم دينياً، وذلك من خلال بعث الأمل فيهم على الثورة، وكانت نهايتهم تلك قد ذكرت كنبوة على لسان صاحب الرسالة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم)^(١٢). أذ أنه ذكر أهل الأندلس وتنبأ بمصيرهم المرعب بعد أن أبتعدوا عن الله تعالى وأوامره وممارسة المحرمات حتى سلط الله عليهم أناس لا يرحمهم يسمونهم سوء العذاب وذكر معاناتهم بالم كبير جدا حتى ان الامهم تلك قد ابكته بكاء مرأ، ثم تخلص النبوة الى الهدف الذي وضعت من أجله وهو أن الله تعالى سوف ينقذهم من شر هؤلاء بارسال مدد الهي متمثلاً بالملائكة. والملفت للنظر وكما سنرى مدى تعلق الموريسكيين بوقت مبكر بالأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، اذ ان تلك النبوة جعلوها تروى على لسانه وهو مرتكز أساسي لما سيدور حوله التاريخ عندهم فيما بعد. وربما كانت هذه الشخصية هي الأمل الذي يجدوا أهل الأندلس في الخلاص، فكان الأمام علي (عليه السلام) حاديهم الى الخلاص وهو مقدمه لما سياتر على هذه الشخصية من بطولات فذة تضاف اليها ليصل بها الحال الى أضفاء ملامح أسطورية على شخصيته باعتبارها الأنموذج المحتذى به اذا ما ارادوا الخلاص من واقعهم المرير.

ونذكر هنا فقرات مقتضبة من النبوة ”بسم الله الرحمن الرحيم في الأثر أن رسول الله كان جالسا ذات يوم بعد صلاة الظهر يتحدث مع الصحابة... رضي الله عنهم اجمعين. وفي هذه اللحظة دخل ابن أبي طالب والزهراء.. رضي الله عنهما.. وجلسا بجانبه وقال له: ”يا رسول الله دلنا على حال أمتك في آخر الزمان فقال لهم ستقوم القيامة عندما يكون الناس أشرا را، وسيكون هناك جيل من أهلي (أمتي) في آخر بلاد الغرب في مكان يسمى جزيرة الأندلس، وسيكون هؤلاء آخر من يسكنها من أمتي وسيكونون آخر الناس يرحمهم الله في ذلك الوقت، قال ذلك وأمتأت عيناه بالدموع ثم قال هم المتطهرون المكرمون هم الذين يدمرون أنفسهم... وسيكون ذلك سبب نسيان أهل الأندلس لأمر الدين وأتباعهم لأهوائهم وحبهم للدنيا وترك الصلاة ومنع الزكاة وحب الشهوات“^(١٣).

ثم تأخذ النبوة بذكر الصفات الذميمة التي عابها عليهم الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ومنها نسيان "أهل الأندلس لأموال الدين وأشاعهم لأهوائهم وحبهم الدنيا وترك الصلاة ومنع الزكاة وحب الشهوات والقتل"^(١٤). وتستمر النبوة تلصق كل ما هو سلبي بالأندلس لذلك وبحسب قول الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في هذه النبوة المزعومة خسرو الأندلس وحل بينهم الدمار والقتل والتخريب وسبيت نسائهم وقتلت رجالهم وأتيحت أطفالهم وصودرت أموالهم. وهذه الأفعال هي عقوبة لهم من الله تعالى أذ تذكر النبوة أن الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) قال "أن الله سيرسل عليهم بسبب أفعالهم حكماً قساة وأشراً يأخذون أموالهم دون حق، ويدخلونهم في دينهم ويجعلونهم يعبدون الأصنام معهم ويأكلون الخنزير معهم ويستخدمونهم في أعمالهم ويعذبونهم حتى يجعلونهم يخرجون اللبن الذي رضعوه من أطراف أظافرهم، وسيرون الظلم في ذلك الوقت لدرجة أن أحدهم سيمر على القبر الذي يدفن فيه أخيه أو صديقه ويقول ليتني كنت معك سيستمرون على ذلك إلى أن يفقدوا الأمل في الموت على دين الرحمة"^(١٥).

وبعد ذلك تأتي النبوة لتبعث الأمل من جديد في روح هؤلاء المنكوبين الذين بكى عليهم الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بحرقة ليأتي التعزيز الألهي والمدد الغيبي، بعد أن أراهم الله عاقبة أمورهم لذلك فقد لاح أمل في النبوة بقولها على لسان الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) قائلاً "في ذلك الوقت ستثور الملائكة في السماء وسيذهبون جماعة ليسجدوا لله وليقولوا أن أناساً من أمة حبيبك ورسولك محمد يحرقون في النار وأنت القوي المنتقم هنا يرسل الله القوى من يجندهم ويخرجهم من هذا الكرب العظيم، هنا بكى على.. رض الله عنه.. وقال له في أي عام سيرسل الله النجدة ويسر قلوب المكروبة، أجب: يا علي سيكون ذلك في جزيرة الأندلس عندما تكون بداية العام يوم سبت"^(١٦) وقد جعلت النبوة الوقت غير معلوم لنهاية المأساة، وربما أرادت لهم أن لا يفقدوا الأمل ويقننوا على أمل متجدد بعد كل نكبة فتتجدد آمالهم دائماً في الخلاص.

هذا عرض موجز لبعض نبوءاتهم أو أحاديثهم التي وضعت على لسان الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لتحفز الهمم وتبعث الأمل من أجل إيقاظ ثورة الشعب الأندلسي، وربما يكون من غير المصادفة أن يكون الراوي هو الإمام علي (عليه السلام) الأمل البعيد القريب الذي تعلق ببطولاته المورسيكيون الذين سيتخذونه مشعل لهم في ثورتهم ضد الأسبان.

ثانياً - مغازي الرسول محمد (ﷺ) في الفكر الموريسكي

عُنت المغازي بتدوين حياة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والأهتمام بتفاصيل حياته ابتداءً منذ ولادته وحتى وفاته وربما تجاوزها في بعض الأحيان الى تاريخ عائلته مركز بصورة خاصة على معارك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التي خاضها في سبيل الدفاع عن العقيدة ونشر الدين الإسلامي.

واما المغازي الموريسكية فهي "مجموعة من روايات الفروسية الملحمية التي تتسم بالطابع التراثي التقليدي وتحفل بالخوارق العجيبة، حيث تحكي قصة الغزوات الأولى في الإسلام" ^(١٧) وتدور "أحداثها بين الواقع التاريخي والخيال الفني وقد كتبت في القرن السادس عشر باللغة القشتالية -أي الإسبانية- المرسومة بالحروف العربية على الطريقة المميزة للأدب الاعجمي - الأخمياو- وتبدو فيها مجموعة من الخواص اللغوية المعروفة في تاريخ اللغة الأسبانية إبان القرن السادس عشر الذي تعود اليه المخطوطات. وان كان ذلك بطبيعة الامر لا ينفي الأمتداد التاريخي القديم لهذه الروايات قبل تسجيلها، عن طريق التداول الشفاهي بين الناس أولاً خلال آماذ طويلة شأن الآداب الشعبية الجماعية، قبل ان يتم تثبيتها بهذه الطريقة التي أختص بها الموريسكيون" ^(١٨). وهي "كنموذج للأدب الموريسكي المكتوب بالأخمياو... وهي مجموعة من قصص الفروسية تحكي بطولات حدثت في صدر الإسلام، وفي هذه القصص يبدو المسلمون كأبطال أسطوريون يحققون النصر دائماً، ولا شك في أن الموريسكيين - الذين كانوا يشعرون دوماً بأنهم جزء من العالم الإسلامي - كانوا ينتشون بتذكر هذه الانتصارات ويعتزون بها في زمن تعرضوا هم فيه للمحن، ورغم أن هذه القصص ترتدي ثوب الفروسية وتتضمن أحداثاً عجيبة ألا أن بعض الأحداث التي ترويها حقيقية. (في خطها العالم دون الخوض بالتفاصيل التي تجنح الى المبالغة أحياناً)" ^(١٩). وتتألف "هذه القطعة الأدبية الفريدة في مخطوط تحمل الرقم ٥٣٣٧ بالمكتبة القومية بمدريد، مكتوبة بالخط المغربي المميز بالقرن السادس عشر، وتتكون من ١٤٨ ورقة مجلدة بالرق وقد كتبت بعض العناوين والآيات القرآنية فيها بالمداد الأحمر. بالإضافة لهذا المخطوط هناك مخطوطان آخران يتضمنان بعض الروايات الواردة في كتاب المغازي أحدهما يحتوي على حكاية وراء الحجرات والآخر يحتوي على معركتي بدر وحنين وأن كتبت تحت عنوان قصة فتح بيت مكة المكرمة وكلا المخطوطتين في مجموعة جاينانجوس التي تملكها الآن الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد، كما يضاف الى هذه القصص أيضاً قصتان يدوران حول نفس الموضوعات، هما حديث القصر الذهبي وحكاية الثعبان مع علي بن أبي طالب، وبضمنها مخطوط رقم ٣٢٢٦ بمكتبة القصر الملكي بمدريد أما حكاية علي بن أبي طالب والاربعة فتاة فهي ملحقة بمجموعة جاينا نجوس المشار إليها من قبل" ^(٢٠).

تمثل تلك القصص ما يدور من تصور عند الموريسكيين حول مغازي الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حسب ما وصلت اليهم في ذلك الوقت رغم ما يدور حولها من مجانبة للواقع وخروجها عن مغازي المشرق التي كتبت بدقة وأن لم تخلوها هي أيضاً من الدس والتلفيق، ألا أن الملاحظ على مغازي الموريسكيين هو أصطبغها بالصبغة الاسطورية كما هو واضح من خلال ما سنورده.

ثالثاً:- الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بطل مغازي الموريسكيين :-

كان للأمام علي (عليه السلام) الحضور البارز في هذه المغازي حتى وصل الأمر أن أسندت اليه دور البطولة الأساسي فيها. فكان البطل الذي تدور عليه تلك القصص ومحور الحروب ومنفذ المسلمين، عُرف عنه (عليه السلام) شجاعته الكبيرة ودفاعه المستميت عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) والدين الإسلامي، لذلك حفظ الموريسكيون هذه المكانة للأمام علي (عليه السلام) وعندما كتبوا مغازيهم جعلوه لولب تلك البطولة "ورغم ان كتب السيرة تنسب الى الأمام علي بن أبي طالب شمائل كثيرة كالتواضع والعلم والتقوى، إلا ان الموريسكيون كانوا يبرزون شجاعته بشكل خاص"^(٢١). وإبراز شجاعته من قبل الموريسكيين كان ضرورة لما تقتضيه المرحلة التي يمرون بها فكان استذكار شجاعة الأمام علي (عليه السلام) وبطولاته يحفز بهم روح الثورة للبقاء، وكنموذج لما كان يدور حول شجاعته في مخطوطاتهم، فقد ذكر الدكتور غاليمس دى فويتيس هذه الصورة لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) استناداً الى المخطوطات بقوله " كانت شجاعته منقطعة النظير، حتى أنه وهو يمتطي جواده كان يساوي ألفين من الفرسان، وكانت قوته خارقة، فكان يقسم فارساً وحصانه الى نصفين بضربة واحدة... وفي بعض الأحيان كان علي (عليه السلام) يكر بمفرده على جيش كامل ويفعل به ما تفعل النار في الهشيم"^(٢٢) وتركيز " الموريسكيين على الجانب الأسطوري في بطولات علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالضرورة الخاصة التي كانوا يعيشونها. لقد بذل الموريسكيون كل ما في وسعهم للتخلص من اضطهاد السلطات المسيحية الإسبانية، ولم يعد أمامهم سوى أنتظار معجزة إلهية، وهذا ما يفسر وجود نبوءات موريسكية تتحدث عن قرب أنتصار الإسلام... ويفسر أيضاً الحديث عن معجزات يجريها الله على يد علي بن أبي طالب (عليه السلام)"^(٢٣).

وذكر صاحب المخطوط رقم ٥١٢٠ الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله " واعقبه (في الخلافة) سيدنا علي بن أبي طالب رض الله عنه، زوج السيدة فاطمة رض الله عنها، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان اشجع من عرف من المحاربين، فقد كان يظهر في اية موقعة فحتى ولو كان غائباً في مكان بعيد كان الله يرسله وكان يظهر بين الناس وحقق النصر في كل المعارك "^(٢٤).

والملاحظ على النص اعلاه أنه قد ركز على مسألة ظهور الأمام (عليه السلام) في أي مكان وهي مسألة كانوا قد عولوا عليها الكثير في ثوراتهم والتحفيز لها.

رابعاً:- الأمام علي (عليه السلام) و سانتياغو (٢٥)

شاع بين الأسباب أن القديس يعقوب والمعروف عندهم بسانتياغو يظهر في معاركهم التي يخوضها ضد المسلمين ليقاوم الى جانبهم، وكان هذا الاعتقاد سائداً بينهم ومعروفاً لدى المسلمين، وهناك ملابسات حول العلاقة بين الأمام علي (عليه السلام) و سانتياغو. فشجاعة الأمام علي (عليه السلام) معروفة لدى المسلمين وكان الأمام حاضراً في كل مكان تذكر فيه الشجاعة، لذلك نرى أن صاحب المخطوط ذو الرقم ٥١٢٠ يقول في الأمام علي (عليه السلام) "وهو الذي يظن المسيحيون أنه سانتياغو وهم مخطئون" (٢٦). وهذه الملاحظة مهمة جداً هل اعتقاد المسيحيون بسانتياغو فعلاً أنه الأمام علي (عليه السلام)؟ وما الرابط بين الشخصيتين؟ وهل عرف الإسبان الأمام علي (عليه السلام) وبطولاته بحيث أنهم تأثروا به كما تأثر به المسلمون. الراجع أنهم عرفوا الأمام (عليه السلام) عن طريق المسلمين من خلال ما ورد من قصص حول شجاعته أما شفاهاً أو من خلال مؤلفات المسلمين. أذ أن الإسبان كانوا على دراية تامة بمؤلفات المسلمين وكتبهم، وربما أن الموريسكيين كانوا يهددون المسيحيين بظهور الأمام علي (عليه السلام) ومقاتلتهم اياهم معه، كما فعل اليهود أيام ظهور الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجزيرة العربية عندما كانوا يهددون العرب باقتراب ظهور النبي الموعود وتهديدهم لهم بمقاتلتهم وتحطيمهم أصنامهم.

وهذا الأمر كان يمثل بارقة الأمل بالنسبة للموريسكيين وأعتقداهم بهذا الأمر كان يقيناً، لاسيما ونحن قد رأينا كيف كان يعتقدون بالنبوءات وكيفية أنتظار المدد الألهي بأرسال الملائكة لنصرتهم، أو التعلق بآمال نصرتهم على أيدي العثمانيين وما دار حول هذا الموضوع من نبوءات. المهم أنه كان يدور في خلد الموريسكيين أن الأمام علي (عليه السلام) كان هو الشخص الذي تدور عليه آمال الموريسكيين الغيبية في مساندتهم ضد الأسباب. ومسألة ظهوره ومساعدتهم في الحرب هو أمر شائع في الفكر الموريسكي. ففي هذا المخطوط يشير صاحبه الى ظهور الأمام علي (عليه السلام) واشترائه في المعارك حتى بعد وفاته (٢٧). بقي أن نعرف هل مسألة ظهور الأمام علي (عليه السلام) بعد وفاته هو تأثير مسيحي كما كان يشاع عند الإسبان بظهور سانتياغو في المعارك الى جانب المسيحيين ضد المسلمين. أو هو نابع من تراثهم الإسلامي.

وهنا يشير جمال عبد الرحمن صاحب القراءة في هذا المخطوط الى أن "الحديث عن ظهور علي بن أبي طالب (عليه السلام) واشترائه في المعارك حتى بعد وفاته، بمجرد محاكاة لما كان يزعمه الكاثوليك

الإسبان عن ظهور سانتياغو ليس ألا أثراً إسبانياً مسيحياً” (٢٨).

أن هذا التركيز على شخصية الإمام علي (عليه السلام) هو لما تتمتع به من مؤهلات جعلته محط أعجاب وتقديس من قبل الموريسكيين، إذ أن تلك الشخصية تنطوي على جانبين الأول الشجاعة وهي التي كان ينشدها الموريسكيين، والثاني عنصر القداسة التي تطوق تلك الشخصية، وهذا ما تنطلق منه الشخصية الموريسكية في ثورتها إذ تعد تلك القداسة مكتسبة بفعل ذوبانها بالإسلام، وهو ما تحتاجه الذمنية الموريسكية من أجل مجابهة قداسة النصاري لتقديسهم سانتياغو آنف الذكر. لذلك فقد التجأت الى مغازي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حربه فوجدت خير من يمثل ذلك الطموح هو الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

فعمد الموريسكي وأحاط الإمام علي (عليه السلام) بهالة من التقديس والشجاعة التي وصلت الى حد خروجها الى الأسطورة فيما تناقلته عن الإمام علي (عليه السلام) وشجاعته وسوف ندرس أثره في كل من المعارك التي ذكرتها المغازي.

خامساً:- صورة الامام علي (عليه السلام) في المغازي

١. معركة الأصيد وأهل مكة :-

كان الإمام علي (عليه السلام) في هذه المعركة قطب الرحى فيها لشجاعته فجندل الأبطال وفرق الجيوش وهزم الأعداء وقتلهم. وهي معركة تقرب أحداثها من أحداث معركة أحد إذ خرج أحد أبطال المشركين والذي عدته الرواية بألفي فارس وهو ابن عم الأصيد قائد المشركين من اهل مكة، إذ تقول القصة ” وخرج ابن عمه هذا الذي كان قد تربى في البوادي على لبن الجمال، وكان يحسب على سرجه بألفي فارس، فأتزع سيفه، وأستبدل جواده طلباً للنزال، وانطلق مثل السهم يتقدم الصفوف” (٢٩). وهنا يقتله الإمام علي (عليه السلام) هو وثلاثة من أبناء عمومته خرجوا اليه بعد قتله. ثم يخرج فارس المشركين الذي هو أملهم في المعركة الأصيد بن سلمى فوضع على رأسه ” عصابة صفراء وعصابة حمراء وأنتطق سيفين، واخذ رمحين، ووضع البيضة، وأمتطى صهوة جواده وانطلق صارخاً فاخذ صنماً من ذهب فقبله وسجد له من دون الله” (٣٠). تلك صفات الاصيد اضافها عليه الراوي، وبرز اليه الإمام علي (عليه السلام) وتصارعا كثيراً واخيراً أسره الإمام (عليه السلام). ويأتي به موثقاً الى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم تدخل الأسطورة هنا في هذه المعركة إذ ان أحد المشركين يحاول قتل الإمام علي (عليه السلام) وهنا يدعوا عليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقبل الله دعوته ” وجعله حجراً

صليداً ما زال يقوم الى يوم القيامة” (٣١).

ثم تستعير القصة موقف عمرو بن ورد العامري لما رأت أخيها مجندل ولم يسلب فقالت أنها قتلت شريف، اذ لم يسلبه الأمام علي (عليه السلام) ملابسه ولا سلاحه، غير ان الذي وقف موقف أخت عمرو هنا في هذه المعركة هو والد الاصيد اذ يسأل حول أسر ولده الشجاع قائلاً ”ومن الذي أسره ؟ فقالوا فتى يسمى علي بن أبي طالب (عليه السلام). فقال العجوز : بحق الات والعزى، ومناة الكبرى، لولا أن علي هو الذي اسره لانكرت أبني” (٣٢) فهي في ذلك تتفق مع موقف أخت عمرو اذ ان الأثنان سلماً الى بنبل وكرم وسخاء وشجاعة الأمام علي (عليه السلام) في الحروب.

٢. حكاية الحارث ملك اليمن

تدور أحداث هذه القصة حول محاولة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نشر دينه خارج مكة والمدينة، بحسب الرواية ولا سيما الى اليمن، اذ كان يحكمها آنذاك الحارث بن ابي شمر الغساني، فبعث رسالة مع زيد بن ثابت بعد أن أمتنع المسلمون عن حمل تلك الرسالة لخطورة الموقف، وحملها زيد، فلما وصل الى الملك أظهر الملك الاحترام الى رسول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، الا أن زيد أسمع الملك كلام فيه من القساوة الشي الكثير لم يعتد على سمعة الملوك آنذاك اذ قال له مهدداً عرشه ببطل الابطال علي بن أبي طالب (عليه السلام) ”أيها الملك الخاسر إن موتك محتوم يا مخدوع يا ملعون. وستحشر الى النار لأننا نحن الهلاك الأعظم، نمزق شر ممزق ونبيد الأساطيل ونظهر المعجزات” (٣٣). وهو خطاب وكما هو واضح منه، كأنما اشار فيه زيد الى المغول وليس الأسلام والمسلمين والتسامح الذي يتحلون به بشر دينهم، ثم يدخل مباشرة على خط التهديد وما هيته اذ يقول مهدداً بعدم الاستجابة ”وفينا أسد بني غالب علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وقد أخذ عدته لكم فأعلم انه سيأتي الى أرضك ويجلس مكاناً وسيقضي عليك وعلى قومك ويتنزع ملكك، وسيصير جميع ما تحت يدك الى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)”. (٣٤)

وهذا المقطع يدل على ما كان يعتقد الموريسكيين في مقدرة الأمام علي (عليه السلام) وأعتبره آله للموت ضد كل من لم يستجب لدعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو في نظرهم الفيصل والحل النهائي لكل أزمات المسلمين في الحروب. وبعث ملك اليمن قائداً له يدعى عمرو بن معد يكرب، وبدوره خرج المسلمون اليه خارج المدينة اذ سارو خمسة أيام من المدينة والأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) صاحب الراية اذ دفعها له الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتبدأ المعركة ويلتحلم الجيشان وكان عمرو يعد بالفين فارس حسب الرواية (٣٥).

وتبلغ مكانه الأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الرواية مكانه لم يبلغها أحد من اصحابه أذقورن بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نظر لقوة ومكانة الأمام علي (عليه السلام)، فقال عمرو "يا صحابة محمد، من القائد محمد أم علي؟" (٣٦)، وهو دليل على ثقل شخصيته عند الموريسكيين.

ثم تستخلص الحكاية قصة عمرو بن ود العامري عندما عبر الخندق وعجز الصحابة عن مواجهته سوى الأمام علي (عليه السلام) فيأخذ عمرو بذكر أساء أبطال العرب من صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حسب الحكاية، أذ قال "يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أين قوادك وأبطالك، وابن عمك العباس؟ وابن عمار ابن ياسر؟ وابن الداهية ابن حذيفة؟ وأين سعد ابن أبي وقاص، وأين طلحة الخير، وابن عمر ابن الخطاب؟ وأين عثمان بن عفان؟ (٣٧) ولما تصل الحكاية الى الأمام علي (عليه السلام) نراه يثني على شجاعته قبل أن يراه أذ قال "أين أسد بن غالب علي بن ابي طالب" (٣٨) ولما لم يرد عليه أحد، يخرج له الأمام علي (عليه السلام) بعد ان قال له "يا علي أنت نعمة من الله ضد الأعداء" (٣٩). فلما خرج الأمام علي (عليه السلام) "يتهادى في الميدان قال عمرو، من أي قوم انت، قال علي أنا من مضر، من اطولهم منكبا واشدها اذرعاً، من بني هاشم قال :- ومن انت فيهم؟ قال انا واهب المحن، وقاطع الفيالق، وقاهر الأبطال ممرغ الفرسان في الرغام، أنا اسد بني غالب علي بن أبي طالب" (٤٠) وهذه الصفات ذكرها بحماس صاحب الحكاية على شخصية الأمام (عليه السلام) نظر لما يعتقدون به من شجاعة فائقة أهله لهذه المكانة وتعطي الحكاية مكانة كبيرة لعمرو بن معد يكرب بين اصحابه وذيوخ صيته ليبرز فضل الأمام علي (عليه السلام) في الغلب عليه أذ لم يكن رجلاً سهلاً، وتمكن هذا الفارس وبحسب الرواية من ضرب الأمام علي (عليه السلام) ضربة قوية ردأ منه على ضربته له "فتلقاها علي بدرعه، فشقت الدرع والمفغر وأصابته بجرح بالغ، فترجل علي من فرسه وأخذ قبضة من التراب ووضعها على الجرح، وكذلك عمرو فأخذ قبضة من التراب في جرحه كما فعل علي" (٤١)، وبعد انسحاب الطرفان نرى صاحب الحكاية ينزع اعتراف من عمرو بحق شجاعة الأمام علي (عليه السلام) قائلاً "انه بطل شجاع صنديد، وقائد مغوار كبير، قوي في كل شيء وعلى كل شيء، واللات والعزى لم أر أبداً أشجع منه ومنا" (٤٢) هذا الإطراء من عمرو يدور في خلد الموريسكيين ليصنع من الأمام الانموذج الامثل للشجاعة، وفي أثنا فخر الأمام علي (عليه السلام) مع عمرو بن ود العامري اشار بموقعين انه "انا البطل، انا البتول" (٤٣) و"الم تسمع اني انا البتول واني اسحق الفرسان" (٤٤) ولم أفهم ماذا يقصد صاحب الحكاية بالبتول؟؟ او ربما خان المترجم التعبير فترجمها بهذه الترجمة، وكان رفيق الامام علي (عليه السلام) في شجاعته سيفه ذو الفقار فلا تخلو حكاية من ذكره أو الإشارة اليه.

وكانت خاتمة هذا الشجاع المنقطعة النظير كما تصورها الحكاية ان شوهد "علي [عليه السلام] وهو

يحمل عمراً معلقاً كما لو كان ارنباً في مخالب صقر وهو يقول :- صيد الملوك والعظماء ثعالب وأرانب انا اصطاد الابطال مثل في حلبة النزال، وطرحه امام النبي عليه السلام^(٤٥) وأمر " النبي عليه السلام علي بن أبي طالب [عليه السلام]، ان يقطع رقبتة، فأخذ علي ذو الفقار، وأقترب، وركع عمرو على ركبته ومد عنقه، ورفع علي سيفه ليقطع راسه... فقال النبي لعلي بن أبي طالب :- لا تقطع راسه، وانتظر ثم قال النبي عليه السلام لعمرو :- أنهض وألبس ثيابك، واركب جوادك وأذهب الى رفقاك^(٤٦)." ثم اسلم عمرو بعد ذلك بفضل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واعجابا منه بشجاعة الامام علي (عليه السلام).

٣. معركة خزيمة البارقية والاحوص بن مخاض.

في هذه المعركة برزت مؤثرات الأندلس وأسبانيا بموروثيهما الحضاريين واضحة جداً، أذ يتندي الراوي بحسب ما جاء في أحداثها قائلاً " لما قتل علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خنوخ الهلال هدم قلعة شديدة التحصين. وكان القادة علي وخالد بن الوليد، فأسرعوا بالمسير. ومروا بصحراء ليس فيها انس ولا جن، ولا يسمع فيها إلا زير الأسد^(٤٧) " فملتقي لهذا النص يلاحظ الجو الأسطوري لها، أذ لا قلاع في المعارك التي خاضها علي (عليه السلام) سواء بعض الحصون عند يهود خيبر لا ترتقي الى قلاع الأندلس وأسبانيا بما يفهمه الموريسكي من القلاع، ثم الصحراء المقفرة الخالية من الأنس والجن، عدا زئير الأسد الذي يعيش في الصحراء فضلاً عن هذه الصحراء والذي بالغ الراوي في قساوتها، وبعد ان نزل الجيش ليستريح شاهد الأمام علي (عليه السلام)، غزاً فأخذ يطارده حتى أستدرجه الى مكان بعيد فلما أراد الرجوع لم يقدر لأنه ظل الطريق وتحدث الراوي هنا عن جبال ووادي ومياه. وعادة لا توجد في الصحراء في مثل تلك الماكن، أو ربما أنتهت الصحراء وبدأت جغرافية أخرى مغايرة ووصل الأمام علي (عليه السلام) أرض يقال لها أرض البارقية، والبارقية "هي امرأة عظيمة الشرف مطاعة في بلادها، وكانت فارسة شجاعة ومغورة. وكان لها عبداً يحرس أبلها وشاءها^(٤٨)." وهرب هذا العبد باكياً الى سيدته واخبرها قائلاً :- " يا سيدتي لقد رأيت علي بن ابي طالب في مكان "كذا" من الوادي^(٤٩). ولم تحدثنا الرواية عن كيفية معرفته بالأمام علي (عليه السلام) وهو الذي يسكن هذه البلاد البعيدة جداً. فلما سمعت خزيمة البارقية أسم علي صاحت صيحة شديدة. ثم بعثت الى رجالها وابطالها وقواتها فأجتمعوا وقالوا لها :- " لبيك يا سيدتنا ماذا حدث لك ؟ قالت ايها الناس أخبرني العبد ان علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في الوادي، وانا اريد منكم أن يحظر احدكم علياً أسيراً او قتيلاً وله مني مالي ونفسي^(٥٠)."

وضمّن الراوي هنا لمحة عشق في هذه الملحمة أذ ربما أرادت خزيمة أن تحفّز رجالها عندما عرضت عليهم نفسها كجائزة لمن يقض على الأمام (عليه السلام) أذ اشار الراوي بعد ذلك الى وجود فارس

شجاع اسمه الأحوص بن مخاض، أغرته تلك الجائزة لانه كان مغرم بخذيمة فتوجه مسرعاً بجيشه لمقاتله الإمام علي (عليه السلام) حتى وصل اليه وهو ساجد يصلي لوحده فقال لأصحابه ”لقد ضل الطريق، وهو يسجد لصنمه... ان من يحضره اسيراً أو قتيلاً وهبته جانباً من ممتلكاتي“^(٥١)، فنهض فارس من أصحابه أسمه الأزور بن طارق وذهب ليقتل الإمام (عليه السلام)، هنا يتكلم الراوي عن ملاقاته به، وكيف استطاع الإمام علي (عليه السلام) قتله لكنها قتله لا تخلوا من مكر لم يعرف عنه عند الأمام في كل حروبه، أذ وبحسب الراوي بعد أن طلب الأزور من الأمام (عليه السلام) ان يستسلم يتظاهر الاخير بالرضوخ لرأيه ألا أن الأمام أخذه على حين غرة وقتله شر قتله حتى يتخيل للقاري أن القتل وقع من فوق جبل فنراه يقول ”ومر علي يده، فظن عدو الله أن علياً قد رضى بالأسر، فلما امسك علي بيده أنتزعه من سرجه وفرسه وطرحه على الأرض وهوى عليه بضربة من جنبه طار لها مخه وتناثر أنفه ووجهه وجحظت منها عيناه“^(٥٢).

ثم هجم الاحوص على الإمام علي (عليه السلام) فصاح به حتى ضمن الأحوص أن السماء أنطبقت على الأرض من صوته وآل مصير الأحوص امام الأمام (عليه السلام) كما آل صاحبه من قبل.

نلاحظ أن الصرخة عند الإمام علي (عليه السلام) جعلها الراوي جزء لا يتجزأ من شخصيته، وهي تدل على شجاعته رغم أنها طارئة على شخصيته الواقعية ولا تمت للمسلمين المشاركة بأي صلة بل هي من تراث الإسبان.

ويستدعي الموقف أن تأتي خذيمة بنفسها لمعالجة الموقف ومنازلة الأمام (عليه السلام). وهو امر جديد على المسلمين في المشرق أذ لا يوجد في تاريخ الأمام (عليه السلام) من برز له من النساء، وتقسم خذيمة باللات والعزى أنها سوف تقاتل الأمام علي (عليه السلام)، ونلاحظ ان الذين قاتلهم الأمام علي (عليه السلام) والذين سياقاتلهم كلهم كان قسمهم باللات والعزى هو ما يجعل منه ديناً أشبه بالدين العالمي لسعة أنتشاره وهو خلاف الواقع أذ اشتهرت به على وجه الخصوص العرب في الجزيرة العربية لاسيما في مكة حصراً. أذ كان لكل قبيلة صنمها الخاص بها. وعندئذ خرج لها علي بن أبي طالب (عليه السلام) ”فتقاتلاً ساعة حتى أشتد على غيظاً وصاح بها صيحة مدوية فتراجعت فأختطفتها من فوق سرجه كأنها طائر وطرحتها على الارض ووضع السيف على رقبتها وقال لها :- أسلمي وإن لا قطعت رأسك“^(٥٣) وأسلمت على اثر ذلك.

٤. حديث وراء الحجرات

قصة وراء الحجرات تمثل صفحة غدر بعض القبائل العربية بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته الكرام بعد أن طلبوا من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبعث منهم من يعلمهم القرآن وعبادة الدين الحنيف وهي في اصلها تستند على حقيقة تاريخية مرت بها الدعوة الاسلامية. هنا الراوي يجعل من شخصية الأمام علي (عليه السلام)، شخصية مميزة جداً بين صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن اختار أحد الملوك الذين وفدوا عليه بعض صحابته للغرض اعلاه، وهم على الترتيب أبا بكر وعمر وعثمان (رض) وعلي (عليه السلام) واضح مدى نتاغم من الرواية مع التسلسل التاريخي فيها بعد للخلفاء الراشدين وتسلسلهم الخلافي. ألا أن احد منافقي المدينة يحذره من هذا الاختيار ويمنعه من اختيارهم قائلاً "لأن أبا بكر الصديق رفيقه وأنيسه، وقاضيه ولن يفترق عنه، وعمر بن الخطاب ثالث صحابته، وعثمان بن عفان رابعهم، وأذ حملتم علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حملتم معه النار لكم فيحرق أرضيكم ويمزق جيوشكم" (٥٤).

هذه النظرة التي يحملها الراوي المورييسكي للأمام علي (عليه السلام) في ذهن الصحابة ومدى شجاعته في نفوس اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وأقترح المناق على الملك بأن يأخذ معه "خالد بن الوليد وعمر بن اميه الضمري ومقداد بن الأسود الكندي والزبير بن العوام" (٥٥).

وعند وصول هؤلاء من الأرض بعيدة جداً تبعد عن المدينة مسيرة عشرين يوماً.

- لاحظ الصحابة وايضاً على سبيل اصفاء نوع من القصص الخيالية لاحظوا "نسراً يحط في وسط الطريق... وأخذ النسر يصيح وينقر نفسه ويتنف ريشه، ثم طار في الهواء الى المدينة حتى أختفى من مرمى أبصارهم" (٥٦)، وكانت رسالة فهمها خالد بن الوليد الذي كان أعلمهم بلغة الطيور بحسب الراوي وتلك صفة جعلها الراوي من شمائل خالد بن الوليد لا يوجد لها اصل في الواقع سواء مزيد من أصفاء العظمة على الصحابة فقال "يا صحابة النبي عليه السلام، ان هذا العقاب يطلب منا ويقول لنا أن نرجع الى مدينة النبي لأن هؤلاء الأعداء يريدون خداعنا او تحريقنا" (٥٧)، لكنهم رفضوا العودة معتمدين على شجاعتهم في مواجهة هكذا موقف ويعجب الراوي منهم ويصف شجاعتهم مستعرضاً قوتهم بوصف أقرب الى الخرافة والحكايات الشعبية والأساطير الرومانية أذ عد قوة عمرو بن أمية عشرة آلاف والزبير كذلك عشرة آلاف ومعهم المقدم بنفس العدد وخالد بن الوليد كان يريد أن يقاتل جيش الأعداء بمفرده البالغ تعدادهم ثلاثين ألف وهو على قتالهم لقادر (٥٨)، وفي نهاية المطاف يؤسر هؤلاء عن طرق وضع منوم لهم في اللبن من قبل الملك ويكبلون في الحديد ثم أراد

الملك ان يجري عليهم حفلة حرق كما هو موجود في أسلوب محاكم التفتيش الإسبانية، وهو ما تأثر به الراوي اذ كان يعيش اجواء محاكم التفتيش وأساليبهم في حرق وتعذيب وقتل المسلمين، هنا يأتي الراوي بمحور قصته ويبرزها اذ يرجع الى المنقذ والمؤمل في عليه هذه الظروف الصعبة، والمعول عليه في الشدائد عند الصحابة وهو الأمام علي (عليه السلام)، فيهدد خالد بن الوليد الملك بالأمام علي (عليه السلام) ومتوعداً آياه له اذ قال له ”سترى ايها الملك فارس العرب، من يشد الشدائد وابن عم النبي، سيف الله المسلول على أعدائه، سيبتل صنعك ويحبط سعيك، ويمزق قومك ويشتت أرضك أما نحن فأننا فرحون بما قضاه الله علينا“ (٥٩).

ويستمر الراوي يسرد قصته مخبراً بعد ذلك أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخبر من السماء بما حل بأصحابه - وهنا تتجلى عظمة الأمام (عليه السلام) اذ يأمر الله تعالى - على لسان الراوي - نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن هلاك هذا الملك ونجاة أصحابه لا يكون ألا على يد الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فينحصر خلاص الصحابة بهذا المنقذ فقط، الذي وعد الله به على لسان أمينه جبرائيل (عليه السلام) اذ قال الراوي ”وهبط جبرائيل بأسرع من طرفة عين. وقال : يا محمد أن ربك يقرؤك السلام ويقول لك أن أصحابك الذين بعثتهم مع الفرسان الثلاثين في بأس شديد مكبلون بالأغلال، وهذا الكافر الذي حملهم يعتزم حرقهم، وقد وعد الله بنجاة أصحابك ودمار هذا الملك على يد ابن عمك علي بن أبي طالب“ (٦٠)، وتتجلى عظمته في هذا المقطع الذي رسمه الموريسكيين للأمام (عليه السلام) في أذهانهم اذ يُبلغه الله تعالى السلام بواسطة الملاك جبرائيل (عليه السلام) ويبلغه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك بقوله : ”يا حبيبي، يا ابن عمي، أن الله تبارك وتعالى يقرؤك السلام، وقد أخبرني جبرائيل أن الذين ذهبوا مع الفرسان الثلاثين في بأس شديد، وان الله تعالى أذن بإنقاذهم وهلاك الكافر على يديك، والله وعدك بفرج عظيم“ (٦١).

ويتمثل الأمام علي (عليه السلام) فرحاً لطلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومسروراً بتكليف الله تعالى له. عندئذ يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له : ”يا علي ألبس سلاحك واركب جوادك واطلق عنانه، فالله تعالى سيطوي لك البيد ويقرب منك البعيد، ويهديك الى مكان الصحابة“ (٦٢)، ونلاحظ في هذه الرواية والروايات السابقة واللاحقة أن الموريسكي دائماً ما كان يلبس الأحداث ثوب المعجزة ويجعل من الأمور الخوارق مسألة طبيعية بيد الأمام (عليه السلام) وذلك تأكيد على اتصاله بالسماء، ومقولته هذه بالصد من اعتقاد النصارى بدينهم بحسب وجهة نظر الموريسكي المسلم اذ أن تلك الخوارق لا تجري ألا لإتباع دين الله الحق وهو الأسلام.

وتنطوي الأرض للامام (عليه السلام) لتقربه من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، واقتراب

الأمام (عليه السلام) من المدينة بعد أن غفا هنية فلم يدري ألا وهو في مدينة الملك الكافره ودار بالمدينة وسمع خالد بن الوليد وهو يناجي الله تعالى بقوله ” يا رب، اعنا واحمنا ونجنا ومنا معنا وادفع عنا وانقذنا على يد علي بن أبي طالب ” (٦٣)، وقد جعل الراوي ودعاء خالد بن الوليد بظهر الغيب لله تعالى ان ينجيهم من الاعداء بالأمام (عليه السلام)، وجعل الراوي الامام علي (عليه السلام) مركّز خلاص الصحابة تدور عليه الأحداث. وبعد أن حرّهم انطلق بهم الى مرج خارج المدينة منتظر ما يفعله الملك، وبعد أن أحسّ الملك بما حصل جهز جيشاً من ثلاثين ألف مقاتل وضعفهم من المشاة وذهب لملاقاة الإمام وصحبه.

فقسم الإمام علي (عليه السلام) أصحابه قائلاً ” أجعلوا أنفسكم أثنان عن يميني واثان عن يساري واتركوني وحدي في وسطهم، واخذت المقدمة والمؤخرة تتساقط افواجا واصدقاء الله يشخون الجراح في اعداء الله فلا يرى ألا وميض السيوف بينهم (وهي تتخلل) الغبار كأنها البرق بين السحاب وقتلوا أعداء الله، فلا يرى الا من يقع على اليمين وعن اليسار ” (٦٤).

وهذه الملحمة الأسطورية من قبل الموريسكي بحق الإمام علي (عليه السلام) وصحبه من قبل الحكايات التي لا تمت الى الواقع بشيء سوى استنهاض همم الموريسكيين الذين وقع عليهم حيف الأسباب من خلال بطولات الامام (عليه السلام) الخارقة. وتنتهي تلك المعركة بمحاصرة الإمام علي (عليه السلام) وصحبه المدينة وأستسلام واسلام أهلها بعد ان نبذوا عبادة اللات والعزى التي تخلت عنهم أمام أعانه اله المسلمين لهم. وهكذا نرى ما قام به الإمام (عليه السلام) من عمل بطولي خارق أذ تنطوي له الأرض أعجازاً ويسحق وصحبه جيشاً من ثلاثين ألفاً من جيوش الأعداء وينتصر عليهم أخيراً ويدخلون في دين الله وهو مبتغى الإمام (عليه السلام).

٥- معركة بدر وحنين

العنوان في هذه الحكاية متناقض فما دخل بدر التي جرت في السنة الثانية للهجرة بحنين التي جرت في السنة ٨ للهجرة، ألا أننا تماشياً مع غضنا الطرف عن الحقيقة التاريخية في هذه المغازي لم نتبع تلك الأخطاء في سرد المغازي، اذ ان دراستنا تنصب على نظرة الموريسكي تجاه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في تلك المغازي، ولو أننا دققنا في الحدث التاريخي فيها لوجدناها مليئة بالأخطاء التاريخية لأسباب لسنا بحاجة لذكرها الآن.

وما تدور حوله هذه الحكاية هو تجمع القبائل العربية بعد فتح مكة لمحاربة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). وأول قبيلة نهضت بهذه المهمة هي قبيلة بنو النضير بحسب الراوي وهو خطأ

واضح وبين أن هذه القبيلة هي من القبائل اليهود في المدينة وقضى عليها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حينها ولم تقم لها قائمة تذكر بعد ذلك. وأشترك القبائل العربية في قتال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو استذكار لما حصل في الخندق من تجمع القبائل العربية لحرب المسلمين آنذاك. فضلاً من أشرك الشيطان على التحريض ضد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بهيئة شيخ عربي. واجتمعت تلك القبائل بقرب نهر طون الذي لم نعرفه في المشرق بل هو من خلق فكر الموريسكي واجتمعوا ”على نهر طون ثلاثين ألف فارس وراجل“^(٦٥).

وهنا يكون دور الأمام علي (عليه السلام) قبل المعركة على أستنهاض هم المسلمين قائلاً ”يا قوم، من كان مريضاً أو جريحاً فليتمنع من الخروج الى هذه المعركة التي سيكون شأنها عظيماً“^(٦٦) ويعترض على الأمام علي (عليه السلام) ابو سفيان ثم يأخذ هذا الاعتراض بالتطور حتى يقتربا من الأقتتال لو لا تدخل الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الأمر، وطلبه منهم لتصالح فيما بينهم فيتصالحاً إمتثالاً لأوامر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأبو سفيان - أذ كان ابو سفيان بن حرب - بهذه الفترة اضعف من ان يعترض على الأمام علي (عليه السلام) أو يقف بوجهه، أولاً لعدم قدرة أبو سفيان على مواجهة الأمام (عليه السلام) جنباً منه، وثانياً لم يعرف عن أبي سفيان أنه كان له راي في معارك المسلمين، ثم ثالثاً وأخيراً وهي الأهم أن ابو سفيان لم يسلم ألا بعد فتح مكة. بعيداً عن بدر ألا اذا كان يدور بذهن الراوي أن حنين حدثن بعد فتح مكة.

وعند خروج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بجيشه البالغ تعداده اثني عشر ألف جندي، قام بتفريق الرايات بين أصحابه فأعطى لكل من العباس بن مرداس، وعمه العباس بن عبد المطلب، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو بكر الصديق، أعطى لكل واحد منهم راية واحدة، وكذلك أعطى لأبو عبيدة بن الجراح راية واحدة - وابو عبيدة أستشهد بعد أن جرح في معركة بدر - وهنا يعطي الراوي دور البطولة والشجاعة الفائقة لأمام علي (عليه السلام) ويميزه عن باقي أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فدفع ”برائتين أعطاهما لعلي بن أبي طالب فسار بهما ووسار معه بنو هاشم“^(٦٧) ومن خلال هذا النص والنصوص المتكررة نرى ما يكنه الموريسكي للأمام علي (عليه السلام) من تقدير لشجاعته، ولأضافة شيء من التهويل في هذه المعركة فقد روى الراوي أن جيوشاً من الجن كانت قد حضرت لمساعدة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، في المعركة نظر لقوة المشركين الكبيرة جداً.

وكان قائد جيوش المشركين هو مالك بن عوف النصري الذي أطلع على جيش المسلمين من خلال ربوة صعد عليها هو وخادم له فنظر في الجيش وأخذ العبد يصف لمالك مواصفات أصحاب

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين أشتهروا بالشجاعة فمثلاً قال لغلامه ” يا غلام، أنظر الى هذا الجيش، وأنظر ما ترى فيه، فنظر وقال: أرى رجلاً عريض الجبهة وفي يده راية صفراء.

قال مالك :

- أو تعرفه ؟

قال :-

- لا .

قال :-

- هذا هو العباس بن مرداس السيلمي

قال الغلام :-

- أرى رجلاً معه راية سوداء وثيابه سوداء.

قال مالك :-

- هذا هو العباس بن عبد المطلب.^(٦٨)

- وربما جعل الراوي ملابس العباس (رض) سوداء لما أشتهر عن دولة ابنائه بلباسهم الأسود، فيما بعد أثناء تأسيسهم لخلافتهم، ويأخذ الراوي بتعداد اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى وصل الى محل العظمة في جيش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم نظر العبد قائلاً " أرى فارساً طويلاً، عظيم الهيئة، عريض المنكبين، ضخمة العظام مرة يمسك بيده اليمنى وأخرى بيده اليسرى ومعه رايتان

قال مالك :-

هذا الفارس هو علي بن أبي طالب " ^(٦٩)

هذا الوصف لأمام علي (عليه السلام) يختلف عما وصف به الصحابة، أذ أنه يدل على مكانة الأمام علي (عليه السلام) في نفوس الموريثيين تلك المكانة التي تخلده وترسم له صورة البطل المغوار والذي يعد قطب الرحي في الجيوش، ونلاحظ أنه عندما وصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه ينم عن وصف تقوائى يدل على مكانة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الدينية وشجاعة تحيط به أذ قال

أرى في قلب الجيش فارساً ليس بطويل ولا بالقصير، ابيض، شعره يلعب مثل ضوء الشمس وتنظر إليه الكتائب كلها.

قال مالك :- هذا هو محمد بن عبد الله الهادم الأكبر وغالب أبطالنا نبي هؤلاء القوم " (٧٠).

وتلقي الجيوش وتهزم جيوش المسلمين وهو ما حصل في معركة حنين بالفعل، اما ببدر فقد أنتصر فيها المسلمون كما هو معروف تاريخياً، وفي هذه المعركة يستحضر الراوي مشاهد معركة احد التي خسر فيها المسلمون ويلها أحداث معركة حنين اذ بعد خسارة المسلمين تركو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اخذ يقاتل بنفسه، عندئذ يفتقد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الأمام علي (عليه السلام) قائلاً "سبحان الله وأين علي رضي الله عنه فهو الذي لا يُغلب؟ والله بكل شيء عليم" (٧١). فيرد جبرائيل (عليه السلام) على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مخبراً عن مكان الأمام علي (عليه السلام) وهو ما لم يحظ به أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول الراوي "عندئذ نزل جبرائيل عليه السلام وقال :- يا رسول الله، ان الله يأمرك أن تصعد الى جبل وتنظر الى ابن عمك علي بن أبي طالب.

قال الراوي :فصعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونظر فرأه يقاتل الكفار بيده اليمنى وبيده الثانية يسوقهم كالشاة أمامه فيتوزعهم الوادي عن يمينه وعن يساره " (٧٢).

وبين الراوي منزلة الأمام علي (عليه السلام) بقوله على لسان جبرائيل (عليه السلام) "يا محمد أن الملائكة في السماء يعجبون بعلي فتبعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووجد هناك بحراً من الدم حوله فنظر اليه فرأى سبعين جرحاً، فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قدحاً من الماء، ومر بيده المباركة على الجراح فشفيت بأذن الله وفضله" (٧٣).

ويجعل الراوي من الأمام (عليه السلام) مقصداً لأبطال الشرك فيخرج أحد شجعان المشركين قائلاً "من ذا يخرج لي؟ فلم يجبه أحد.

عندئذ قال ذو الخمار :-

- يا محمد، اين فرسانك وشجعانك وذو الشأن من قومك؟

أين الليث الغاضب علي بن أبي طالب؟

قال النبي :-

- يا علي، أتحب ان تخرج لهذا الفارس ؟

قال :-

- أجل يا رسول الله " (٧٤)

وهذه الوقفة هي أستحضار الموقف عمرو بن ود العامري أيام الخندق مع القليل من الأختلاف. ويتبارزان فيما بينهم وتكون الغلبة في النهاية للأمام (عليه السلام) بضربة يعرفها القاضي والداني أذ رأى المسلمون الأمام علي (عليه السلام) "وقد علاه بضربة شطرته نصفين فبتر السيف الفارس والفرس وأنغرس في الأرض فشققاً شقاً عميقاً وسارع بروحه الى جهنم" (٧٥).

وتنتهي المعركة بانتصار الأمام علي (عليه السلام) ومن ثم أنتصار المسلمين على تلك الجيوش العظيمة بشجاعته المنقطعة النظير.

٦. معركة المهلهل بن الفياض

حكاية الملك المهلهل بن الفياض كانت مع خالد بن الوليد، أذ أن جبرائيل أخبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه "يأتي الى أرضنا عدو لعين وشيطان رجيم قوي لا يقدر عليه أحد، يدعى المهلهل بن الفياض ومعه مائة ألف فارس، وخمسون ألف راجل، وأربعون ألف عبد أسود، ياتون لحربي وحربكم" (٧٦).

وبلغ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خشية من هذا الأمر انه اخذ "يبكي بكاء حتى ابتلت ثيابه بدموعه" (٧٧)، واخبر صحابته بما يرون لمعالجة هذا الأمر، وكل أدلى برأيه، ما يهمننا موقف الأمام علي (عليه السلام) أذ وقف الراوي يمدحه بما يلق بشجاعته وما عرف عنه من بطولات نادرة قائلاً " ونهض سيد الأبطال، وفاعل الأعاجيب، وغالب المعارك أبو الحسن علي بن أبي طالب رض الله عنه وقال :يا رسول الله، أذا جاء هؤلاء الناس الى أرضنا تامر لهم بالأقامة حتى ينزلوا و يقيموا في فسحة عظيمة، ونخرج لهم من مدينتنا سلالا وأطباقاً من التمر والزبيب، ويظلون في ضيافتنا ثلاثة أيام، ثم اذهب الى بيتي، وأركب جوادي، وذو الفقار في يدي، وأضع درع عمي حمزة، وشارة عمي العباس، وأقف على الباب المدينة، فلا يخرج صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد سواي وأضرهم ويضربوني حتى أموت بين يديك صلى الله عليك" (٧٨).

وواضح من النص مدى ثقة الراوي بشجاعة الأمام علي (عليه السلام) ومدى أعجاب المورييسكين به حتى انيطت اليه تلك الشجاعة التي تخرجه من أنسان عادي الى أنسان أسطوري خلعت عليه كل

أسباب والوان الشجاعة المفرطة، رغم ما يتمتع به الإمام (عليه السلام) في الحقيقة من شجاعة قصرت عن بلوغها أبطال العرب، ودان له شجاعتهم أعترافاً بما يملكه الإمام (عليه السلام) في أقدام وبأس، ويكتب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاباً بخط الإمام علي (عليه السلام) ويبعثه مع خالد بن الوليد الذي أختير هنا لحمل الكتاب لشجاعته، وذهب به الى الملك المهلهل لدعوته الى الإسلام، وفعلاً وصل خالد الى هناك وأستقبله الملك بعد أن أمر "بأن يقوم عن يمينه خمسون ألف فارس وعن يساره خمسون ألف فارس، وان يقوم عشرون ألفاً عبد من ارض اليمن عن يمينه وعشرون ألفاً عن يساره" (٧٩).

وواضح هنا مبالغة الراوي بتلك الأعداد ويبدو أنه كان يعد العدة من خلال أبراز قوة الملك هذه لمجابهة بطلة - الراوي - الشجاع الإمام (عليه السلام) فيما بعد. وبعد ذلك وقف خالد أمام الملك وسلمه كتاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مهدداً أياه بأن الكتاب "خطه علي وختمه النبي بخاتمه" (٨٠).

ثم بعد ذلك يؤسر خالد بأمر من الملك وهنا يتوعده خالد بمجموعة من الصحابة أبرزهم جعفر بن ابي طالب والعباس بن مرداس السلمي وخالد نفسه، واستغرب احد وزراء الملك قائلاً له "يا أخ الحجاز (من عند) أبي قاسم، لما لم تذكر سيدكم وفارسكم وكبيركم، هذا الذي علوتم به جميع العرب؟

قال خالد :-

ومن هذا الفارس؟

قال :-

- علي بن أبي طالب.

قال له خالد :-

- بئسما (ينفعك) قومك وفرسانك ومشاتك أن حمل عليكم وحده.

قال (الراوي) فأنفخ الملك من الغيظ والغضب وكفر وهدر ولعن الشمس والقمر" (٨١).

وجعل الراوي سمعة وشجاعة الإمام علي (عليه السلام) تطير في الأفاق وتسبقة الى أرض لم يبلغها الإمام (عليه السلام) نفسه على الرغم من بعد تلك الأرض عنهم. وهنا يبرز الراوي عظمة الإمام علي (عليه السلام). أذ يأمر الله تعالى أمين وحيه (عليه السلام) بتكليف الإمام (عليه السلام) بالذهاب لنجدة خالد فينزل الملاك على الرسول (محمد) قائلاً "يا محمد أن صاحبك خالد مربوط وموضوع في جلد حصان ومعلق في نخلة، والملك اللعين المهلهل أمر بأن يحمل إليه الخطب، ويقول أنه سيحرقه بالنار، وهذا

لا يرضي الله ويقول لك أرسل له علي بن أبي طالب في هذه الليلة” (٨٢).

ويشتكي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعد المسافة فيخبره جبرائيل (عليه السلام) أنه ”يا محمد على علي أن يخرج وعلى الله وصوله” (٨٣). ونلاحظ أن الراوي لم تغب عن ذهنه ممارسات محاكم التفتيش بحرق المخالفين فكان في كل رواية يستخدم هذا الأسلوب من التعذيب، لعدم مفارقة خياله تلك الصور الوحشية في حفلات الحرق للموريسكيين المخالفين للديانة الكاثوليكية. وودع الامام علي (عليه السلام) الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مشهد حزين ومبكي مع أولاده الحسنان (عليه السلام) وزوجته السيدة فاطمة الزهراء (عليه السلام) ثم أمره بأن يمكن نفسه من النوم ليطلق العنان الى فرسه لوصله الى جهته المقصودة بأذن الله ”وودع النبي عليه الصلاة والسلام ومضى حتى وصل الى مفترق طرق، فأخذته سنة من النوم ونام ولم يستيقظ من نومه ألا وقد وصل الى الوادي الذي كان فيه خالد، فما قطعه خالد في عشرين يوماً قطعه علي في ليلة واحدة حتى التفت الأخير من الليل” (٨٤).

وسمع الأمام علي (عليه السلام) دعاء وتوسل خالد بالله تعالى أن يخلصه من عذابه هذا، وكان مربوط على نخلة أستعداداً لشنقه وحرقه، وهز الأمام علي (عليه السلام) النخلة فقال خالد :- ”من ذا يهز مشنقتي، أن كان ينبغي موتي فإني أعرف أن الليل هو الباب الذي يحمي الموت وكل الناس داخلون فيه، ومن لم يمت بالنصل الحديدي مات بغيره، ولكل واحد نزاع يعنيه، نفسي تحدثني أن لم تكذب علي، بأنك علي بن أبي طالب،

قال علي :-

أبشر يا خالد، فالذي يقف أمام يديك هو علي.

قال له خالد :-

- يا أخي، يا علي، أما ترى حالتي ؟

قال علي :-

- يا خالد أن الله مع المُعَذِّبين.

قال الراوي، وأنتزع علي النخلة من جذورها وتلقف خالد بين ذراعيه برفق شديد” (٨٥).

- بعد ذلك تجتمع الجيوش لملاقاة الأمام علي (عليه السلام) ويطلبون منه أن يسلم نفسه الى ملكهم لكن الأمام علي (عليه السلام) يجيبهم على لسان الراوي قائلاً: ”من عرفني فقد عرفني، ومن لا يعرفني سأعرفه نفسي، أنا علي بن أبي طالب، المُعَلِّم في المعارك، القاطع، بالسيف الباتر المشهور بالقاهر، فلما سمعوا

أشعاره لأذوا بالفرار وهم ينادون بالويل والثبور.

فقال لهم الملك :- مالي أراكم تأتون هارين ؟

قالوا له :-

- يا مولانا، ها قد زال عنا المعروف، وحلَّ بنا البلاء، فقد دخل بيتنا رجل سوف يدمر محفوظنا، ويقتل أبطالنا، ويبيتم أطفالنا، ويهدم قلاعنا، ويشتت جيوشنا، ولا ينجوا اليوم من يديه ألا من كان يعبد الله الذي يعبد هو، او يولي الأدبار هارباً أو يموت بين يديه ويبيكه أحبابه وأقرباؤه، وأصدقائه هذا هو علي بن أبي طالب المعروف بشجاعته ” (٨٦).

والمتبع للنص أعلاه يلاحظ ان هؤلاء القوم رغم كثرة عددهم أنهزموا شر هزيمة امام الأمام (عليه السلام) عندما سمعوا أخباره، وكأنهم سمعوا بأخبار شخص يعرفونه وكانوا يحذرونه.

كما هو حال الأمام (عليه السلام) عندما تقدم الى حصون خير ونادى بأسمه حيدر الذي كانوا يجدون بكتبهم أن الذي دمر حصونهم هو شخص يسمى حيدر. فهنا بمجرد أن سمعوا بأسمه وهم الألوف المؤلفة أستحضروا صورة الموت لرجلهم واليتم لأطفالهم، وهدم قلاعهم، وتشتت جيوشهم وهذا الأمر لا يحصل ألا لرجل هو الأمام علي (عليه السلام)، وامام هذا الأرتباك من جيوش الأعداء برز فارس للملك، وطلب منازلة الأمام (عليه السلام) وهو لم يتيقن من شخص الأمام (عليه السلام) فطلب الأذن بمبارزته من الملك وبدوره أذن الملك له وخرج اليه قائلاً :- ” أياه الفارس الذي لا يقدر عليه أحد من الفرسان، ولا بطل من الشجعان انظر الى ما تثيره من اضطراب ولا تشن الحرب.

فأخذ علي يضرب جواده بالمهاز، وقفز فوقه كما يهبط العقاب من السماء فقال العليج :-

واللات والعزى لا أحارب اليوم ألا عليا

فقال علي :-

أبشري يا عدو الله، فأنا علي.

قال العدو :-

فأني لا اصدقك حتى تكشف وجهك وارى علامتك. فكشف علي وجهه ورأى فيه العلامة الهاشمية، فظل الفارس يرتجف خوفاً أمام علي ” (٨٧).

ولا نعلم ما هي العلامة التي كانت تميز الأمام علي (عليه السلام) ولكن ربما الراوي يحاول اصفاء شيء

من العظمة والقداسة على الإمام علي (عليه السلام)، وربما أستحضر من شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتمة الذي كان علامة النبوة في كتفه الأيمن.

ونلاحظ مرة أخرى ان الراوي يلجاء لأن يجعل الشخصية التي تحارب الإمام (عليه السلام) يقسم باللات والعزى، وكما أشرنا سابقاً كان الراوي يعتقد أن اللات والعزى هو دين شبه الجزيرة العربية بأجمعها وهو بمثابة ديانة عالمية.

ثم يدعوه الرجل الى الاستسلام ويعرض عليه مجموعة من الأموال من ذهب احمر وأصفر وفضة، ويرفضها الإمام علي (عليه السلام) ثم يدعوه الى الأيمان بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن يشتمه بعرضه وهو منهج لم نألفه عند الإمام علي (عليه السلام) ومن ثم قتله الإمام (عليه السلام).

ويتجمع الإمام علي (عليه السلام) مع خالد بن الوليد في مواجهة الصف ويقول الامام علي (عليه السلام) لخالد ” خذ هذا الفرس وأركبه، وخذ سلاحك.

ثم ياتي شيخ للملك قائلاً له :-

يا مهلهل، من ذا سيخرج لمبارزتهما ؟ فهما أسدان قد اجتمعا.

فقال العدو اللعين والشيطان الرجيم :-

ماذا يفعل العقرب بين الحيتان ؟

فقال له الشيخ :-

أيها الملك، لو صاح علي ونطق بالكلمة الشهيرة لا غالب ألا الله لقتل بعضنا بعضاً” (٨٨).

وكما هو واضح من النص فإن الراوي الموريسكي يقتبس شعار بني الأحمر أيام حكمهم لغرناطة ولا غالب ألا الله وينسبه الى المشاركة والى أيام الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ظناً منه أنه كان شعارهم وهو ما يدل على أن الموريسكي قد أخذ بالأبتعاد عن تراثه رويداً رويداً، وربما جعل تلك الكلمة بمثابة السر الأعظم عند المسلمين بحيث أن الإمام (عليه السلام) لو نطقها لعملت عملها بالمشركون.

ويقترح الشيخ على الملك منازلة الإمام (عليه السلام) لينتهي هذا اللقاء، ويخرج الملك منادياً بعد أن لبس أفضل ما عنده ” يا علي، أنا الملك المهلهل بن الفياض، لم تلد النساء مثلي، فإن أردت أن تنجو من الذعر أعطيتك ما تنجو به،

قال علي :-

- ماذا تريد يا لعين الله ؟

قال :-

- ترجل عن حصانك، وقبل ركابي، وقدم لي التشريف العظم بين أصحابي، عندئذ قال علي رض الله عنه :-

- لا يهتز جناحي لهذيانك، أو مثلي تصده الشباك، أنا علي الفارس المغوار، ومن يستهن بي فهو يستهن بالموت العاجل، أو فليؤمن بالله العلي، عالم الغيب والشهادة ” (٨٩).

ثم بعد ذلك حمل كل منهما على الآخر وأشد القتال بينهما، ويدعوه الأمام (عليه السلام) الى الأسلام لكنه يرفض ثم يتبارزان مرة أخرى وقال الأمام (عليه السلام) مخاطباً حصانه :

”أيها الحصان، بشرف من خلقك، بحق الله انطلق بخفه. ونزعه من السرج كما لو كان طائراً في مخالب العقاب وقذفه على الأرض وضربه بسيفه ذي الفقار فقتله وسارع الله به الى النار ” (٩٠).

ثم هجم الأمام (عليه السلام) وخالد على الجيش ”علي من جانب وخالد من جانب آخر، وتساقط العلوج اكواماً، ولم تزل الشمس عن قبة الفلك حتى لم يبق أحد ممن يشرك في الله ” (٩١).

ثم تنتهي القصة برجوعهما بعد أن غنما غنائم كثيرة وأسلم من بقى من المشركين ووصلا الى المدينة وأستقبلهما الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ”وقبل عليا بين عينيه وقال له :- ”لن ينسى لك الله هذه المعركة ” (٩٢).

٧. معركة الأشيب بن حنقر

تدور أحداث هذه المعركة بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وملك يدعى الأشيب ابن حنقر العراش من أهل تيماء وصفه الراوي بشتى أنواع الأوصاف المهولة منها انه ”رجل ذو حيلة ومشورة، داهية، له مال وفير وقوم كثيرون، هو بطل صنديد، يحسب على سرج بألف فارس، ويقدم له الجزية الملوك ويخضع له الفرسان خشية الهلاك، وعنده صنم لربه يعبدونها من دون الله، على هيئة ديك، وصدره من الذهب، ورأسه من الفضة، أقام له قصرأ وقبة من الرخام يدخل اليه الهواء ويصفر مثل صياح الديك، وبداخله الشيطان يتكلم بجميع اللغات ” (٩٣).

حتى أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يعجب من ذكر هذا الشخص قائلاً لأحد أصحابه

" لقد ذكرت لنا شيئاً غريباً عجيباً " (٩٤). وبعث له كتاب مع أحد صحابته الذي أخبره بأوصاف هذا الملك ويأمر الأمام علي (عليه السلام) بكتابة الكتاب الى هذا الملك بالتهديد والوعيد والملاحظ أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) برواية الراوي دائماً ما يوكل مهمة كتابة رسائله للملوك والجبابرة الى الأمام علي (عليه السلام)، وهو بذلك يظهر مدى أعتماده عليه في السلم والحرب. فلما وصل الكتاب الى الملك بعث الى ملوك العرب يستنهضهم لمهام لمحاربة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن أسر رسول النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه البالغ عددهم ١٠ أشخاص قائلًا لهم " يا معشر العرب، أن يتيم بني غالب محمد قد بعث لنا كتاب، وطلب منا ما طلبه من الآخرين، ولن يبلغ من هذا شيئاً إلا بأبن عمه ابن أبي طالب، وأريد أن أختار منكم فارساً كي يعيد له الجواب " (٩٥).

نلاحظ مدى خوف الملوك والأمام المجاورة للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) البعيدة والقريبة والقوية والضعيفة من الامام علي (عليه السلام)، وهو ما يظهر مدى أعجاب المورييسكيين بشجاعته، ثم كتب الملك كتاب الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يهدده فيه بالحرب، ثم يكتب الملك كتابا ويبعثه ويبعثه مع العباس بن مرداس الى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). وجهاز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لحربه جيشا بعد أن وصله كتابه وخرج بأصحابه عدا الأمام علي (عليه السلام). والثابت تاريخياً أن الأمام علي لم يتخلف عن كل حروب الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عدا غزوة تبوك حين خلفه علي المدينة أذ كان الخطر المحدق بها يوازي خطر تلك الغزوة لذلك أمره الرسول بالبقاء.

عندما التقى الجيشان خاضا حروب شرسة فيما بينهما، وواجه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وجيشه حرجاً شديداً نتجة لقوة جيوش الأشيب حتى هربوا أمام قوتهم، وكاد الأعداء أن يصلوا الى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخرج قائد من المشركين يقال له الأخضر وكان شجاعاً جداً جندل أبطال المسلمين الصحابة وأخذ ينادي على جيش المسلمين قائلًا: - "يا محمد أين الليث المعلم بالعجائب، الأسد المحمود الذي يريحك في الشدائد، علي بن أبي طالب؟" (٩٦).

ونلاحظ أن هذا الفارس بعد أن لم يجد من ينازله توجه لطلب النزال من كان يسمع بشجاعته ويعتمد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه في الانتصار في حروبه، ولما لم يجبه أحداً أردف قائلاً " أين الفارس المغوار، فلي رغبة في لقائه ونزاله ؟ مرحباً بأن يخرج إلي زوج فاطمة " (٩٧).

وأجتمع المسلمون حول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلين له " يا رسول الله ؟ أبعث لعل رسولا عسى أن يكشف الله عنا البلاء، ونحارب نحن قومه " (٩٨). وبعث الرسول (صلى الله

عليه وآله وسلم) الى الأمام علي يستنجد به، وكان ركب مبعوث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ذهب بقيادة حجر بن عدي الكندي مع مائة فارس يخبرون الأمام علي (عليه السلام) بضرورة قدومه الى ساحة الحرب، ولما علم الأخضر بذلك خاف أن يصل الصريخ الى الأمام (عليه السلام) فيسرع لساحة الحرب لنجدة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندئذ طلب الأخضر من ابن عم له أن يذهب باثر حجر وأصحابه، وفعلاً ذهب وأسر حجر وأصحابه وبذلك فشل وفد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من تبليغ الأمام (عليه السلام). دون أن يعلم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك.

وعندها لجأ الراوي الى الطريق الغيبي بأخبار الأمام (عليه السلام) بمحنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أذ يرى "علي في المنام أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره بكل ما حدث مع الأخضر، وما كان قوله، وكيف كان ينادي علياً في الميدان. فلما أستيقظ علي أدرك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حرج شديد، فنهض علي، وركب حصانه وخرج من مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسار، فطوى له الله الطريق والأرض، فوصل علي إليهم، الى النهر الذي أسر عند الفرسان المائة، فأنصت علي فسمع حجر بن عدي وهو يقول: - "يا رب أعنا بيدي علي" (٩٩)، ووصل الأمام علي (عليه السلام) لهم ويطلق سراهم بعد أن يقتل مقتلة عظيمة ويأسر آخرين من أعدائه، ويخبره عدي بما بعثه له الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وينطلقون الى ساحة المعركة ويصل الأمام علي (عليه السلام) ويراه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهتف قائلاً "الله أكبر، ها انذا أرى علياً في المعركة. وأحتضنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبل بين عينه، وقال له: - نعم ماجئت يا أبا الحسن، فأنت الذي تزيل الشدة من وجهي" (١٠٠). وهذا هو تصريح واضح من الراوي بمكانة الأمام (عليه السلام) عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومكانته في أعين المورييسكيين ويبدأ التحضير للنزال ويشتهي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الأمام (عليه السلام) قائلاً "يا علي، أو لم تر ما فعله الكفار؟ قال: - بلى يا رسول الله، لكن ومن بعثك بالحق لأرينك اليوم العجائب، وأعظم من هذا بكثير حتى ترضى يا رسول الله" (١٠١). وأشد الغيظ بالأخضر "ووضع سلاحه وركب جواده وخرج الى الميدان وحمل على علي حملة حقيقة، وضلا يتقاتلان ساعة من الزمن. ثم صاح علي ضد الأخضر صيحة ثانية وأمسك بالسيف بيده اليسرى ودخل عليه وأمسك به من فوق سرجه وشد طوقه وقذفه على الأرض وقفز فوقه وأمسك به... وعندما سمع الملك بذلك وقع مغشياً عليه". (١٠٢)

وبعد ذلك تأخذ الأحداث منحني أسطوري بعيد عن تلك الاجواء أذ يطلب الملك من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقاتل الأمام علي (عليه السلام) صنهمم الأكبر، ويقبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم) والأمام علي (عليه السلام) بذلك وركب "علي في ألف فارس، وقال له النبي عليه السلام

- أذهب يا علي وكسرها، وحطمها والله يعينك عليها” (١٠٣)

وتقدم الأمام (عليه السلام) اليهم فلما ”بلغوا الصنم أحاط به الشياطين والتفوا حوله وأثاروا غباراً كثيفاً، وأضطربت الأرض وخرجت منها جيوش من الشياطين والجن الكثيرين، فلما رأى الصحابة الذين جاءوا مع علي كل تلك الجيوش من الجن هربوا جميعاً وتركوا علياً وحده. فلما رأى علي ذلك ترجل من فوق الجواد وقال :-

- أنا علي، الفارس المغوار في جميع الأحوال، البائر الشهير الغالب بقوة الله ربي. يا معشر الجن أثبتوا لي وتحملوا ما سترونه مني من عذاب. وحمل علي الجن، وتقاتل معهم ساعة طويلة حتى هزمهم، وهرب كل الجن ولم يبق منهم أمام علي أحد. ومضى علي إلى صنم الرب وقذفه على الأرض وداسه بقدميه وحطمه بسيفه ذي الفقار حتى لم يبق منه شيء” (١٠٤)، وتم نصرة المسلمين بفعل شجاعة الأمام (عليه السلام) في هذه المعركة.

أن هذه البطولة التي رسمها الموريسكيين للأمام (عليه السلام) جعلت منه إله اسطوري الشجاعة عندهم، فمصير المسلمين والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان متوقف على سيفه ذي الفقار، أذ أن الراوي أخرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في سبيل أبراز شجاعة الأمام (عليه السلام) التي أستمدتها الراوي من خلال بطولاته في ساحات القتال ابتداءً من غزوة بدر مروراً بأحد والخنديق حتى معاركه أيام الخلافة، فكان الأمام علي (عليه السلام) مثال يتحذى به للشجاعة في كل الحروب. يرافقه في شجاعته سيفه ذو الفقار الذي يعد ذكره وحده بطولة نادرة، ونزال محسوم وخصم مقتول.

٨. حديث قصر الذهب وقصة الثعبان مع الأمام علي (عليه السلام)

يروى راوي المغازي في هذه الحكاية بطولة أخرى للأمام علي (عليه السلام) ليس في ساحة المعركة ضد المشركين من قريش وأمثالهم، بل تعدى ذلك إلى أن جعله يحارب الشياطين والعفاريت والجن والتنانين، بالرغم من أنه قد ثبت تاريخياً مقاتلة الامام (عليه السلام) للجن والعفاريت في حادثة بئر العلم (١٠٥).

بعد أن أستنفذ الراوي كل ماله علاقة بالشجاعة والأقدام والفخر عند الأمام (عليه السلام) في حروبه، وقد أخذت روايته منحى آخر ليتبين للقاري مدى عظمتها، ومدى ارتباطه بالله تعالى وطاعته للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بلغ هذا المقام.

تدور أحداث هذه الحكاية عن قبيلة ”بني قيس“ التي أفترضها الراوي ومعاناتها من ثعبان عظيم الخلق، أذ يقول الراوي نقلاً عن أعرابي قدم إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شاكياً منه ضرر

هذا الثعبان بقوله ”فأعلم يا رسول الله، أن هناك حولنا وبجوارنا قلعة يقال لها قصر الذهب وفيها ثعبان عظيم أهلك شأنا وأبقارنا وإبلنا، وقطع الطرق وأكل الركاب والمشاة وأذل العباد. ولم تفلح معه أي قوة“ (١٠٦).

وبناءً على هذا الأمر الجلل الذي صورته الراوي يعقد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الراية للأمام علي (عليه السلام) على جيش تعداده ألف فارس، ثم يتحرك بجيشه بعد توديع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له، ولما وصل الجيش إلى قبيلة بني قيس طلب منهم الأمام علي (عليه السلام) أن يدلوه على قصر الذهب الذي تسكنه العفاريت والجن والشياطين فينهض له شيخ كبير يصف هذا القصر قائلاً ”على الربح والسعة يا علي، أنه قصر حصين، أبوابه من حديد، وأرضه من الأرجوان والعنبر. وقد بناه شداد بن عاد بن ثمود بن الملك عقين (؟) في زمن العماليق، وشيده ورفع بوجه الشاهقة، وزارها وقد جعل لهذا القصر بابان في مكانين مختلفين، وشيدت حوله الأسوار العالية المنيعة، وقد طلي بالجص حتى لتبدو أرضه من الخزف وأبوابه من العاج وكسيت أجزأه بالذهب وأركانه بالفضة وأعمدته بالنحاس، ومواسيره بالرصاص، وأبراج هذا القصر من الرخام الأبيض الملون، وقد شيدت جدرانه عظيمة الارتفاع، تحيط بها وتلمح من حولها الأنهار الجارية والأعشاب الخضراء والشجارات الباسقة والينابيع والسواقي. وقد أقيم ذلك القصر في مفترق طرق كثيرة. بعضها يذهب إلى اليمن وبعضها يقود إلى الشام، وكان ينزل به قبل الآن كثير من الملوك والأبطال، وذاع أمره في شرق الأرض وغربها حتى وصل إليه هذا الثعبان فأهلك حرثها وزرعها وماشيتها، وقطع الطرق وأفقر القرى والأماكن التي تحيط بالقصر“ (١٠٧).

ويتضح من خلال هذا الوصف أنه أستحضر ما يشاع عن قصص المشرق حول القصر الذي بناه عاد وما يدور حول أرم ذات العمد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وأضاف الراوي عليها بعض ثقافته الإندلسية بما تركز في ذهنه من صور القلاع والحصون والقصور الأندلسية والإسبانية وأشركها مع ما يدور في القصص الشرق حول تلك القصور، ليتج هذا الخيال الرائع والوصف البديع لهذا القصر، ثم يضيف إليه عنصر تشويق آخر متمثل في هذا الثعبان، وحاشيته من العفاريت والشياطين ليتمكن فيها بعد من أستلهم دور لبطله الأمام علي (عليه السلام) في القضاء على هذه المخاطر المشتركة.

وبعد سماع هذا الوصف يأمر الأمام (عليه السلام) خالد بن الوليد والمقداد وعمار بن ياسر، وعمر بن أمية الضمري بالذهاب إلى القصر ليأته بخبره” وساروا حتى أشفوا على قصر الذهب ورأوا أبواب القصر، وكلما أقتربوا منه رأوا عموداً عالياً من الدخان ينبعث من داخل القصر فتوقف خالد وأصحابه حوله وقال عمار :- نحن ننظر إلى الباب القصر ونرى حبلًا أسود يخرج من القصر مثل الليل

الحالك، والدخان يأتي ألينا كأنه جبل، ورأينا ونحن هكذا شكل ثعبان بالغ الضخامة يطل برأسه من باب القصر، يفتح فماً كأنه كهف، وتخرج من فمه أعمدة من الدخان تحرق ما حولها من عشب ونبات أخضر، ونسمع من حوله صوتاً كأنه رعد شديد. ثم ظهر لنا ثعبان عظيم يزحف تارة على بطنه وتارة على ظهره، فأخذنا الخوف والرعب وأضطربنا وأرتجفنا وعدنا أدراجنا هارين الى حيث كان علي بن أبي طالب (رض الله عنه)“ (١٠٨)

ثم أمر الأمام علي (عليه السلام) أصحابه بالمسير الى القصر حتى وصلوا اليه ”ولم تمض ساعة واحدة حتى قال عمار بن ياسر القرشي بينما نحن جالسين هكذا إذ أندلعت علينا من باب القصر نار مرتفعة، فرأينا شررها كأنه جبال عالية تطير في الهواء، وغدت الأرض كلها كأنها جمرة من نار وأدركتنا النار والدخان فلما أبتعد عنا ذلك لم يبق منا احد ألا أصيب بالكرب وسال منه العرق، واشتد بنا الفزع، وعظم علينا الأمر وهربت منا الخيل وقطعت الأعنة وعادت أدراجها على بعد ميل، ولم يبق من الخيل سوى جواد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي ظل واقفاً أمام الأمام علي بن أبي طالب” (١٠٩)

وهنا صور الراوي في المقطع أعلاه الموقف كأنه صورة ليوم القيامة ومشهد من مشاهد المفرجة على لسان عمار بن ياسر الذي نسبه الى قریش وهو خطأ فادح.

وبعد ذلك طلب الأمام علي (عليه السلام) من الخيل الرجوع بقوله ”أيها الخيل المختبىء من الشدة، أجيئوا، وأطيعوا أبن عم رسول الله، وعودوا الى أصحابكم، قال الراوي، فلما سمعت الخيل كلام علي بن أبي طالب رض الله عنه رجعت ووقفت أمامه، فنهض علي لها ومسح وجوها بكمه وزال عنها ما كان بها من خوف وفزع” (١١٠).

وفي هذا النص نرى أن الراوي خلع ثوب القداسة على الأمام (عليه السلام) ليصنع منه صورة متكاملة للقدیس والبطل في نفس الوقت.

وبعد هذا الموقف دخل الرعب الى قلوب الصحابة فأخذهم الفزع والخوف فقال الأمام علي (عليه السلام) لهم ”لا يأخذنكم الفزع والخوف من هذا الأمر، ولا تخافن مما رأيتم، فوالله لا يكن عندكم شك في أنكم سترون اليوم أمراً أعظم هو لا يشيب الصغير وتعجب منه الملائكة في السموات. قال خالد بن الوليد :- وبينما كان علي رض الله عنه يتحدث ألينا وتحدث أليه خرج علينا من باب القصر دخان أسود وسد بسواده ما بين المشرق والمغرب، وأحاط بنا الدخان من على يميننا ويسارنا حتى لا يرى أحدنا الآخر من شدته، فأرتجفنا وسمعنا أصواتاً عظيمة ودوياً هائلاً أرتجفت له الأرض بطولها وعرضها وأشدت بنا الخوف والفزع وأيقنا جميعاً بالهلاك، بينما علي رض الله عنه يواسينا بحديثه،

ويلتفت أليينا بكلامه الطيب، دون ان يظهر خوفاً أو فزعاً مثلنا. ولم تمضي ساعة حتى تكشف ذلك لنا، ونظرنا الى علي رض الله عنه فإذا بغیظه يشتد ويتفاقم، وكانت فيه علامة عندما يشتد غیظه، أذ يحمر وجهه فرؤيت عليه ” (١١١) .

ورغم أن الراوي قد جعل في أكثر من موضع في مغازية مكانه لخالد بن الوليد لشجاعته ألا أنه في هذا الموقف يجعل منه خائفاً يرتجف مثل الصحابة وذلك لهول ما يرون.

وأضطر الأمام علي (عليه السلام) أما هذه التحديات أن يلتفت الى الصحابة قائلاً ” أثبتوا وأبقوا في هذا المكان، فارب المشرق والمغرب لن يغلبهم أحد غيري ” (١١٢) .

وواصل الراوي حديثه قائلاً ثم ودع أصحابه وأقرب من القصر ” وصاح صيحة شعرنا من قوتها أن السماء ستقع أو أن الأرض ستنشق أو ان الجبال ستزول عن مكانها. وسمعنا صيحة أخرى من داخل القصر، وأسودت الوجوه من الدخان وفتح علي رض الله عنه باب القصر ودخله وغاب عنا ساعة وسمعنا من داخل القصر دويًا كأنه الرعد، وبلغت الروح الحلقوم ” (١١٣) .

ولا يخفى من خلال هذا النص مدى دقة وحراجة الموقف حتى أن الصحابة ضجوا بالبكاء خوفاً على الأمام علي (عليه السلام) داعيين الله تعالى أن يحفظه ثم مر عليهم شيخ كبير قائلاً لهم ” يا أصحاب محمد عليه السلام، أعلموا أنكم لم تدركوا علي بن أبي طالب ألا ميتاً،

فقالوا له :- أيها العجوز، ماذا حدث له ؟

قال :- لقد أجمع عليه من الجن الملعونين وأبطالهم ومن الشياطين الرجيمة خمسون ألفاً لقتاله، وأخذ يحاربهم وهو يدعوكم لغوثة ” (١١٤) .

غير أن الصحابة لم يستطيعوا ان يفعلوا شيئاً لخوفهم مما بداخل القصر أذ حاولوا الدخول الى القصر فتعذر عليهم ذلك ويستطرد الراوي قائلاً ” فلما أقترنا من الباب القصر أندلعت علينا النار من كل ناحية، وأشتعلت أمامنا وخلفنا وتحتنا وفي كل ناحية، وخرج علينا من باب القصر تين عظيم يقطع الأشجار التي يلقاها، ويحرق الأرض بنفسه وهو يلهث، ويسمع صوته من بعيد كأنه رعد شديد، وينبعث من عينيه شرر من النار. وجاء نحونا مندفعاً فهربنا الى جب، دخل كل منا فيه وتغطى بدرعه. وحينئذ أحاط بنا التين الذي خرج علينا من كل ناحية، ولم يمض ألا بعض ساعة، ثم ذهب الى الخيل ونفث عليها بنفسه فأحرقها جميعاً فيما عدا حصان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ” (١١٥)

وهذه الصورة في المعركة هي بعض ما يجري على الأمام علي (عليه السلام) داخل القصر أذ فضلاً عن

الجيوش من الشياطين والعفاريت والجن خرج هذا التين الأسطوري الذي هزم وحده الجيش الصحابة واحرق خيولهم دون حصان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الخاص بالامام (عليه السلام).

وبعد أن يتلاشى دور الصحابة في مساعدة الأمام (عليه السلام) يلجأ الراوي الى الأمور الغيبية في نصرته، أذ يشرك في مساعدته عنصر قريب الى قلب بطله وهي زوجته السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فتكون هي التي توصل معاناته الى ابيها ” فكشف الله بصرها وهي نائمة، واراها الله علي بن أبي طالب زوجها في المنام، والقلعة والمعجزات والجن والعفاريت ومن يتشكل بأشكال مختلفة، ورأت ما حدث ”. (١١٦)

وتستغيث بأبيها من أجل نصرته الأمام (عليه السلام) ويدعوا الله له أن ينصره ويثبت أقدامه في المعركة. ونظر لحراجية الموقف فأن الله تعالى ارسل جبرائيل (عليه السلام) الى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً له ” السلام عليك يا محمد، ورحمته وبركاته، يا محمد، العلي يهديك السلام ويخصك بالتكريم والأحترام، ويقول لك أبلغ فاطمة مني السلام وقل لها لا تبتئس ولا تهين ولا تحزن على زوجها علي فسأرده أليها سالماً معافى، يا محمد لقد مددته بالملائكة المقربين، وأن ملكاً من هؤلاء الذين معه لو أمر بنزع السموات والأرض لنزعها بما فيها من أشجار وأنهار، ولا تهني ولا تحزني ولا تبكي فإن معه القدير الجبار أنه لا يخذل من خلق وهو على كل شيء قدير ”. (١١٧)

وأستشعاراً لمدى الخطر المحدق بالأمم (عليه السلام) فقد أرسل الله تعالى له هذه القوة، والتي من خلالها تستشعر الشجاعة التي تحلى بها، أذ أنه تصدى لذلك الخطر وحده، دون هذا المدد، وربما أراد الراوي من خلال هذا التطمين للسيدة الزهراء (عليها السلام) أن يبعث الأمل في أبناء قومه الموريسكين بأن الله تعالى لا ينسى عباده ولو كانوا لا يعلم خبرهم ألا هو فسيبعث الأمل فيهم من جديد وينصرهم على أعدائهم، وبهذا الخبر تفرح السيدة الزهراء (عليها السلام) باستجابة الله تعالى لها، بل ويكشف لها مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسنان (عليه السلام) ما يدور مع الأمام (عليه السلام)، أذ ” أمسك فاطمة من يديها، والحسن والحسين (عليه السلام) وصعد بهم الى ربوة عبد الله الأنصاري لأنها كانت أعلى ربوة في المدينة، وصاح بالأرض أن تطوى، وأن تحضر القصر وأبوابه وحجراته وتبينه. فإذا بالأرض تطوى، حتى أصبح القصر على مقربة أربعين ذراعاً من المدينة، ونظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى القصر، والى علي بن أبي طالب رض الله عنه، والى الجن والعفاريت والشياطين المحيطين بعلي بن أبي طالب من كل ناحية ومكان وعلي يتخن فيهم الضرب عن يمين وشمال فنادى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) :- دع قتل الجن والعفاريت، وعد لقتل التين الملعون المجهول، فهو ملك هذا الفريق، وستغلبه بأذن الله. فسمع علي رض الله عنه صوت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعاد لقتل التين، وصاح به صيحة مدوية، وحمل عليه بسيف النبي عليه السلام، وأعانه جبريل عليه السلام

ليقتله، فضر به ضربة شطوته نصفين، فذهب شطر في الشرق والآخر في الغرب” (١١٨) وبعد ذلك حملت ”الجن على الأمام (عليه السلام) بعد قتله للثنين والأمام يحصد أرواحهم تعينه الملائكة، الى أن أيقنت الشياطين والعفاريت والجن بعدم جدوى محاربة الأمام (عليه السلام) لعجزهم على الأتصار عليه، فطلبوا منه الأمان ودخلوا في الأسلام، وبذلك أنتهت محنة هذه القبيلة وعاد الأمام (عليه السلام) الى المدينة وقتل الأمام منهم في هذه الحرب سبعة عشر الف من الجن والعفاريت الملعونين“. (١١٩)

وهذه شجاعة منقطعة النظير للأمام (عليه السلام) في عالم تحكمه الجن والعفاريت والشياطين استطاع ان يدخلهم الى حضيرة الاسلام ويتنصر عليهم، وهذه صورة من صور الشجاعة التي رسمها الموريسكيين له.

٩. قصة علي والصبايا الأربعين

هذه القصة غريبة بعض الشيء من شخصية الأمام (عليه السلام) التي عرفها عنها التاريخ، اذ أراد الراوي أبراز فضله وشجاعته من خلال رؤيته للأحداث من وجهة نظره والتي تعكس وجهة نظر الموريسكيين، اذ عرف عن الأندلسيين قصص حبهم وعشقهم الذي أندمج مع بيئتهم وطبيعتها الخلاب، وربما أراد الراوي الموريسكي من خلال هذا الأنطباع ان يقرب شخصية الأمام (عليه السلام) من شخصية الأندلسي، فبما بعد الموريسكي ليعطي صورة اليهم بقرب الأمام (عليه السلام) وطباعة وشخصية منهم، ليخلص من هذا القرب ببعض الأتباء الذي يربطهم به فيستلهمون من شخصيته بعض ما يتمتع به من شجاعة وأقدام وتضحية في سبيل الدين والوطن.

أستهل الراوي حكايته هذه على التركيز على زواج الأمام (عليه السلام) من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومن ثم خلق رابط بين هذا الزواج ومنهج الراوي بتسليط الضوء على شجاعته أقدامه، والراوي ارتكز في بداية هذه القصة على حدث حقيقي اذ أن الزهراء (عليها السلام) كانت قد أشتكت لأبيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من نساء قريش اللواتي عيرنها من ان ابنيها زوجها من رجل فقير، فهو يروي أنه في صباحة زواج الأمام (عليه السلام) من السيدة الزهراء (عليها السلام) ”ذهبت الى الطاحونة والحناء ما زالت في يدها، وفي اليوم التالي أرادت أن تطحن، فأذا بأربعين صبية يمرون عليها، متوشحات بالحير واللؤلؤ والياقوت، ومعهن عجوز لعنها الله، فلما دخلن على فاطمة قالت لها العجوز :- يا فاطمة، أين حسنك وأين محياك الجميل وأين قدرك ؟ يا فاطمة، كان بوسعك أن تتزوجي بسيد من بني قريش، وتوشحين بمثل ما ترتديه هاتيك الصبايا من الحرائر واللؤلؤ والياقوت، لقد تزوجتي من علي بن أبي طالب وفيه أربع مثالب وعيوب :- فعلي خفيف الشعر، وعلي ضخم الوسيدة، وعلي نحيف الساقين،

وعلي فقير لا يملك شروى فقير. ومضوا عنها وتركها تنتحب ” (١٢٠).

نلاحظ أن الراوي يلبس أحداث المدينة ثوباً أندلسياً أذ لا وجود للطواحين في زمن الأمام علي (عليه السلام)، ولا وجود لهكذا نسوة يلبسن الحلي والجواهر بهذه الكم، ولا توجد تلك الأمور ألا في مخليه الموريسكي بالنسبة للمشرق. فلما دخل عليها الأمام علي (عليه السلام) ووجدها تبكي وعرف السبب أخذ يفند أقوال العجوز بأنه خفيف الشعر من لبس البيضة في الحرب، وبطنه أصبحت كذلك لأنه باب مدينة العلم وقد ملئت علماً، وساقه من كثر الحروب وركب الجواد، واما فقره فقد أجابها ”يا فاطمة، أولاً تستحين من أن يعينني بالفقر وابوك النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أفقر مني ؟ فلما أنتهى علي من قول هذه الكلمات غضبت فاطمة غضباً شديداً، وذهبت الى بيت أبيها، فندم علي على ما قال ” (١٢١).

نلاحظ من أجوبة الأمام (عليه السلام) حول ما عُد من مثالب عليه أنه سخرها مناقب له، ولم يثبت عن الأمام (عليه السلام) في سيرته مع الزهراء (عليها السلام) أن غضبت بهذا الشكل أو نعتها الأمام (عليه السلام) بهذه الألفاظ، ألا أن الراوي - وكما أسلفنا سابقاً - يلبس الأمام (عليه السلام) بعض الصفات التي يتحلى بها انطلاقاً منه ومحيطه.

ويحاول الراوي أصلاح موقف الأمام (عليه السلام) من السيدة فاطمة (عليها السلام) وما ترتب على ذلك من خوفه من أن يكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد حمل عليه بعض ما قال لفاطمة، فجعل بطله يدعوا الله تعالى - أن يرسل له جيش يحاصر المدينة ثم يظهر شجاعته أمام الزهراء (عليها السلام) وابيها (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين لكي يريها بطولاته أمام عينيها لتفتخر به الزهراء أمام نساء المدينة لا سيما العجوز ونسوتها الأربعين، وفعلاً أستجاب الله تعالى الى دعوة الأمام علي (عليه السلام)، ويأتي جيش يحاصر المدينة يبلغ تعداداه ثمانين ألف فارس، من كل حذب وصوب.

وارسل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الأمام (عليه السلام) ليشاوره بخصوص هذا الجيش فيرد عليه قائلاً :- ” يا رسول الله ماذا أمرت لهذا الجيش ؟ فقال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) :-

يا علي لقد أعددتنا شيئاً.

فقال علي :-

وما هو ذلك الشيء ؟

فقال النبي :-

يا علي اليوم يوم الجمعة، سنخطب في المسلمين، وغداً الأحد (!) عيد النصر لعنهم الله، ويوم الاثنين أن شاء الله نخرج مع المهاجرين والأنصار". (١٢٢)

وهذا دليل آخر على أن الراوي يتكلم بلسان حاله وهو واضح من خلال نظراته الى يوم الأحد بإعتباره عطلة النصر. إذ لا يوجد هذه النظرة الى الأحد في ألا في أسبانيا، وألا ما علاقة الأحد وعطلته والنصارى بحرب مع المشركين في الجزير العربية وبعد ذلك يضع الأحد مباشرة بعد الجمعة ولا أعلم كيف أستساغ ذلك.

وهنا يبرز الأمام (عليه السلام) شجاعته قائلاً: - "يا رسول الله، تترك المدينة سبعة أيام وفيها علي بن أبي طالب، وشرف ربي وكرمه لن يخرج اليهم سواي، وثقتي في الله أنه سيعينني، وهو على كل شيء قدير". (١٢٣)

والراوي هنا جعل شخصية الأمام (عليه السلام) أثبت في هذا الموقف من شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أمر بجانب الحقيقة. وطلب الأمام علي (عليه السلام) من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يرسل الى فاطمة (عليها السلام) وأن يقول لها "أن تصعد الى جدران المدينة تلك، وأن تبعث لطلب الصبايا الأربعين والعجوز حتى يرين ماذا سيفعل ذو الشعيرات القليلة". (١٢٤)

وتأتي فاطمة (عليها السلام) والصبايا المتوشحات بالحرير ومعهن العجوز لعنهن الله. ولم تكن فاطمة تلبس شيئاً من ذلك. "عندئذ بعث الكريم بكرمه جبرائيل عليه السلام كي يذهب الى رضوان خازن الجنان ليعطيه ثوباً من ثياب الجنة لتلبسه فاطمة بين تلك الصبايا، وكذلك فعل جبرائيل، فجاء بثوب من ثياب الجنة ولبسته فاطمة وعجبت الصبايا من جمال هذا الثوب". (١٢٥)

ولتأكيد على فقر الأمام علي (عليه السلام) فقد جعل الراوي أيضاً حصان الأمام (عليه السلام) هزيل ضعيف لم يأكل منذ أربعة أيام. وخاطبه قائلاً "يا حصاني، لو فعلت معي أمراً منكراً لتركك في يد من يرانا ولا نراه. عندئذ نهض الحصان، فوضع عليه السرج وشد الحزام وأمتطق سيفه وركب حصانه، وبدا كأنه أسد هصور". (١٢٦)

وخرج الأمام علي (عليه السلام) مودعاً الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة حتى بكى "النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجميع الصحابة". (١٢٧)

وطلب الأمام المبارزة من الملك فأمر الملك أحد شجاعته بالبروز الى الأمام وقال له: - "من أنت أيها الفارس؟ قال علي بن أبي طالب :-

- أسمى على طرف رحمي، فلن يعرفه ألا من يغلبني.

- وقال له علي :-

- أيها الفارس، لماذا جئتم بهذا الجيش، وماذا تريدون من تلك المدينة ؟

قال الفارس :-

- جئنا لهدم المدينة، ولكي نحمل رأس علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورأس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)”.^(١٢٨) وهنا ومن مقولة الفارس الشجاع يتبين مدى أهمية الأمام (عليه السلام) ومكانته في ذلك الوقت، أذ جعلته الرواية صنو لصاحب الدعوة (صلى الله عليه وآله وسلم) بحيث أن تلك الجيوش تجيشت لأمرين فقط أحدهما القضاء على الأمام علي (عليه السلام). فيتبارزان معاً بشجاعة فائقة فيضرب الأمام علي (عليه السلام) الفارس بسيفه ضربة شقه نصفين وشرطت حصانه كذلك، وسارع بروحه الى النار ”^(١٢٩).

ويتدارك الأمر الملك بعد أن تعرض لأحراج شديد أمام شجاعة الأمام علي (عليه السلام) أذ أن فارس واحد أخرج الألوف المؤلفة فخطبهم مثيراً فيهم روح القتال قائلاً ” ألا من يأتيني برأس هذا الفارس وأنا أهبه أبنتي ونصف مملكتي ”.^(١٣٠)

ويبرز له فارس من أشجعهم ويقتله الأمام علي (عليه السلام) أيضاً.

” ثم هتف علي بن أبي طالب :-

- أنا علي، فمن لم يعرفني سأعرفه بأسمه.

فلما قال علي ذلك أصابهم الخزي والعار، وصاح بهم :-

- فليخرج منكم الفارس أثر الآخر، أو لتجتمعوا كلكم.

- فأجتمع إليه عشرة فرسان، فقتل منهم خمسة وهرب الآخرون.

وعاد علي يهتف :-

- أخرجوا يا أعداء الله فليس هناك أسم فوق أسمى.

ولما لم يخرج أحد، أخترق علي وسط الجيش، وأختفى في الناس ساعة عظيمة الهول، ولم يعرف عنه فيها خبر،

وبكى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لفقد علي". (١٣١)

ثم خرج الأمام علي (عليه السلام) من الجيش وقد أثخن فيهم القتل والجروح وثيابه كلها ملطخة بالدم. وتنتهي المعركة بانتصار الأمام علي (عليه السلام).

وبعد ذلك نأتي الى محور الحكاية وهي موقف السيدة الزهراء (عليها السلام) من تلك الشجاعة أذ أقبل لها إليها الأمام علي (عليه السلام) وخاطب الصبايا قائلاً: "يا جماعة الصبايا، ماذا ترين فيمن هو قليل الشعر، وضخم الوسيدة، ونحيف الساقين وفقير". (١٣٢)

فأحرجهن بسؤاله، ثم عرض عليهن الإسلام فأسلمن، وقال الراوي "فقال الأمام علي بن أبي طالب للعجوز:-

- هل ستقولين لا أله إلا الله محمد رسول الله ؟

ف قالت العجوز:-

- واللات والعزى، لو قطعوا لساني قطعاً ونشروني بالمنشار، ما قلت هذه الكلمات أبداً.

عندئذ أمسك بها علي بن أبي طالب، وضربها ضربة شطرتها شطرتين، وسارع الله بروحها الى النار". (١٣٣)

ومن خلال هذا النص نرى مدى جهل الراوي بتفاصيل التركيبة السكانية لأهل المدينة وديانتهم، أذ يعتقد أن هناك من كان يعبد الآلات والعزى بهذه الصراحة، على اعتبار أنتشار هذا الدين في الجزيرة العربية بصورة كبيرة وظاهرة للعيان وهو خطأ تاريخي.

الهوامش:

١. مريثدس، غارثيا أرينال، الموريسكيين الأندلسيين، ترجمة جمال عبد الرحمن، مجلس الأعلى للثقافة، (مصر، ٢٠٠٣ م)، ص ٣٦-٣٨.
٢. أورتادو دي مندوثا، حرب غرناطة، ترجمة أيان عبد الحليم وسلوى محمد، المركز القومي للترجمة، (مصر، ٢٠٠٨ م)، ص ٣٧-٣٨.
٣. ينظر مطهر، علي، محاكم التفتيش في أسبانيا والبرتغال وغيرها، المكتبة العلمية، (مصر، بلات)، ص ١٣٧-١٣٨.
٤. المرجع نفسه، ص ٤٩.
٥. دومينغيث أورتيث، برناند فينسينت، تاريخ الموريسكيين مأساة أقليلية، ترجمة عبد العال صالح، المجلس الأعلى للثقافة، (مصر، ٢٠٠٧ م)، ص ١٣٨-١٣٩.
٦. حتملة، محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور التجارية، (الأردن، ٢٠٠٠ م)، ص ٦٧١-٦٧٢.
٧. فضل، صلاح، ملحمة المغازي الموريسكية دراسة في الادب الشعبي المقارن، دار المعارف (لبنان، ١٩٨٩ م)، ص ٢٥.
٨. فضل، ملحمة المغازي الموريسكية، ص ٢٧.
٩. الونشريسي، ابو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني، (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م)، اسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر، وما يترتب عليه من الصعوبات والزواج، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، مج ٥، ع ١-٢، لسنة ١٩٥٧ م، ١٢٩.
١٠. عنان، محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، ٢٠٠١ م)، ج ٧، ص ٣٤٣.
١١. فضل، ملحمة المغازي الموريسكية، ص ٣١-٣٢.
١٢. النبوءة لا تحتاج الى قول بأنها موضوعة فسطورها تبنى عن ذلك.
١٣. مريثدس، الموريسكيون الأندلسيون، ص ٦٣-٦٤.
١٤. المرجع نفسه، ص ٦٤.
١٥. المرجع نفسه، ص ٦٥.
١٦. المرجع نفسه، ص ٦٦.
١٧. فضل، ملحمة المغازي الموريسكية، ص ٨٩.
١٨. المرجع نفسه، ص ٨٩.
١٩. مريثدس، الموريسكيون الأندلسيون، ص ٧٩.
٢٠. فضل، ملحمة المغازي الموريسكية، ص ٨٩-٩٠.
٢١. عبد الرحمن، جمال، قراءة في المخطوط ٩٦٥٤ بمكتبة أسبانيا الوطنية، نشر ضمن كتاب دراسات أندلسية موريسكية، المركز القومي للترجمة، (مصر، ٢٠٠٨ م)، ص ١١٢.
22. Galmes de Fuentes: El Libro de las Batallas, tomo I, ed. Gredos, Madrid, 1975, p.51.
٢٣. عبد الرحمن، قراءة في المخطوط ٩٦٥٤، ص ١١٣.
٢٤. المرجع نفسه، ص ١١٣.
٢٥. شانت ياقب هو القديس يعقوب وهو احد حواريين السيد المسيح (عليه السلام)، الذي يقال انه وصل في تبشيره

بالمسيحية الى جليقة في أقصى الشمال الغربي لاسبانيا، ويقال انه قتل هناك فحمله تلاميذه بعد مقتله إلى البحر فقادتهم الرياح إلى هذا المكان، وقاموا بدفن الجثة هناك، ومع مرور الوقت إندثر القبر ولم يعرف مكانه، إلى عام (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م)، عندما زعم أحد القساوسة أنه اكتشف القبر، وقد أرشده ضوء نجم، فصدقها الناس، وعندها أصبحت هذه الأرض مقدسة لدى النصاري، فأنشأت فوقها كنيسة، وأصبح الناس يقيمون حول هذه الكنيسة إلى أن تطورت وأصبحت مدينة سميت بمدينة شانت ياقب وهي بالإسبانية (سانتياغو دي كومبوستيلا) وكلمة كومبوستيلا مشتقة من الكلمة اللاتينية والتي تعني سهل النجمة، والذي اهتمى به القس.

ينظر حول ترجمته

Pedro Aguado Bleye : Manual de historia de Espana، Madrid، 1947، I، p. 479-481؛ http://ar.wikipedia.org/wiki/سانتياغو_دي_كومبوستيلا

٢٦. عبد الرحمن، قراءة في المخطوط ٩٦٥٤، ص ١١٣.
٢٧. المرجع نفسه، ص ١١٩.
٢٨. المرجع نفسه، ص ٢٠.
٢٩. فضل، ملحمة المغازي الموريسكية، ص ١٧٠.
٣٠. فضل، ملحمة المغازي الموريسكية، ص ١٧١.
٣١. المرجع نفسه، ص ١٧٤.
٣٢. المرجع نفسه، ص ١٧٥.
٣٣. المرجع نفسه، ص ١٨٢.
٣٤. المرجع نفسه، ص ١٨٢.
٣٥. المرجع نفسه، ص ١٨٩.
٣٦. المرجع نفسه، ص ١٨٩.
٣٧. المرجع نفسه، ص ١٩٢.
٣٨. المرجع نفسه، ص ١٩٢.
٣٩. المرجع نفسه، ص ١٩٣.
٤٠. المرجع نفسه، ص ١٩٣.
٤١. المرجع نفسه، ص ١٩٤.
٤٢. المرجع نفسه، ص ١٩٥.
٤٣. المرجع نفسه، ص ١٩٥.
٤٤. المرجع نفسه، ص ١٩٦.
٤٥. المرجع نفسه، ص ١٩٧.
٤٦. المرجع نفسه، ص ١٩٨.
٤٧. المرجع نفسه، ص ٢٠١.
٤٨. المرجع نفسه، ص ٢٠١.
٤٩. المرجع نفسه، ص ٢٠٢.
٥٠. المرجع نفسه، ص ٢٠٢.
٥١. المرجع نفسه، ص ٢٠٣.

٥٢. المرجع نفسه، ص ٢٠٣.
٥٣. المرجع نفسه، ص ٢٠٥.
٥٤. المرجع نفسه، ص ٢٠٩.
٥٥. المرجع نفسه، ص ٢٠٩.
٥٦. المرجع نفسه، ص ٢١٠.
٥٧. المرجع نفسه، ص ٢١١.
٥٨. المرجع نفسه، ص ٢١١.
٥٩. المرجع نفسه، ص ٢١٥.
٦٠. فضل، ملحة المغازي الموريسكية، ص ٢١٦.
٦١. المرجع نفسه، ص ٢١٦.
٦٢. المرجع نفسه، ص ٢١٦.
٦٣. المرجع نفسه، ص ٢١٧.
٦٤. المرجع نفسه، ص ٢١٨.
٦٥. مريديس، الموريسكيون الاندلسيون، ص ٨٥.
٦٦. المرجع نفسه، ص ٨٦.
٦٧. المرجع نفسه، ص ٨٧.
٦٨. المرجع نفسه، ص ٩٠.
٦٩. المرجع نفسه، ص ٩١.
٧٠. المرجع نفسه، ص ٩١.
٧١. المرجع نفسه، ص ٩٣.
٧٢. المرجع نفسه، ص ٩٣.
٧٣. المرجع نفسه، ص ٩٣.
٧٤. المرجع نفسه، ص ٩٤.
٧٥. المرجع نفسه، ص ٩٤.
٧٦. المرجع نفسه، ص ٢٣٧.
٧٧. المرجع نفسه، ص ٢٣٧.
٧٨. المرجع نفسه، ص ٢٣٨-٢٣٩.
٧٩. المرجع نفسه، ص ٢٥٠.
٨٠. المرجع نفسه، ص ٢٥١.
٨١. المرجع نفسه، ص ٢٥٣.
٨٢. المرجع نفسه، ص ٢٥٥.
٨٣. المرجع نفسه، ص ٢٥٥.
٨٤. المرجع نفسه، ص ٢٥٦.
٨٥. المرجع نفسه، ص ٢٥٧.

٨٦. المرجع نفسه، ص ٢٦٠.
٨٧. المرجع نفسه، ص ٢٦٠.
٨٨. المرجع نفسه، ص ٢٦١.
٨٩. المرجع نفسه، ص ٢٦٢.
٩٠. فضل، ملحمة المغازي الموريسكية، ص ٢٦٣.
٩١. المرجع نفسه، ص ٢٦٤.
٩٢. المرجع نفسه، ص ٢٦٠.
٩٣. المرجع نفسه، ص ٢٦٧.
٩٤. المرجع نفسه، ص ٢٦٧.
٩٥. المرجع نفسه، ص ٢٦٩.
٩٦. المرجع نفسه، ص ٢٧١.
٩٧. المرجع نفسه، ص ٢٧٢.
٩٨. المرجع نفسه، ص ٢٧٢.
٩٩. المرجع نفسه، ص ٢٧٢.
١٠٠. المرجع نفسه، ص ٢٧٣.
١٠١. المرجع نفسه، ص ٢٧٤.
١٠٢. المرجع نفسه، ص ٢٧٤.
١٠٣. المرجع نفسه، ص ٢٧٥.
١٠٤. المرجع نفسه، ص ٢٧٦.
١٠٥. التقليدي، جعفر، الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية (في أحوال أمير المؤمنين وفضائله ومناقبه وغزواته "ع
"، المطبعة الحيدرية، (النجف الاشرف. ١٩٦٢م)، ص ٢٦٥.
١٠٦. فضل، ملحمة المغازي الموريسكية، ص ٢٧٨.
١٠٧. المرجع نفسه، ص ٢٨٠.
١٠٨. المرجع نفسه، ص ٢٨١.
١٠٩. المرجع نفسه، ص ٢٨١.
١١٠. المرجع نفسه، ص ٢٨١.
١١١. المرجع نفسه، ص ٢٨٢.
١١٢. المرجع نفسه، ص ٢٨٤.
١١٣. المرجع نفسه، ص ٢٨٥.
١١٤. المرجع نفسه، ص ٢٨٦.
١١٥. المرجع نفسه، ص ٢٨٦.
١١٦. المرجع نفسه، ص ٢٨٧.
١١٧. المرجع نفسه، ص ٢٨٩.
١١٨. المرجع نفسه، ص ٢٨٩-٢٩٠.

١١٩. المرجع نفسه، ص ٢٩١.
١٢٠. المرجع نفسه، ص ٢٩٣.
١٢١. المرجع نفسه، ص ٢٩٥.
١٢٢. المرجع نفسه، ص ٢٦٩.
١٢٣. فضل، ملحمة المغازي الموريسكية، ص ٢٩٧.
١٢٤. المرجع نفسه، ص ٢٩٧.
١٢٥. المرجع نفسه، ص ٢٩٧.
١٢٦. المرجع نفسه، ص ٢٩٧-٢٩٨.
١٢٧. المرجع نفسه، ص ٢٩٨.
١٢٨. المرجع نفسه، ص ٢٩٨-٢٩٩.
١٢٩. المرجع نفسه، ص ٢٩٩.
١٣٠. المرجع نفسه، ص ٢٩٩.
١٣١. المرجع نفسه، ص ٣٠٠.
١٣٢. المرجع نفسه، ص ٣٠٠.
١٣٣. المرجع نفسه، ص ٣٠١.

الخلاصة

١. كانت محاكم التفتيش بمثابة الموت المحقق لمن يمثل أمامها، وكانت أدوات فاعلة لمحو آثار العرب وتراثهم (نسبياً) في إسبانيا.
٢. احتفاظ المورييسكيين بدينهم وتمسكهم به رغم ما تعرضوا اليه من محن في سبيل ذلك.
٣. اضطارهم الى اللجوء الى التقية في تعاملهم مع الإسبان من أجل الحفاظ على دينهم.
٤. ممارسة الإسبان بعض التنصير القسري على مسلمي الأندلس بآثار بالفشل أمام تمسك الأندلسيين بدينهم.
٥. حب الأندلسيين لأرضهم ودفاعهم عن وطنهم جعلهم يتمسكون بالأرض حتى وأن خالفوا بعض الفتاوي التي تحثهم على الرحيل.
٦. اللجوء الى بث الأمل في الأمة الأندلسية المنكوبة من خلال أستذكار تاريخهم الإسلامي المشرق.
٧. اعتمادهم على شخص الأمام علي (عليه السلام) في تحفيز المسلمين على الثورة من خلال ابراز شجاعته التي تحلى بها.
٨. كان الأمام (عليه السلام) خير من مثل الوجه الرسالي للإسلام الحقيقي علماً وورعاً وشجاعة.
٩. أتمت شخصية الأمام علي (عليه السلام) بنظر المورييسكي بالكمال الإنساني في شجاعته، أذ عول عليه في كل ملمة المت بالمسلمين فكان المفرز لهم، ولم يخيب أمالهم في كل حرب خاضها اذ أنتصر في كل حروبه على أعداء الدين.
١٠. أضيفت على شخصية الأمام علي (عليه السلام) أحداث وبطولات أقرب الى الأسطورة فظهرت شخصيته أشبه - في بعض الأحيان - الشخصيات الأسطورية اليونانية.
١١. أنتقلت أخبار الأمام (عليه السلام) وشجاعته الى الأسبان فعرفوه عن طريق الأندلسيين وأعجبوا بشجاعته وربما تمنوا على تاريخهم بشخص مثله فأعتقدوا أنه أحدى شخصياتهم التاريخية في ما بعد.
١٢. لم تمثل هذه المغازي مغازي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من حيث الدقة في الرواية

التاريخية أذ أنحرفت في كثير من الأحيان عن المغازي وأحداثها الثابتة تاريخياً.

١٣. لم يذكر الراوي تاريخياً واحداً لتلك المغازي خلافاً لما هو معول به في التراث المشرقي.

١٤. تكلم الراوي في كثير من الأحيان على لسان الأمام (عليه السلام) حتى أخرجه ذلك عن حقيقة شخصيته، كأمثال اللعن والشتم التي أجراها الراوي على لسان الأمام علي (عليه السلام) وهو ما لم يعرف عنه.

١٥. رواية المغازي مرسله لم تسند سنداً تاريخياً وهي أشبه بالأدب الشعبي منه الى المغازي.

١٦. الخلط الواضح بأسماء الشخصيات الإسلامية سواء كانت فيما يخص الراوي او الشخصيات الإسلامية ذات الحدث التاريخي في المغازي اذ يخلط الراوي بالأسماء أو يعهد الى شخصيات غير معروفة ويتحدث عنها.

١٧. جعل الراوي التام بالشخصيات الإسلامية التي تروي سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقربها وبعدها عن زمانه اذ يروي في بعض الأحيان في مغازيه الصحابي من التابعي وبعضهم غير معروفين تاريخياً.

١٨. جعل الراوي خالد بن الوليد شخصية رديفة الى الأمام (عليه السلام) لشجاعته، غير أنه لم يرتقني الى مستوى الأمام (عليه السلام) وشجاعته لذلك تراه في كل واقعة يستنجد بالأمام علي (عليه السلام).

١٩. كان لسيف الأمام (عليه السلام) ذو الفقار حضوراً في الرواية التاريخية عند الموريسكين نظراً لصيته الذائع كسيف رافق بطولات حاملة.

٢٠. أعجاب الراوي بشخصية الأمام علي (عليه السلام) جعله يقع في خطأ كبير أذ نسب الى الأمام (عليه السلام) القصة التي دارت أحداثها بينه وبين السيدة فاطمة الزهراء (عليه السلام)، أذ لم يعرف عن الأمام (عليه السلام) أنه كان يراي في أعماله وسائر حروبه، ولم يصل الأمر به الى التخاصم مع زوجته الزهراء بهذه الأمور السطحية.

٢١. كانت النهاية بالموت لكل من أعترض طريق الأمام (عليه السلام) وكان الباحث على يقين من ذلك فكان يختم بكلامه ”وجعل بروحه الى النار“ ثقة منه به وبشجاعته.

٢٢. لم يؤثر في أغلب الأحيان التراث الأموي المتواجد في الأندلس على حب الموريسكيين وتعلقهم بالأمم (عليه السلام)، أو ربما لبعء المساحة التاريخية بين الأمويين والموريسكيين أو لعله تنوسي أمرا لخلاف ذلك وأهتموا باستعادة أمجادهم الضائعة .

٢٣. أعتامد الراوي على ثقافته الأندلسية الإسبانية والصاقها بالأمم (عليه السلام) غير مدرك للفرق بين الثقافة المشرقية والأندلسية الإسبانية .

الفصل الثاني: أهل البيت (عليهم السلام) في الاستشراق الاسباني

مارمول كاربخال إنموذجاً (١٥٢٠-١٦٠٠م)

المستخلص:

اهتم هذا البحث بتتبع احوال اهل البيت (عليهم السلام) في الاستشراق الاسباني بعصوره الاولى وبدايات تلامسهم مع العرب، ولاسيما عند مارمول كاربخال الذي يعد من اوائل الاسبان الذين كتبوا في تاريخهم عن المسلمين، محاولين بصوره او اخرى تفهم طبيعة المسلم وديانته للتعرف عليها عن كثب لإفحامهم فكريا وكذلك التعرف على حياتهم الخاصة من اجل فهم طبيعة المسلم لمحاكاته فكريا تأثر بالمسلمين لما يمتلكونه من حضارة متميزة في ذلك الوقت. واستطعنا تتبع سيرة اهل البيت (عليهم السلام) من خلال مؤلفات هذا المستشرق، الذي تشوبها معلومات مغلوطة احيانا، او مقصودة احيانا اخرى محاولة منه لتشويه صورتهم لاسيما صاحب الرسالة (ص) منهم، غير متناسين الاحداث النادرة التي يذكرها، والتي اختلف فيها المسلمون فيما بينهم، فوافق فرق وخالف اخر حسب رؤيته للأحداث.

Abstract

This paper traced the accounts provided by the early Spanish orientalists of the prophets' family (Ahlu Albait), especially in Marmool Karbakhal's work, who is considered one of the earliest Spanish scholars to write about the Muslim in an attempt to understand the nature of Islam and that of Muslims, whose civilization was of interest to many at the time. The researcher has traced the accounts of Ahlu Albait provided by this orientalist; these accounts sometimes included intentionally misleading information in order to defame Ahlu Albait's image. The paper highlights how Karbakhal cherry picked certain historical events to support his view, as he agreed with some historical accounts and refuted others based on his bias.

المقدمة

أولاً: الاستشراق الاسباني

كان الاسبان من أوائل الشعوب الاوربية الذين احتكوا احتكاكاً مباشراً بالحضارة الإسلامية. نظراً لأن المسلمون قد استمروا بالسيطرة على اسبانيا لأكثر من ثمانية قرون. لذلك من الممكن ان نعد الاستشراق الاسباني هو الرائد الأول في الدراسات الإسلامية في اوروبا^١ لاسيما وان بعض هؤلاء الاسبان قد اعتنقوا الديانة الإسلامية والبعض الآخر استعربوا الثقافة العربية الإسلامية ونهلوا من معينها ويطلع عليهم تاريخياً اسم المستعربون.

واخرون جاوروها فاصبحوا جزءاً من هذه الحضارة فكان الحوار الحضاري بين أبناء الأرض المشتركة يتخلله حوار او صراع ديني فضلاً عن السياسي - من اجل اثبات احقية اتباع الملتين بديانتهم والتعرف عن قرب على تلك الديانات وما تحمله من ايدولوجية فكرية محاولة التأثير باتباع كليهما او النيل من الطرف الآخر وقد سخر الاسبان منذ وقت مبكر امكانياتهم العلمية في سبيل التعرف على الطرف الآخر فاخذوا يقتربون بالدرس والمطالعة من الحضارة المجاورة لهم وبعثوا طلابهم ينهلون من معين المعرفة الإسلامية التي اعجبوا بها ايما اعجاب اذ برز الاستشراق هنا لإيقاف التأثير الإسلامي في العالم الغربي، ثم تطور ليخدم مشروع تنصير المسلمين. وقد كان هدف الاستشراق منذ نشأته خدمة الكنيسة^٢، "وقد تعاونت الكنيسة مع ملوك اوروبا على شد ازر المستشرقين والتمكين لهم في مهمتهم التي كان نصفها الأول سياسياً ونصفها الآخر تبشيرية تعصبياً"^٣ وحسب ما يرى بعض الباحثين فان "الاستشراق قد يبدأ بنشاط الرهبان في مجال الترجمة، حيث توجهت البعثات العلمية المسيحية الى الاندلس"^٤.

ونمت الدراسات العربية في اسبانيا بطريقة تختلف عن ما هي عليه في البلدان الاوربية الأخرى، بدافع الاهتمام بهاضي البلاد والمشاركة بدافع الحماس غالباً في الصراع الدائر حول طبيعة القرون الثمانية للسيادة الإسلامية وقيمتها. إذ تعد العمارة والنقوش، والعملات، والوثائق المحفوظة شاهداً ناطقاً على سطوة التأثير العربي في الالفاظ الاسبانية والاسماء الجغرافية لشبه الجزيرة^٥.

وربما حاول بعض المفكرين ابراز الأثر الكبير للحضارة العربية الإسلامية على اوروبا، ومنهم على سبيل المثال الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا اذ صرخ قائلاً "ان هناك قدراً من الجهل بالفضل الذي تدين به ثقافتنا وحضارتنا لعالم الإسلام، فالعالم الإسلامي في العصور الوسطى كان عالماً

ازدهر فيه الباحثون المختصون ورجال العالم، ولكننا جنحنا الى تجاهل ذلك، وقللنا من اهميته ثمان مائة سنة، كانت اوروبا خلالها عالة على اسبانيا الاسلامية، التي حافظت على العلوم والمعارف، فوضعت الثقافة الإسلامية بالأندلس أساس اللبنة الأولى للنهضة الأوربية^٦ ويضيف "كانت اسبانيا في عهد المسلمين اكثر من مجرد مخزن للاحتفاظ بالعلوم والمعارف الشرقية، بل فسرت تلك الحضارة، وتوسعت بها، وقدمت مساهمة هامة في جانبها في كثير من مجالات البحث الإنساني، في العلوم والفلك والرياضيات والجبر، والقانون والتاريخ والطب وعلم العقاقير والبصريات والزراعة والهندسة المعمارية وعلم الدين والموسيقى، وقد ساهم ابن رشد في الشرق في دراسة الطب وممارسته بطرائق انتفعت بها اوروبا لقرون عدة"^٧.

وقد تميزت المدرسة الاسبانية "عن غيرها من المدارس الاوربية بعكوفها على الإنتاج الفكري الذي تركه المسلمون في اسبانيا. ومن ثمة أتيحت للإسبان فرصة تأسيس دراسات تاريخية - فكرية - نقدية اعتماداً على الوثائق والآثار الشاهدة وليس على الفرض والتخمين بالإضافة الى الثنائية الأولى (ذات/ اخر) يأتي الوجه الآخر للإشكالية وهو (سيرة/ تأريخ) = (سيرة/ استشراق)^٨.

وفيما يتعلق بالدراسات التاريخية حول سيرة الرسول محمد (ﷺ) فقد كانت أولى المحاولات لبداية اهتمام الاسبان بالسيرة النبوية يعود الى القرن التاسع الميلادي^٩. وكنموذج لذلك الاهتمام بالسيرة النبوية فقد اهتم الاسبان بحادثة الاسراء والمعراج والتي هي جزء من سيرة الرسول محمد (ﷺ)، والتي ترجمت الى الاسبانية، وهي التي اوحى الى دانتي كتابه الكوميديا الالهية^{١٠}.

وترجمت هذه القصة الى الاسبانية سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م او سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٧م^{١١} وتحديداً في زمن الفونسو العالم^{١٢} ومنها انتقلت الى اللاتينية والفرنسية^{١٣}.

وكانت هذه القصة هي اكبر قصص السيرة النبوية انتشرت في اسبانيا واوروبا وكون الغرب صورته عن صاحب الرسالة (ﷺ) من خلال تلك الروايات التي تناقلها الاندلسيون في كتبهم وفي تراثهم الشعبي "الا ان معظم الكتابات الغربية ومنها الكتابات الإسبانية التي تناولت سيرة النبي (ﷺ) قد تلوّثت بفيروس مناخ المواجهة بين الشرق والغرب، وانتمت الى نظام من المعرف محكومة بعلاقات القوة والمصالح الدنيوية التي كثيراً ما تتخذ الدين مظلة أيديولوجية لها، وتتخذ ذلك ذريعة لتدجين الآخر واحتوائه، والسيطرة عليه وتقدير مصيره"^{١٤}.

ثانياً: المستشرق مارمول كاربخال (١٥٢٠-١٦٠٠م).

من هؤلاء المستشرقين الذين كتبوا في التاريخ الإسلامي في ثانيا كتبهم وتناولوا حياة الرسول محمد (ﷺ) بشيء من الاختصار المؤرخ والكاتب الاسباني مارمول كاربخال.

١. ولادته ونشأته:

ولد مارمول في غرناطة سنة ١٥٢٠م^{١٥} "وخرج من مسقط راسه وهو حديث السن، فسار في جيش الامبراطور شارلكان الذي غزا تونس سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م وحضر احتلال هذه المدينة، وبعد مغادرة الاسطول الامبراطوري لتونس بقي مارمول في شمال افريقيا يقوم بمهمة كلفه بها شارلكان، وطال مقامه في هذه البلاد نحو اثنتين وعشرين سنة، اسر خلالها من طرف الشرفاء السعديين، وبقي عندهم اسيراً سبعة أعوام وثمانية اشهر، يسير في ركبهم اين ما ساروا عبر بلاد السوس الأقصى والصحراء. او في منطقتي فاس وتلمسان وغير ذلك من الجهات التي تنقلوا فيها، وعاصر مارمول ثلاثة من ملوكهم: احمد الاعرج، ومحمد المهدي الشيخ، وعبد الله الغالب، ووصف عن مشاهدة حربهم وسلمهم، وخلافهم ووفاقهم، وأفراحهم وأتراحهم، وبخاصة علاقتهم بمنافسيهم من المواطنين ملوك فاس، والأتراك الجزائري. وذلك ما يجعلنا نقدر ان اسره بالمغرب كان في أواخر فترة مقامه بأفريقيا، أي من سنة ٩٥٩هـ / ١٥٥٢م الى سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م^{١٦}.

٢. عودته الى اسبانيا:

وكان من المعتاد عند عودة الأسير الى اسبانيا ان يقدم تقريراً الى محكمة التفتيش يؤكد فيه ان ايمانه الكاثوليكي لم يتزعزع خلال فترة الاسر، لكن مارمول لم يفعل ذلك، وربما لهذا السبب (ولأنه ابن لزوجة غير شرعية قد تكون ثانية) اتهم بان اصوله موريسكية. خلال ثورة الموريسكين عينه الأمير خوان دي اوستريا مفتشاً على مشتريات الجيش الاسباني، لهذا أتيحت له ان يتابع تطورات الحرب ضد الموريسكين عن قرب. بعد اخماد الثورة استقر في غرناطة وبدأ في وضع كتابه إفريقيا^{١٧} وعاد الى اسبانيا في عام ١٥٥٧م أي بعد ٢٢ عاماً بعد وصوله الى تونس في عام ١٥٣٥م ويعتقد بانه دخل إيطاليا بعد عودته الى اسبانيا^{١٨}.

٣. عائلته:

"كان والدا مارمول اسبانيين لطرفين، ممن وفد على غرناطة بعد سقوطها في يد الملكين الكاثوليكين سنة ١٤٩٢م. وقد كان والده، بدرو رجلاً مرموقاً في غرناطة معدوداً من طبقة

ايعانها، والمتعلمين بها، اذ كان بها كاتباً في مجلسها، اما امه، فلا ندرى عنها شيئاً، الا انها لم تكن زوجة شرعية لأبيه، بل كانت خليلته، يبدوا ان هذين الوالدين، واولاده سرّاً على وجه السفاح، تقول الموسوعة الالكترونية ويكيديا، في نسختها الاسبانية كان ابن سفاح لكاتب في مجلس (مستشاري) غرناطة، اسمه بيدرو دي المرمول، ويبدوا انه اعترف به، في عام ١٥٢٨. وهذا يعني انه لم يعترف به ابوه ويستلحقه، الا بعد ان كان عمر مرمول، قد بلغ الثامنة. ان لم يكن أكثر من ذلك قليلاً، وهو الأرجح في نظرنا بحسب القرائن، ولا شك في ان تنكير ابيه له، قد خلق له عقدة نفسية، واحسب ان هذه العقدة كانت من وراء تبكير مرمول، باختيار الخدمة في الجيش، في دار الإسلام، بدلاً من الاقبال على العلم، او خدمة الكنيسة، اذ كانت خدمة تمكنه من الهجرة والتنقل والابتعاد عن غرناطة، حيث يعرف الناس جميعاً انه ابن سفاح، بقدر ما تمكنه من المجد ورفعة المكان^{١٩}.

وكان له اخ بلغ مرتبة عالية في الدولة الاسبانية، وهي مرتبة الكتابة في أحد مجالس ممالك الدولة الاسبانية. وبالضبط في مجلس قشتالة، استعان به احياناً في قضاء بعض مآربه. يقول في تقديمه لهذا الكتاب "فكتبت الى بدرو سباطة دي المرمول، وهو اخي الكاتب بغرفة مجلس قشتالة الملكي، ان يقبل يدي سيادتكم، وان يتوسل اليكم بالتفضل عل هذا التاريخ بإنعامكم"^{٢٠}.

٤. مؤلفاته:

للمرمول مؤلفات قليلة ولكنها نفيسة مواضيعها التاريخ، والجغرافية وامور الدين المسيحي، ولكن اشهرها كتابه وصف عام لأفريقيا، وتاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة، وله كتابين آخرين اقل شأنًا بكثير، ذوي طابع دين هما الهام الجيش المقدس، وصلوات القسيسين الرومان^{٢١} نشر كتاب عقاب ثورة المورييسكين سنة ١٦٠٠ م، اما كتابه افريقيا فكان قد اتمه بعد سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م^{٢٢}.

٥. وفاته: توفي مرمول في مدينة بلش مالقه سنة ١٥٩٩ م^{٢٣}.

وستدور دراستنا في كتابيه المهمين الذين تناول فيهما تاريخ العرب والمسلمين وستنصب هذه الدراسة حولة سيرة الرسول الأعظم محمد (ﷺ) وال بيتة الاطهار (عليه السلام)، وسنعرض في جوانب هذا البحث كتابات هذا المؤلف ونبين ما فيها من جوانب مشرقة ونقاط مضيئة وايضاً السلبيات المغلوطة التي ذكرها. ومن أهم كتب المؤلف هو كتاب افريقيا الذي كان لنا التركيز الكامل عليه نظراً لما يحويه من معلومات كثيرة عن دراستنا غير ان الصعوبة التي واجهة الباحث هو ان الكتاب المترجم الى العربية كان قد حذف منه اكثر من فصل بحجة الاساءة التي تحتويها كلمات المؤلف، مما اضطرنا

الى الاستعانة بالنسخة القديمة الفرنسية المتوفرة لدينا والتي كتبت بأحرف فرنسية قديمة تعذر معها ترجمتها نظراً لصعوبة اللغة ورسم الحروف المستعملة آنذاك، لذلك فقد استعنا بأساتذة كلية اللغات لفك تلك الأحرف القديمة، وسنحاول ترتيب الأحداث التي ذكرت ترتيباً تاريخياً بحسب السيرة المباركة والتي تبدأ بذكر سيدنا الرسول الأعظم محمد بن عبد الله (ﷺ).

ثالثاً: اهل البيت في مؤلفات مارمول

١. الرسول محمد (ﷺ)

أ. **ولادته:** يذكر مارمول ولادة الرسول محمد (ﷺ) بقوله انه ولد في "اليوم الثاني عشر من الشهر الثالث، فهم يقولون (يقصد المسلمون) انه في ذلك اليوم"^{٢٤} وذكر في مكان اخر انه ولد في شهر شباط عام ٥٦٩م^{٢٥} وحدد كذلك تاريخ ولادته بالتاريخ الهجري، اذ يذكر انه ولد في الثاني عشر بشهر الثالث (ربيع الأول) من أشهر السنة القمرية^{٢٦}.

والملاحظ ان مارمول هنا ينقل عن مسلمين "اخرين ممن يعدون ثلاثة عشر شهراً قمرياً. يضيفون كل أثنى عشر شهراً شمسياً وحداً في بداية العام. فيضحى هناك محرم الأول Moharraan Primeor ومحرم الثاني Moharraan Seguudo"^{٢٧}.

وهو خطأ فادح اذ ليس للمسلمين تاريخ بهذا الشكل فلا وجود لمحرم أول او ثاني عدا شهر محرم المعروف وذلك جهل المؤلف بعدد الأشهر القمرية. ويعزز جهله بالأشهر اذ يذكر ان للمسلمين تقويمان "هجري واخر قمري"^{٢٨} وهو أيضاً من الأخطاء التي وقع فيها المؤلف، وخطأ كذلك في مكان ولادته اذ جعلها في يثرب^{٢٩} وليس في مكة كما هو ثابت تاريخياً. وهو ما أكدته قسم كبير من المؤرخين المسلمين^{٣٠}.

وكذلك ذكر اليوم الذي ولد في الرسول محمد (ﷺ) والذي كان المسلمون يسمونه بـ(المولد Maulud)^{٣١} وهي احتفالية يقوم المسلمون بإحيائها إحتفاءً بذكرى ولادة الرسول محمد (ﷺ)، وعادة ما تكون لها طقوس معينة تختلف من بلد الى اخر^{٣٢}.

ب. **اسمه ونسبه:** يذكر مارمول نسبه بصورة مقتضبة اذ يقول هو "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف"^{٣٣} بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن مسعد بن عدنان^{٣٤} وقد روي عن الرسول محمد (ﷺ) ان قال "اذا بلغ نسبي الى عدنان فامسكوا"^{٣٥}.

ج. نشأته: ذكر مارمول انه نشأ في الجزيرة العربية. وقد ذكر عدة أمور تسي للرسول (ﷺ) ولا تمت للحقيقة بصلة، بل كل ما ذكره مغاير للحقيقة ولصفات الرسول (ﷺ) الحقيقية. اذ يذكر ان محمد (ﷺ) عاش في كنف يهودي وتلقى تعليمه منه وتبنا له بمستقبل عظيم^{٣٦}. ويذكر ايضاً انه ومن خلال عمله بالتجارة التقى مع راهب من انطاكية يدعى ابان^{٣٧}. وقال كانت له صداقة مع راهب يدعى سرجيوس والذي تم طرده من الكنيسة بسبب الأريوسية^{٣٨}. وقد نهج بمثل ذلك من اتى بعده من المستشرقين امثال بروكلمان الذي تحدث عن اتصالات النبي (ﷺ) باليهود والنصارى في مكة معتبراً إياهم المعلمين المسيحيين الذين عرفوه بإنجيل الطفولة والذين انتقد جهلهم بكتبهم بقوله كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة^{٣٩}.

ويحاول مارمول وغيره ان يثبت ان الرسالة السماوية الإسلامية ما هي الا نتيجة تأثير الديانتين السابقتين على الرسول (ﷺ) او رسالته ما هي الا اقتباس منها. ويؤكد ذلك بقوله انه بعد ان أصبح الرسول محمد (ﷺ) وسرجيوس أصدقاء حميمين. جعل من تعاليمه عصاره مذهبه وجعله سرجيوس يتكلم بامور روحانية مما جعل الناس ينصتون اليه باعجاب^{٤٠}.

ويغالي اكثر عندما يذكر بان الرسول محمد (ﷺ) كان يزاول مهنة السرقة^{٤١} في مطلع حياته وهو ما لم يثبت عليه (ﷺ)، بل شهدت له المرويات التاريخية من تلك الفترة انه كان يدعى بالصادق الامين.

وذكر مرة أخرى ان الرسول (ﷺ) قد تم بيعه الى أحد التجار ليزاول هناك مهنة التجارة^{٤٢}

وهو ما لم يثبت ايضاً اذ انه تاجر لخديجة (ﷺ) في بداية شبابه قبل ان يتزوجها^{٤٣} وذكر هو انه قد اشتغل بالتجارة مع عمه ابي طالب (ﷺ) بعد ان أصبح يتيماً اذ كفله عمه (ﷺ) وبعثه بالتجارة الى مصر وسوريا وأماكن أخرى^{٤٤}

د. والداه: ذكر مارمول بان والده كان اسمه عبد الله بن عبد المطلب حفيد عبد مناف^{٤٥}، اما أمه تدعى "أمينة"^{٤٦} والمقصود بها السيدة أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن لؤي بن غالب بن فهد بن مالك بن النضر بن كنانة^{٤٧}. ولعدم معرفة مارمول بالتاريخ الإسلامي ولتحميله على الرسول (ﷺ) محاولاً سلبه رسالته من خلال الإيحاء او التصريح باقتباس رسالته من الديانتين الكبيرتين المسيحية واليهودية.

اذ ذكر مارمول ديانتتي والدا الرسول (ﷺ) بان والده ينحدر من عائلة وثنية^{٤٨} اما عن والدته فكانت بحسب مارمول يهودية الأصل والديانة. فهو قد فاته انها ابنة عم لولد الرسول (ﷺ) وهو ظاهر من النسب أعلاه مقارنة مع نسب الرسول (ﷺ) فهي بحكم النسب يجب ان تكون وثنية

بحسب انتمائها العائلي وهو السائد في زمنهم الوثني. رغم اننا لا نتفق مع كونهم وثنيين. بل ان علماء الامامية اتفقوا على ان اباؤ رسول الله من لدن ادم الى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله عز وجل موحدون له وان امته بنت وهب كانت على التوحيد وأنها تُحشر في جملة المؤمنين^{٤٩}.

والخطأ الثاني الذي وقع فيه انه عندما عدّ والد الرسول (ﷺ) يهودية الديانة عدّها ايضاً يهودية الاصل^{٥٠}. وهو خطأ ظاهر من خلال المقارنة أعلاه بين النسبين.

وذكر مارمول ان بعض سكان الجزيرة منقسمون الى عدة ديانات منها مسيحية ويهودية ووثنية وديانات اخرى^{٥١} مثل عبادة الشمس ولقمر والأشجار او الافاعي^{٥٢} على ان اكثر هؤلاء عبادة -بحسب مارمول- كانوا يعبدون الكعبة التي بناها من قبل إسماعيل بحسب ادعاء العرب^{٥٣}.

وكلامه يؤهم القارى فيه بانهم كانوا يعبدون الكعبة وليس رب الكعبة او الاصنام التي فيها، والتي لها احترام كبير لدى العرب^{٥٤}.

ويذكر مارمول ان خاله تنبأ بانه سيصبح ملكاً ومشرعاً ذات يوم ويضيف وكان هذا الشخص عالم فلك كبير وساحر عظيم^{٥٥} ولم يثبت لدينا وجود خال للرسول (ﷺ) مؤثر في حياته تنبأ له بمستقبل مميز بين اقرانه. ولعدم دقة مارمول في ضبط تواريخ الرسول محمد (ﷺ) وهو بحسب ظاهر الروايات من انبائه بالنبوة لانه كان رجل دين نصراني. وربما كان يشير بهذا الرجل الى ورقة ابن نوفل ابن عم السيدة خديجة (ﷺ) والتبس عليه الامر على انه خاله.

هـ. زواجه: تزوج الرسول محمد (ﷺ) في سن الخامسة والعشرين من خديجة (ﷺ) بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب^{٥٦} فهي من خلال نسبها تنتمي لنفس العائلة او القبيلة التي ينتمي اليها زوجها الرسول محمد (ﷺ). وقد توالى على مر السنين عدة زيجات له بلغت ثلاثة عشر امراه بحسب الروايات التاريخية.

وقد سرد مارمول قصة زواجه من السيدة خديجة (ﷺ) بتشويه كثير - ذاكراً أنها زوجة احد الكنعانيين الاثرياء الذين تركوا لها ثروة كبيرة^{٥٧}. ويستمر في سرد معلوماته التاريخية عن ذلك الزواج قائلاً ان السيدة خديجة (ﷺ) كانت كبيرة السن رغب بها الرسول (ﷺ) لوفرة مالها وكثرته بسبب ارثها الكبير^{٥٨}. وذكر ايضاً الى انها كانت تعاني آلاماً كثيرة جعلها الرسول محمد (ﷺ) تعتقد انها لم تكن تعاني من مرض ولكن ما بها كان بسبب حضور جبريل (ﷺ) الذي كان حضوره يهرها^{٥٩} ولم تذكر المصادر التاريخية الإسلامية اصلاً تلك الحادثة ولا علاقة السيدة خديجة (ﷺ) بالملك جبرائيل (ﷺ). وأشار مارمول الى زوجة أخرى من اشراف العرب لم يسميها، زوجها له والدها طمعاً في

أمواله التي خلفتها له زوجته السيدة خديجة (عليها السلام).^{٦٠}

كذلك فقد أشار بالجملة الى ان الرسول (ﷺ) الى انه محباً للنساء وكانت لديه عدة زوجات في نفس الوقت وعدة خليات^{٦١} وهي افتراءات مستمرة ضد الرسول محمد (ﷺ) قديمة جديدة محاوله منه ومن غيره من المستشرقين للنيل من اعتدال شخصية الرسول محمد (ﷺ) متناسين ان زواجه (ﷺ) بهذا العدد من النساء لأهداف إنسانية واجتماعية او لأجل تطبيق المفاهيم الإسلامية التي اقرها القرآن الكريم وعندما تستعرض نهاذج من زيجاته (ﷺ) تتضح لنا هذه الحقيقة الكبرى فزوجاته (ﷺ) جلهم من الارامل ما عدا السيدة خديجة (عليها السلام) والسيدة عائشة، وكن قد تحطين سن الشباب والنضارة، وفي هذا اكبر دليل على ان تعدد ازواجه (ﷺ) كان في واقعه لأجل معالم وأهداف إسلامية وإنسانية واجتماعية^{٦٢}.

و. امية الرسول: أشار مارمول الى هذا الموضوع منتهجاً رايأً مطابقاً لما عليه جمهور كبير من المسلمين القائلين بامية الرسول محمد (ﷺ)، قائلاً أن الخليفة عمر بن الخطاب امر بجمع القرآن الكريم - وهو بجانب للواقع - لان محمد (ﷺ) كان امياً لا يعرف القراءة والكتابة^{٦٣} ومعرضاً بالرسول (ﷺ) ناسباً له وضع القرآن وفقدان ذاكرته قائلاً عن كتابه الرسول (ﷺ) للقران واملائه لكتبة القران الكريم كلما خطر بباله شيء املاه على أحد كتابه حتى يملئ نفس الشيء عدة مرات عند فقدان ذاكرته^{٦٤}.

على ان امية الرسول (ﷺ) موضوع نقاش بين المسلمين فاغلب المذاهب الإسلامية تشير الى امية الرسول محمد (ﷺ). ومن خلال نص للائمة الاثني عشر (عليها السلام) يؤكدون على نفي تلك الصفة وعدها محلة بشخصيته المباركة. فيروى عن الامام محمد الجواد (عليه السلام) اذ روى الصفار رضوان الله تعالى عليه بسنده عن علي بن اسباط او غيره قال قلت لابي جعفر الجواد (عليه السلام): ان الناس يزعمون ان رسول (ﷺ) لم يكن يكتب ولا يقرأ؟ فقال (عليه السلام): كذبوا لعنهم الله أنى ذلك وقد قال الله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين. فيكون ان يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن ان يقرأ ويكتب؟ قال قلت فلم سمي النبي (ﷺ) امياً؟ قال عليه السلام: لانه نُسب الى مكة. وذلك قول الله عز وجل لتندرام القرى ومن حولها، فام القرى مكة فقيل امي لذلك.^{٦٥}

ز. اوصافه: ذكر مارمول اوصاف للرسول محمد (ﷺ) ولا نعلم من اين استقى تلك الاوصاف، قائلاً عنه كانت بشرته سمراء فاتحة، متوسط الطول، قوي البنية ذو هيبه، لطيف كريم، كبير الرأس،

طويل اللحية وكان يصبغ شعره لاختفاء الشيب يزدي كل المخاطر محباً للنساء^{٦٦}. وتلك الصفات بعضها له (ﷺ) وبعضها افتراءً من المؤلف.

وقد احتفظت كتب التاريخ بأوصاف له اذ تروي المصادر التاريخية عن ام معبد انها وصفتها قائلة ” رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ، أَبْلَجَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الْخَلْقِ، لَمْ تَعْبُهُ نُحْلَةٌ، وَلَمْ تُزِرْ بِهِ صَعْلَةٌ، وَسِيمٌ قَسِيمٌ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى: وَسِيمًا قَسِيمًا فِي عَيْنِهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ غَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهْلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطْعٌ، وَفِي لَحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أَزْجُ أَقْرَنُ، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمًا وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَخْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلُوُ الْمُنْطِقِ، فَضْلٌ، لَا نَذْرٌ وَلَا هَذْرٌ، كَانَ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٍ نَظْمٌ يَنْحَدِرُنْ، رَبْعَةٌ لَا بَائِنٌ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ، غُصْنًا بَيْنَ غُصْنَيْنِ، فَهُوَ أَنْصَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رَفَقَاءُ يَخْشَوْنَ بِهِ، إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مُحْفُودٌ مُحْشُودٌ، لَا عَابِسٌ وَلَا مُفْنِدٌ^{٦٧}“.

ح. اولادة: ذكر مارمول بان له ثلاث أولاد إبراهيم، عبد الله، وحامد، توفوا جميعهم قبله^{٦٨} وهم بحسب ما أورده المؤرخون القاسم والطيب الطاهر واسمه عبد الله والأخير إبراهيم^{٦٩} ولم يذكر المؤرخون بان له ابن اسمه حامد. أما بناته فقد ذكر مارمول بان له خمس بنات اولاهن فاطمة الزهراء ورقية وام كلثوم وعاتقة^{٧٠} بينما أورد المؤرخون بناته أربعة فاطمة (ﷺ) وزينب ورقية وام كلثوم^{٧١}. ولم يفرق مارمول بين اسم فاطمة ولقبها فعددهم اثنتين لبنات الرسول (ﷺ) واتى بعاتقة بنت للرسول (ﷺ) لم يذكرها المؤرخون.

ز. الوحي: الوحي هو الطريقة التي يتصل بها الرسول محمد (ﷺ) بالله تعالى بواسطة الملاك جبرائيل (ﷺ) مثله مثل بقية الأنبياء السابقين (ﷺ) هذا هو التعريف البسيط والعام للوحي. وهو ما أشار اليه مارمول بقوله كان جبريل (ﷺ) يحضر ليلقنه أشياء كلفه الله بنشرها^{٧٢}.

ح. الحج: يذكر مارمول ان الرسول محمد (ﷺ) أمر بتحويل الحج من القدس الى مكة حيث الكعبة^{٧٣} والمتبع للتاريخ ينكر على مارمول هذه المعلومات الخاطئة فالحج منذ ان عرفه العرب فهو يتم باتجاه مكة، نعم اذا كان هناك من تحويل فهو تحويل للقبلة اذ امر الرسول محمد (ﷺ) الناس في السنة الثانية من الهجرة بتحويل القبلة من القدس الى الكعبة وأشار القران الكريم عن ذلك قائلاً ”قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴿١﴾ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴿٢﴾ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿٣﴾ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴿٤﴾ وَإِنَّ الْآدِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿٥﴾ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ“^{٧٤}. والظاهر ان مارمول لم يفرق بين تحويل القبلة وبين موسم الحج.

ط. الهجرة: قرر الرسول محمد (ﷺ) الخروج من مكة نظراً للمخاطر التي أحاطت به لاسيما بعد موت كافله ابي طالب (ﷺ) فخرج الى يثرب مهاجراً. الا ان مارمول يسرد سبباً بعيد كل البعد عن الواقع التاريخي فيذكر ان أبا بكر هو الذي كان صاحب الفكرة في اخراج الرسول (ﷺ) من مكة الى المدينة بواسطة احد الاثرياء^{٧٥} وهذه كلها احداث وهمية لا تمت للواقع بصلة وأرخ مارمول تلك الهجرة عام ٦١٣ ميلادية^{٧٦}. وهو خطأ فادح فالسنة الميلادية التي تقابل السنة الأولى للهجرة هي ٦٢٢ م.

ذكر ذلك في معرض حديثه عن ابتداء التاريخ الخاص بالمسلمين واعتمادهم على هجرة الرسول محمد (ﷺ)^{٧٧} ونظراً لجهله بتاريخ المسلمين كما قدمنا سابقاً فقد ذكر ان المسلمين قد هجروا تاريخ ما يعرف بالصفري وهو إشارة الى الروم لان العرب كانوا يسموهم بني الاصفر واستخدموا التاريخ الهجري بدل تاريخ الصفري وهو خطأ واضح كما قدمنا. فالعرب لم يعرفوا تاريخ محدد لهم بل كانوا يؤرخون بالحوادث المشهورة لديهم مثل موت عبد المطلب والسيول التي تضرب مكة او بحادثة مشهورة مثل حادثة ما يعرف بعام الفيل وقد أرخ به ولادة الرسول محمد (ﷺ). ومن هذه الأمثلة يتبين مدى معرفة العرب بالتاريخ والتواريخ.

وتاريخ الصفري هذا بحسب ما يعرفه المقرئ قائلًا: "ان أكتيبيان [Octavian] ثاني قياصرة الروم... ملك اكثر الدنيا وصفح نهر الرومية بالصفري فأرخت الروم من ذلك العهد وكان قبل ميلاد المسيح بثمان وثلاثين سنة"^{٧٨}. وقد ذاع استعماله في اسبانيا المسيحية من القرن الخامس الميلادي حتى القرن الخامس عشر الميلادي / الثامن الهجري وكانت بدايته اليوم الأول من شهر يناير عام ٣٨ ق.م ويشار اليه في المصادر العربية الاندلسية دون المشرقية^{٧٩}.

وهذا يدل على تأثر الأندلسيين به دون المشاركة بحكم الجوار الجغرافي، وعرف أيضاً بتقويم العجم ذكره عدة مؤرخين مسلمين اندلسيين كما في قول ابن حيان الاندلسي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) "برز الخليفة الناصر لدين الله لغزوته هذه يوم الخميس لثمان خلون من شهر رمضان من هذه السنة [أي سنة ٣١٠ هـ] وهو اليوم السابع من شهر ابريل العجمي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة لتاريخ الصفري"^{٨٠}.

ومن ذلك يتضح مدى اعتماد الاسبان على هذا التاريخ ومنهم مارمول فاعتمد على ثقافته الاسبانية التي انعكست على مؤلفاته، واعتقد ان العرب في المشرق كانوا يعتمدون على تاريخ الصفري مثلما اعتمدوا عليه في الاندلس.

ي. وفاته: - يروي مارمول في خبر وفات الرسول محمد (ﷺ) انه توفي في سن الثالثة والستين جراء

سم وُضع له في تفاحة أعطاه إياها سكرتيره.. وقد بقي ثلاثة أيام قبل دفنه معتقدين انه سوف ينبعث من جديد ولكن في النهاية تم دفنه دون مراسيم فخمة ممدداً على سريريه في نفس الغرفة التي كان ينام فيها^{٨١}. والظاهر من الرواية لدى مارمول عدة حقائق تتفق مع روايات المسلمين منها انه توفي في حجرته ودفن فيها دون مراسيم فخمة وعمره كان قد بلغ الثالثة والستين. اما مسألة سم الرسول (ﷺ) فانها مسألة خلافية بين المسلمين فيذهب بعضهم انه توفي حتف انفه. اما البعض الاخر فيذكر انه توفي مسموماً ومنهم عبد الله بن مسعود اذ قال "لئن احلف تسعاً ان رسول الله قتل قتلاً أحب الي من ان احلف واحدة انه لم يقتل وذلك لان الله اتخذ نبياً واتخذ شهيداً"^{٨٢} وقال الشعبي والله لقد سم رسول الله^{٨٣}.

وايضاً ذكرت السيدة عائشة "لددنا (قمنا بتطعيم) رسول الله في مرضه. فقال (لا تلدونى) فقلنا كراهية المريض للدواء، فلما افاق قال لا يبقى منكم أحد الا لد غير العباس فإنه لم يشهدكم"^{٨٤}.

وكان الرسول (ﷺ) قد أمر من في الدار بأن لا يلدوه ولا يجرعوه أي دواء مهما كان، اذ روي انه قال لهم بعد سقيه اياهم ذلك الدواء المزعوم "لم أنحكم ان لا تلدونى"^{٨٥}.

ولم يصل الينا من كتب التراث انه (ﷺ) قد سُم في تفاحة. كذلك لم يكن له سكرتير بالوجهه الذي حدده مارمول له. اما مسألة بقاته ثلاثة أيام التي ذكرها مارمول^{٨٦} فهي تتفق مع ما ذكرته بعض المصادر التاريخية من انه توفي يوم الاثنين فمكث يوم الاثنين والثلاثاء حتى دُفن يوم الابعاء^{٨٧}.

وكلتا الروايتان الإسلامية وما أورده مارمول ربما فيها شيء من البعد عن الحقيقة اذ ندب الشرع بالتعجيل بدفن الميت وكيف والميت هو صاحب الشرعية فضلاً عن الروايات التاريخية التي تؤيد دفنه (ﷺ) بعد وفاته مباشرة.

٢. الامام علي (عليه السلام)

أ. زواجه:

تناول مارمول زواج الامام علي (عليه السلام) اذ قال انه تزوج السيدة فاطمة (عليها السلام) وأنجب منها الامامان الحسنان (عليهما السلام)^{٨٨}.

ب. خلافته:

ذكر مارمول حدث اختلف فيه المسلمون الا وهو مسألة استخلاف الرسول محمد (ﷺ) للامام علي (عليه السلام) بعده للخلافة اذ يميل بروايته الى جانب الامامية في تأييد تنصيب الامام علي (عليه السلام) بالخلافة بأمر الله تعالى بواسطة جبريل (عليه السلام)، وهو امر يبعث على الاستغراب والدهشة اذ كيف

وصل اليه وتناهى الى سمعة قصة تنصيب الامام علي (عليه السلام) بالخلافة، وما هي الكتب التي طالعها واطلع من خلالها على مسألة تنصيب الامام (عليه السلام) بالخلافة بعد الرسول (ﷺ) اذ يذكر ذلك قائلاً لما احتضر محمد (ﷺ) عين خليفة له صهره علي زوج فاطمة قائلاً عنه انه ولي صالح من سلالة الأنبياء بامر الملك جبريل (عليه السلام)^{٨٩}. ومارمول كانها يتحدث عن عدة احاديث للرسول محمد (ﷺ) في قضية تنصيب الامام (عليه السلام) للخلافة، أهمها حديث الدار، وحديث المنزلة، وحديث الغدير، واما الحديث الأخير فهو يشرح قضية تنصيب الامام (عليه السلام) للخلافة وصل الى حد التواتر واورده كتب العامة والخاصة ومضمونه عن زيد بن أرقم قال: "لما رجع النبي (ﷺ) من حجة الوداع نزل عند غدير خم أمر بدوحات فقم من ثم قال: كأني دعيت فأجبت واني تارك فيكم الثقلين، احدهما اعظم من الآخر، كتاب الله وعترتي اهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فانهما لن يفرقا حتى يردا علي الحوض... ثم قال: ان الله مولاي وان ولي كل مؤمن: ثم اخذ بيد علي (عليه السلام) فقال: من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه... فقلت لزيد: سمعته من رسول الله (ﷺ) قال: نعم، وانه ما كان في الدوحات أحد الا ورآه بعينه وسمعه بأذنيه..."^{٩٠}.

فهذا النص وغيره يدل على توليه الرسول (ﷺ) للامام علي (عليه السلام) والذي نزل بعد قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴿١﴾ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴿٢﴾ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" ^{٩١}.

وبعد رجوع الرسول (ﷺ) والمسلمون الى المدينة اتى رجل وهو الحارث بن النعمان الفهري بلغه قول الرسول (ﷺ) في علي (عليه السلام) من كنت مولاه فهذا علي مولاه، راكبا ناقته حتى اناخها بالابطح ثم قال: يا محمد أمرتنا عن الله ان نشهد ان لا إله الا الله فقبلنا منك... الى قوله: ثم لم ترضى بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا، افهذا شيء منك ام من الله؟ فقال النبي (ﷺ) والله الذي لا إله الا هو، ما هو الا من الله، فولى الحارث وهو يقول: اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء وأتنا بعذاب اليم، فو الله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت الآية "سئل سائل بعذاب واقع"^{٩٢}. وهذه الأحاديث وغيرها هي مشروعية قوله (عليه السلام) للامام (عليه السلام) بالخلافة. ويؤكد مارمول ان الرسول (ﷺ) جعل علي وفاطمة عليهما السلام من خلال هذا التنصيب هو ان يجعلهم حامي الدين^{٩٣}.

ت. علاقته بالخليفة الأول أبا بكر الصديق:

ثم يذكر مارمول كيف انا أبا بكر الصديق انتخب باجتهاد من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان^{٩٤}

والمح كذلك الى انه من خلال انتخاب أبا بكر من خلال عمر وعثمان فانهما يبغيان من ذلك وصول الخلافة اليهما علماً ان من حضر مع أبا بكر هو عمر وأبو عبيدة وسالم مولى ابي حذيفة. وهو بذلك يشير الى ان انتخاب أبا بكر للخلافة مخالفا وصية الرسول (ﷺ) في توليه الامام (عليه السلام) بعده. وذكر خطأ ان الامام علي (عليه السلام) بعد ان حُرِم من الخلافة أخذ ولديه وانصرف الى الجزيرة العربية حيث جيشه مرابط هناك، وهذا لا يمت الواقع بصلة اذ ان الامام علي (عليه السلام) اعتكف بمنزله لجمع القرآن الكريم ولم يغادر الى خارج المدينة، وان يكن قد ذكر خطأ انه غادر الى الجزيرة العربية، ولم يذكر اين كان حتى يذهب الى الجزيرة العربية، اذ لم يفرق المؤلف بين مكان المدينة وأين هي من الجزيرة العربية وهو جهل واضح بين.

ويصرح مارمول ان الامام علي (عليه السلام) بعد وصوله الى الجزيرة العربية اخذ يشتم الخليفة الجديد ويقصد به أبا بكر واتهمه بانه سَمَّ الرسول محمد (ﷺ) ولم يحتفظ بمبادئه^{٩٥}.

ولم يصدر عن الامام علي (عليه السلام) انه شتم للخليفة الجديد رغم الاختلاف فيما بينهم حول مسألة الخلافة واحقية كل منهما بها.

ث. تأسيسه للمذهب الامامي:

يبدو ان مارمول له شي من الاطلاع البسيط على المذاهب الإسلامية لاسيما وهو يعيش في بلاد المغرب العربي في فترة من حياته. فعند الامام علي (عليه السلام) هو مؤسس المذهب الامامي^{٩٦} الشيعي الجعفري الاثنا عشر واتهم الامام علي (عليه السلام) بجلب كثير من المتبررين اليه وإعلان الحرب الدائمة ضد خلفاء الرسول محمد (ﷺ)^{٩٧}.

ج. علاقته بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب:

يتهم مارمول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بالحرب ضد الامام علي (عليه السلام) قائلاً تسلم الخلافة سنة ٦٣٤ م وابتداء اولاً بحربه الامام علي (عليه السلام) وانتصاره عليه^{٩٨} وهو غلط واضح وخلط بالأحداث التاريخية التي يجهلها.

ح. علاقته بالخليفة الثالث عثمان بن عفان:

أورد مارمول ان الامام علي (عليه السلام) اتخذ لقب خليفة^{٩٩} وذلك قبل ان يقتل عثمان وهذا مجافي للواقع التاريخي فلم يتلقب الامام علي (عليه السلام) بالخلافة الا بعد ان تسلمها بعد مقتل عثمان بن عفان والامر الثاني يؤكد جهل مارمول بالواقع الجغرافي والسياسي للمسلمين اذ يرى ان الامام علي (عليه السلام) بعد

اتخاذ لقب خليفة حكم من داخل الجزيرة العربية^{١١٠} وهو خطأ واضح ويُن. ثم يتهم الامام علي (عليه السلام) بقتل عثمان بن عفان من خلال انصاره^{١١١} وهو الاتهام الذي لم يجري اعدائه على اتهامه به، بل كان الاتهام موجه للامام (عليه السلام) بعدم تسليم القتلة كما هو معروف تاريخياً.

خ. الاحداث بعد مقتل الخليفة وبيعة الامام (عليه السلام) بالخلافة:

وقع مارمول بخطا فادح وساذج باعتبار معاوية رابع الخلفاء الراشدين. وذكر انه بعد موت عثمان بن عفان وقع نزاع كبير حول انتخاب خلف له بين الامام علي (عليه السلام) ومحمد بن عثمان، وابن اميه الملقب بسيف الطلي او سيف القرن^{١١٢}. وكلها احداث وأسماء لا تمت للواقع بصلة. وكما هو معروف تاريخياً فقد تسلم الامام (عليه السلام) الخلافة بعد قتل الخليفة عثمان بطلب من الجماهير التي اتجهت له طالبة قبول الخلافة.

د. الامام علي (عليه السلام) وما حدث معه مع معاوية:

يقول مارمول بعد ان بويع علي (عليه السلام) بالخلافة وبايعه المهاجرون بالخلافة اعترض معاوية عليه ولم يبايعه متهما إياه بقتل عثمان^{١١٣}، باعتباره قائد للجيش^{١١٤} وهو ما لم يكن حاصلاً. اذ كان معاوية واليا على الشام وليس قائد للجيش، ثم يحاول مارمول ان يسرد معارك الامام علي (عليه السلام) من الجمل مروراً بصفين وحتى النهروان بشيء من السرد التاريخي الا انه لم يوفق بذلك، وخلط خلطاً سيئاً فيما بينهما من احداث شوهت الحقائق التاريخية لتلك المعارك.

ففي معركة صفين يذكر مارمول ان معاوية عبر الفرات وحاز على الماء مما أخرج معسكر الامام علي (عليه السلام) واستمر الحال لعدة اشهر الى ان جاء وقت فض النزاع بواسطة التحكيم^{١١٥}. هنا تتفق الرويات التاريخية الإسلامية مع ما ذكره مارمول لحد الان. الا انه يخلط عما بعد ذلك فيذكر انه بعد ان لم يتوصل الحكمان الى حل فيما بينهما يُستأنف القتال وهو مال لم يحصل بعد التحكيم^{١١٦}، بل خرج أناس من معسكر الامام (عليه السلام) وهم ما يعرف تاريخياً باسم الخوارج، حاربهم الامام (عليه السلام) في معركة النهروان وانتصر عليهم وبالغ مارمول في امر الحروب وذكر انها خربت الأقاليم عن اخرها^{١١٧}.

ذ. صفاته:

أورد مارمول صفات الامام علي (عليه السلام) قائلاً كان قصر القامة، مكسو الذراعين والبطن بالشعر، طويل اللحية، يخفض بصره دائماً حتى لا يراه احد، وكان عابساً^{١١٨}، وقد أورد المؤرخون بعض صفاته منها ما طابق ما ذكره مارمول ومنها ما خالفه اذ تروي المصادر التاريخية صفاته بانه "كان ربعة من

الرجال، دحداحاً، الى القصر اقرب والى السمن، ازج الحاجبين، انجل، وادعج العينين وعظميها تميلا الى الشهلة، وفي عينه لين، من أحسن الناس وجهاً يميل الى السمرة، اصلع على رأسه زغيبات، كث اللحية وهي قد زانت صدره، ابيض الراس واللحية، كأن عنقه ابريق فضة، ضخم البطن، له خفاف من خلفه كأنه اكليل، عريض المنكبين، اقرء الظهر عظيم الصدر، محض المتن، شئن الكفين، ضخم الكسور، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يبين عضده من ساعده وقد أدجت ادماجا، ان أمسك بذراع رجل كأنها أمسك نفسه فلم يستطيع - الرجل - أن يتنفس، شديد الساعد واليد، غليظ العضلات، حمش الساقين اذ مشا تكفاً، واذا مشى الى الحرب هرول، ثبت الجنان قوي شجاع، منصور على من لاقاه، واشتهر بالانزع الطين^{١٠٩}

ر. نقش خاتمه:

كان مارمول يذكر الخلفاء السابقين وعند الترجمة حياتهم يذكر نقش خاتمهم، واعتقد بان هذا الموضوع هو نتيجة لتأثيره بكتب المسلمين الذين قراء لهم مارمول كما صرح هو بنفسه عندما ذكر بعض أسماء الكتب التي قراءها.

فذكر مارمول ان نقش خاتم الامام علي (عليه السلام) كان "أعبد الله ربي بقلب مخلص"^{١١٠}، على ان المؤرخين الذين ترجموا للإمام علي (عليه السلام) وذكروا نقش خواتمه لم يتطرقوا الى هذه العبارة بل ذكروا غيرها من العبارات فقد أورد البلاذري ان نقش خاتمه (عليه السلام) هو "محمد رسول الله"^{١١١}. وروي عن الامام الباقر (عليه السلام) قال "كان نقش خاتم علي" الله الملك"^{١١٢}. وروي المتقي عن عبد خير قال "كان لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أربعة خواتيم يتختم بها، ياقوت لنيله، فيروزج لنصره، حديد صيني لقوته، عقيق لحرزه، وكان نقش الحديد الصيني العزة لله ونقش العقيق ثلاثة اسطر ما شاء الله، لا قوة الا بالله، استغفر الله"^{١١٣}.

ز. استشهاد الامام علي (عليه السلام)

ذكر مارمول عدة روايات لإستشهاد الامام علي (عليه السلام) منها:

(اولاً) انه أعتيل بواسطة معاوية بن ابي سفيان^{١١٤}.

(ثانياً) انه قتل على يد يهودي^{١١٥}.

(ثالثاً) قتل في مسجد البصرة^{١١٦}، وهذا خطأ بين فالامام (عليه السلام) كما هو معروف تاريخياً انه استشهد في مسجد الكوفة ودفن في ظهرها في ما يعرف النجف حالياً.

(رابعاً) تسميته للمدينة التي قتل فيها الامام بمشهد علي (عليه السلام) وهو خطأ وقع فيه المؤلف ايضاً. وربما اختلط الامر على المؤلف وخلط ما بين مرقد الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بمدينة مشهد في ايران، وبين مرقد الامام (عليه السلام) في ظهر الكوفة (النجف حالياً).

(خامساً) ذكر مارمول ان الامام استشهد في سنة ٤٦ هـ / ٦٥٩ م، وهو ايضاً مجافي للواقع التاريخي اذ ان الامام (ع) استشهد في سنة ٤٠ هـ / الموافق لسنة ٦٦١ م بحسب اجماع المؤرخين المسلمين.

س. ثقافة المؤلف عن الامام علي (عليه السلام):

نقل المؤلف أمور جمعها من خلال ثقافته عن المسلمين آنذاك حول الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، اذ يروي عن الدراويش انهم كانوا في احتفالاتهم الدينية ومجالسهم يذكرون معجزات الامام علي (عليه السلام) وابنائهم منقولة من كتب لهم يحتفظون بها^{١١٧}، ويقدمون ذلك الحفل باذكار طويلة وحكم كثير على غرار ما فعله أبناء علي (عليه السلام)^{١١٨}.

ويوجد في كل رباط من اربطتهم لحاف اخضر مبسوط على الأرض مع شمعدان من النحاس الأصفر بدون شمعة، وسيف مكسور للتذكير باثار علي، اذ يقولون انه قتل به عشرة الاف مسيحي بضربة واحدة، وانه كان ينشره في المعارك على العدو من مسافة مائة ذراع ويحترق به الجبال^{١١٩}.

٣. الامام الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام):

المعلومات التي ذكرها مارمول عن الامام الحسن (عليه السلام) معلومات موجزة جداً. اذ ذكر انه اكبر أبناء الامام علي (عليه السلام) وانه كثير الشبه بجده الرسول محمد (ﷺ)^{١٢٠}، وشبه الامام الحسن (عليه السلام) بجده هو ثابت تاريخي فقد ذكر أصحاب الحديث هذه الخصلة للإمام الحسن (عليه السلام) اذ يروي "أسماعيل بن ابي خالد، عن أبي ابي جحيفة: رأيت النبي (ﷺ) أبيض قد شاب، وكان الحسن بن علي (عليه السلام) يشبهه"^{١٢١}.

أ. مبايعته بالخلافة:

ذكر مارمول هنا في هذا الباب ان اهل الكوفة بايعوا الامام الحسن (عليه السلام) بالخلافة^{١٢٢}، ومارمول يذكر هنا انه بويع بالخلافة وذكره مبايعته بالخلافة بالصد من الكثير من المؤرخين المسلمين الذين تناسوا خلافة الامام الحسن (عليه السلام) لكن مارمول يصرح هنا بخلافته بعد استشهاد والده الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

ب. محاربه الامام الحسن (عليه السلام) لمعاوية :

استكمالا لأعمال والده الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) فقد نهض الخليفة الجديد باعباء محاربة معاوية بن أبي سفيان، اذ ذكر مارمول ان الامام (عليه السلام) "نهض لحينه ضد معاوية" ١٢٣. لكن ما ذكره مارمول بعد ذلك حول نتيجة الحرب بين الامام الحسن (عليه السلام) ومعاوية هي بالضد تماما من الحقيقة التاريخية اذ ذكر مارمول انه "عندما اوشك الجيشان ان يلتقيا خشي معاوية سوء العاقبة اذ كان اقل منه مودة عند الناس واكثر ضعفاً، فقال انه ليس من الانصاف ان يراق الدم من اجله فتخلى عن الحكم وذهبا معا الى الكوفة لياخذ بيت المال، ثم الى المدينة بالجزيرة العربية حيث وضع معاوية بيديه التاج على رأس الحسن وسلم عليه بالخلافة والامارة" ١٢٤.

والخلط وقلب الأمور راساً على عقب واضح عند مارمول، فالثابت تاريخياً ان الامام الحسن (عليه السلام) بعد ان رأى تحاذل جيشه وتقاعسهم عن حرب معاوية تنازل له عن الخلافة بشروط شرطها على معاوية، غير ان معاوية تنكر لها من حينه ولم يفي للامام الحسن (عليه السلام) بوعوده.

لكن كما هو واضح من النص ان مارمول قلب الحقيقة رأساً على عقب وهو خطأ كبير. والملاحظ على النص ان مارمول يتصور ان الخليفة يتخذ له تاج كما هو حال ملوكهم وهو دلالة على جهلة بالتقاليد العربية الإسلامية في هذه المواضع.

ت. نقش خاتمه:-

ارتبط نقش خاتم الامام (عليه السلام) بالمأساة التي عاشها من خلال تفاعله مع الاحداث التي مرت به فمن الطبيعي ان تتناغم مأساته مع نقش خاتمة فكان نقشه "حسبي الله" ١٢٥. ونقش لخاتم اخر نقش عليه "لا اله الا الله الملك الحق المبين" ١٢٦.

اما مارمول ونتيجة للخلط الواضح في الاحداث لديه فقد اقتبس شعار بني الأحرار لا غالب الا الله ١٢٧، المكتوب بكثرة على قصر الحمراء، وجعله نقش لخاتم الامام الحسن (عليه السلام). وهو غلط واضح وخلط وتداخل بين الجغرافية والتاريخ لكلاء الزمانين والمكانين.

ث. إستشهاد الامام الحسن (عليه السلام):

وافق مارمول الرواية التاريخية التي تشير الى دور معاوية بن ابي سفيان بسم الامام الحسن (عليه السلام) ١٢٨، اذ اشارت كتب التاريخ ان معاوية لم يكتف بالصالح مع الامام (عليه السلام) بل حاول قتله والقضاء عليه، فدس اليه السم ثلاث مرات ونجا منها الامام، وفي المرة الرابعة طلب معاوية سماً قاتلاً من ملك الروم واتصل بجعيدة او جعدة بنت الاشعث زوجة الامام الحسن (عليه السلام)، فوعدها معاوية ان يزوجهها من ولده يزيد ان هي قتلت الامام الحسن (عليه السلام) فقبلت ان تسم الامام الحسن (عليه السلام).

وسمته بامر معاوية.

٤. الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام).

المعلومات التي أوردها مارمول حول الامام الحسين (عليه السلام) معلومات مقتضبة "فهو أصغر أبناء علي" ١٢٩ بحسب ما أشار الية مارمول.

أ. بيعته بالخلافة.

تناول مارمول قائلاً ان اهل الكوفة في العام الثاني من حكم يزيد انتخبوا الامام الحسين (عليه السلام) خليفة لهم ١٣٠ والواضح من خلال النص أعلاه عدم الدقة التاريخية فاهل الكوفة لم ينتخبوا الامام الحسين (عليه السلام) خليفة ولم ينتخب الحسين (عليه السلام) خليفة. وانما بايع اهل الكوفة الامام الحسين (عليه السلام) وطلبوا منه القدوم لهم لغرض بيعته بالخلافة وكانت هذه الاحداث في السنة الأولى لبيعة يزيد. او ربما فهم مارمول من تلك البيعة انتخاب اهل الكوفة للامام الحسين (عليه السلام).

ب. استشهاد الامام الحسين (عليه السلام).

بعد ان بويغ يزيد بالخلافة نهض الامام الحسين (عليه السلام) من المدينة المنورة نائراً على ذلك الانحراف الذي حدث في الامة الإسلامية وخرج الى الكوفة بناءً على الدعوة التي وجهت له من اهلها، غير انهم لم ينصروه وتركوه ليقتل هو وعائلته على يد جيش يزيد في كربلاء.

ومارمول يذكر أجزاء من تلك الاحداث ذاكر ان يزيد استنفر "جيشاً عظيماً لمحاربتة بقيادة أخيه عبد الله الذي امر بقتل الحسين (عليه السلام) [غيلة بينما كانوا يستعدون للمعركة في سهول كربلاء بنواحي الكوفة، فأقبر في نفس المكان الذي قُتل فيه وبنى العرب فيه بعد ذلك مدينة تكريماً له تحمل اسم السهل. ثم ان يزيد امتحن جميع أبناء علي وقتل عدداً كبيراً من اشراف الجزيرة العربية " ١٣١.

والواضح ان مارمول لم يستقي المعلومات التاريخية من مصادرها الرصينة رغم وجوده في بيئة إسلامية، فانت روايته التاريخية مشوهة كما هو واضح في الروايات السابقة واللاحقة. وهنا وبدل من ان يسترسل في سرد الحقائق التاريخية الحقيقية نراى ان الرواية التاريخية تأتي مناقضة للواقع. فيذكر ان الامام الحسين (عليه السلام) اغتيل غيلة من قبل جيش يزيد بينما يستعد للمعركة وهو خلاف المشهور في ذكر الحقيقة التاريخية اذ ان الحسين (عليه السلام) استشهد هو وأهل بيته وأصحابه في معركة مشهورة تعرف بمعركة الطف، اذ برز هو وأهل بيته لقتال جيش يزيد الذي كان بقيادة عمر بن سعد بن ابي وقاص، وليس بقيادة اخو يزيد المدعو عبدالله كما أوضح مارمول. وانما كان امير الكوفة عبيد الله بن زياد وهو

الدعي بن الدعي الذي الحقه واباه معاويه بن ابي سفيان بنسبه كما هو معروف تاريخياً.

٥. الثورات عقب استشهاد الحسين (عليه السلام) ودور العلويين فيها.

ذكر مارمول عدة احداث تاريخية في هذه الحقبة تتماشى بالاطار العام مع الرويات التاريخية الإسلامية. لكنها تختلف عنها بالتفاصيل. ذكر مارمول كره العرب للبيت الاموي لذلك احتدام النزاع بينهم وانقسموا فيما بينهم لاسيما بعد موت يزيد قائلاً "خلف يزيد بعد موته أخوه عبد الله، لكن الناس كانوا يكرهون اهل هذا البيت، فعزم العرب على إعادة عقب علي (عليه السلام) الى العرش لانتسابهم الى محمد (ﷺ) بواسطة بنته فاطمة (عليها السلام)، الامر الذي تسبب في حروب كثيرة، فأهل الشام بايعوا مروان بالخلافة، بينما بايع عرب اخرون (القاوقا) وابن عمر أي (ديداكو)، بالإضافة الى القائم المختار الذي كان خليفة في بلاد فارس، فتحاربوا فيما بينهم، فزحف عبد الله بجيشه ضد مروان وحاربه فغلبه وقتله في الشهر التاسع من حكمه، لكن العرب نصبوا مكانه ابنه عبد الملك الذي استنفر لحينه جيشين، ارسل احدهما ضد عبد الله تحت قيادة جعفر بن ابي طالب (عليه السلام) والآخر ضد (ديداكو) والتقى جعفر وعبد الله على ضفاف الفرات حيث كسر عبد الله واضطر الى الفرار الى دمشق تاركاً عدداً كبيراً من القتلى من جنده^{١٣٢}. والواضح من النص المتقدم مدى ارتباط المعلومات التاريخية عند المؤلف، ومقدار الحشو في الشخصيات الإسلامية والادوار التاريخية المتداخلة لهم، فبعض الشخصيات لا وجود لها في الواقع التاريخي. والبعض الآخر كجعفر بن ابي طالب (عليه السلام) زج به في هذا الحراك العسكري الذي لا يمت للواقع بصله، لاسيما وانه استشهد في معركة موته سنة ٨ هجرية.

والملاحظة الأخرى هو انه قد اطلق لقب القائم على المختار بن ابي عبيدة الثقفي، وهو نقطة مهمة، اذ يمكن ان يكون قد علق في ذهنه ما أحاط بهذه الشخصية من افتراءات واتهامات، فقد اتهم على انه مدعي النبوة^{١٣٣}، حتى انهم زعم "ان جبريل وميكايل يأتيان الى جبهته فصدقه قوم واتبعوه وهم الكسائية"^{١٣٤}. وزعموا انه ساند الدعوة القائلة بمهدوية محمد بن الامام علي (عليه السلام) المعروف بابن الحنفية، الذي ادعى اتباعه انه المهدي القائم المنتظر حتى قال شاعرهم كثير عزة

ألا إن الأئمة من قريش	ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بني ه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمانٍ وبر	وسبط غيبتة كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدّمها اللواء

تَغْيَبُ لَا يُرَى فِيهِمْ زَمَان

رضوى عنده غسل وماء
١٣٥

ذكر المؤلف تهمة أخرى الصقت بالمختار الا وهي ان المختار ” يزعم ان عليا كان نبياً أكبر من محمد ^{١٣٦} . وهي تهم كثيرة الحققت بالرجل لموقفه المساند لأبناء علي (عليه السلام) وأخذته بثاراتهم .

١ . الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) .

ذكر مارمول الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) مع نهاية سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية، رغم ان المنصب للامامة في هذه الحقبة هو لوالده الامام جعفر الصادق (عليه السلام) الا ان الخطأ المتكرر لدى مارمول في دقة الحدث التاريخي، هو الذي ادخل الشخصيتين بمرحلة تاريخية واحدة ومتداخلة. وقد ذكر الامام موسى الكاظم (عليه السلام) بأنه زعيم المرحلة قائلاً ان ” موسى الكاظم [عليه السلام] الذي نُصِب من جديد زعيم ال محمد على العرش ومنه انحدر الصوفية الذين يحكمون بلاد فارس “ ^{١٣٧} . وأظن ان المؤلف قصد بالصوفية الصوفيون الذين حكموا بلاد فارس فيما بعد، لان الصوفية والمتصوفة ليس لهم علاقة في هكذا امور، ومن خلال ما قدمناه عن المؤلف من جهله بالاحداث التاريخية فقد التبس الامر عليه نظر لتقارب اللفظي بين الكلمتين.

٢ . ادريس الثاني.

أشار مارمول الى انه بعد وفاة ادريس الأول ” لم يعقب الا ولدا من جارية مسيحية من سلالة القوط . وان كان يعتقد انه لم يولد الا بعد وفاته فربما هذا الوليد بكامل العناية، وعهدا بتربيته الى احد موالى ابيه القدماء اسمه راشد اذ لم يقبل الشعب ملكاً آخر عليه “ ^{١٣٨} .

ويبدو ان مارمول لقربه جغرافيا من مكان هذه الاحداث لم يقع كثيراً بالأخطاء التاريخية.

٣ . الاسرة العلوية الحاكمة.

أ. شخصيات متفرقة

يدعي مارمول خطأ بان ” الإمبراطورية انقسمت بعد موت مروان، فبايع الفرس الأمير سلمان والشاميون أبا العباس بن محمد، وأهل اسبانيا عبد الرحمن بن معاوية، وأهل الجزيرة العربية عبد الله بن محمد، والمصريون سليمان الاعرج بن سليمان الذي كان اول سلاطين مصر وجعل مصر مقر مملكته في القاهرة، وكان جميع هؤلاء من سلالة علي (عليه السلام)، والعباس عم محمد (عليه السلام) “ ^{١٣٩} . والملاحظ على هذا النص بانه مجافي للحقيقة وبعيداً عنها ومرتبك جداً. نعم حكم العلويون باسم الفاطميين لاسيما المعز

في مصر فيما بعد وهم من سلالة الامام علي (عليه السلام) لكن ليس بهذا الاسم سليمان الاعرج بن سليمان فهو يبعد كل البعد عن مسميات الخلفاء الفاطميين.

ب. ادريس.

تذكر كتب التاريخ انه بعد معركة فخ ١٦٩ هـ الشهيرة التي حدثت في مكة وقتل قادتها وكان على راسهم محمد ذو النفس الزكية. هرب احد اخوته المعروف بادريس الى بلاد المغرب العربي واستطاع هناك ان يؤسس دولة له ولعائلته. وقد ذكر مارمول شي من تاريخ المؤسس ودولته بعد اضطهادهم من قبل العباسيين "حتى ان احدهم هرب الى موريطانيا الطنجية واستقر بوليلي في جبل زرهون، وبما أنه كان من آل بيت محمد (عليه السلام) لين الجانب، فقد ملك قلوب هذه القبائل حتى إنهم أجلوه كصالح وأطاعوه كأمر لهم" ١٤٠. وذكر المؤلف أيضا انه من بيت علي بن ابي طالب (عليه السلام) والمعلومات التي أوردها المؤلف هنا تطابق الروايات الإسلامية حول الموضوع.

والملاحظ على هذا النص انه جعل من السيدة والدة ادريسي الثاني المدعوة كنزة قوطية مسيحية. بينما تشير المصادر الإسلامية الى انها كانت من البربر ابنه لرئيس قبيلة اوربة وليس كما ادعى مارمول.

واما اهم اعماله التي قام بها ادريس الثاني هو "الذي يسمى ادريس - كآبيه - احد ملوك افريقيا الأكثر سلطة، وأحرز على انتصارات عديدة في شبابه. وهو الذي أسس مدينة فاس على النهر الذي يحمل اسمها سنة ثلاث وتسعين وسبعائة، أي عام خمسة وثمانين ومائة للهجرة ودام ملك هذه الدولة في موريطانيا كلها- أوفى جزء منها- مائة وخمسين سنة، الى ان أبادتها دولة مكناسة" ١٤١.

ت. السيدة نفيسة (عليها السلام):

السيدة نفيسة من اهل بيت النبوة فهي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الامام الحسن المجتبي بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) ولدت بمكة عام ١٤٥ هـ ونشأت في المدينة ثم ذهبت الى مصر عام ١٩٣ هـ واقامت هناك الى ان توفيت. زوجها هو إسحاق المؤمن ابن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) ١٤٢. وقد ذكرها بإيجاز مارمول عن الحديث عن مسجد عمر "الذي يضم قبر إحدى حفيدات محمد التي يعظمها كثيراً سكان المناطق المجاورة" ١٤٣

الهوامش:

- ١ . ادوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، (بيروت، ١٩٨١م)، ص ٨٠.
- ٢ . النعيم، عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، ط ١، المعهد العالي للفكر الإسلامي، (الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٧م)، ص ١٨.
- ٣ . العقيلي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٥م)، ج ٣ ص ١١٥٦ - ١١٥٧.
- ٤ . النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، ص ١٨.
- ٥ . فوك، يوهان، تأريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، مطبعة السفير، (الأردن، ٢٠١٤)، ص ٢٧٧.
- ٦ . عبية، عبد المقصود، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٤م)، ج ٢، ص ٩٨٨.
- ٧ . المرجع نفسه، ج ٢، ص ٩٨٨.
- ٨ . يراة، محمد، دراسات اسبانية للسيرة النبوية، مجمع الملك فهد للطباعة، (المجلة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ)، ص ٨.
- ٩ . يراة، دراسات اسبانية للسيرة النبوية، ص ٨.
- 10 . De Medina، Islam and Christian Spintuality in spain contacts، p.99;
- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط ٣، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٩٣م)، ص ٤٩ - ٥٠.
- ١١ . خيسوس، ماريّا، الادب الأندلس ترجمة اشرف علي دعدور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (مصر، ١٩٩٩م)، ص ٣١٧.
- ١٢ . حايك، سيمون، تعربت وتغربت او نقل الحضارة العربية الى الغرب، المطبعة البوليسية، (لبنان، ١٩٨٧م)، ص ٢٤٨.
- ١٣ . عيد، يوسف، الفنون الاندلسية وأثرها في أوروبا القروسطية، دار الفكر اللبناني، (بيروت، ١٩٩٣م)، ص ٢٣١.
- ١٤ . الكبيسي، عبد العزيز شاكر حمدان، السيرة النبوية في كتابات المستشرقين الاسبان، بحث مقدم لندوة السيرة النبوية في الكتابات الاسبانية التي تنعقد في رحاب كلية الاداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربية، ٢٠٠٨م، ص ١٠.
- ١٥ . مارمول، كاربخال، افريقيا، ترجمة محمد حجي واخرون، مكتبة المعارف، (الرباط، ١٩٨٤)، ج ١، ص ٨ مقدمة المترجم.
- ١٦ . المصدر نفسه، ج ١، ص ٤.
- ١٧ . مارمول، وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم، جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، (القاهرة، ٢٠١٢م)، ج ١، ص ٨.
- 18 .Rodrigo Mediano، F، Luis del Marmol Y el humanismo. Comentarios sobre una Fuente de La Historia del rebelion Y Castigo de los Moriscos del Reyno de Granda. Bulletin

Hispanique.n.2. decembre 2003.p.p.371-404.

١٩ . مارمول، تاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة، ترجمة وتقديم، جعفر ابن الحاج السلمي، مراجعة مصطفى عديلة، مطبعة الخليج العربي، (تطوان، ٢٠١٣م)، ج ١، ص ٩، مقدمة المترجم.

٢٠ . ينظر المصدر نفسه، ص ١٠، مقدمة المؤلف.

٢١ . المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥-٣٧.

٢٢ . مارمول، افريقيا، ج ١، ص ٦.

٢٣ . مارمول، وقائع ثورة الموريسكين، ج ١، ص ٨.

٢٤ . المصدر نفسه، ج ١، ص ٨١.

25. Luis del Marmo y Carvijal، L afrique،(Paris،1667)، p.112.

٢٦ . مارمول، وقائع ثورة الموريسكين، ج ١، ص ٨١.

٢٧ . المصدر نفسه، ج ١، ص ٨١.

٢٨ . المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٠.

29. Marmol، Lafique p.112

٣٠ . منهم على سبيل المثال ابن هاشم، أبو محمد عبد الملك بن هاشم المعافيري، (ت ١٨٢ هـ)، السيرة النبوية، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، (لبنان، ٢٠٠٧م)، ج ١، ص ١٣٤؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت ٧٧٤ هـ) البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٦م)، ج ٢، ص ٨٤.

٣١ . مارمول، وقائع ثورة الموريسكين، ج ١، ص ٨١.

32. Fernando de Granja Santa maria، Estudios de historia de AL-Andlus، Real Academia de historia، (Madrid، 1999)، p.p. 2-8-211؛

وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر، الدراجي، عدنان خلف سرهيد، التأثير الحضاري المتبادل بين الاندلس الإسلامية واسبانية النصرانية خلال عصر غرناطة ٦٣٥ - ٨٩٧ هـ، أطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢م، ص ٩٧-١٠٢.

33. Marmol، p L>afrique، p.113.

٣٤ . ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٣٤.

٣٥ . ابن شهر آشوب، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، دار الاضواء، (بيروت، بلا ت)، ج ١، ص ١٥٥.

36 . Marmol، p L>afrique، p.113.

37. Lbid. P113

38. Lbid. P113

٣٩ . النعيم، الاستشراف في السيرة، ص ٦٥.

40. Marmol، p L>afrique، p.114.

41. Lbid. P113 42. Lbid. P113

٤٣ . ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٨٨ .

44. Marmol، p L>afrique، p.113.

45. Lbid. P112

46. Lbid. P112

٤٧ . ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٩٩ .

48. Marmol، p L>afrique، p.112.

٤٩ . الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري البغدادي، (١٣٤٣هـ) أوائل المقالات، مكتبة مهر، قم المقدسة، ١٤١٣ هـ ق)، ص ٥١-٥٢ .

50. Marmol، p L>afrique، p.113.

51. Lbid. P113

52. Lbid. P113

53. Lbid. P113

54. Lbid. P115

55. Lbid. P113

٥٦ . ابن هاشم، السيرة النبوية، ج١، ص١٥٣ .

57. Marmol، p L>afrique، p.114.

58. Lbid. P114.

59. Lbid. P114.

60. Lbid. P114.

61. Lbid. P121.

٦٢ . ينظر الصابوني، محمد علي، شبهات وابطال حول تعدد زوجات الرسول (r)، (المملكة العربية السعودية، ١٩٨٠م)، ص٦ وما بعدها.

٦٣ . مارمول، افريقيا، ج١، ص١٥٠

٦٤ . المصدر نفسه، ج١، ص١٥٠

٦٥ . الصفار، ابو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ، (٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، ٢٠١٠م)، ج ٥، ص ٢٤٦ .

66. Marmol، p L>afrique، p.121

٦٧ . الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، (٤٠٥هـ)، المستدرک علی الصحیحین، طبع دار الكتب العلمية،

- (بيروت، ١٤١١هـ)، ج ٣، ص ١٠.
68. Marmol، p L>afrique، p.121
- ٦٩ . ابن هاشم، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٠٢.
70. Marmol، p L>afrique، p.121
- ٧١ . ابن هاشم، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٠٢.
72. Marmol، p L>afrique، p.114
73. Lbid.، p.121
- ٧٤ . سورة البقرة : اية ١٤٤ .
75. Marmol، p L>afrique، p.115
76. Marmol، p L>afrique، p.116
77. Lbid.، p.116
- ٧٨ . المقرئ، احمد بن محمد بن احمد المقرئ التلمساني، (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣٢م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٨م)، ج ١، ص ٨١.
- ٧٩ . اليعقوبي، الحسين، تاريخ الصفراء أو التقييم العجمي بالأندلس، مجلة دراسات اندلسية، ع ٢٠، (تونس، ١٩٩٨م)، ص ٥٣-٥٤.
- ٨٠ . ابن حيان، أبو مروان خلف بن حصين بن حيان، (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)، المقتبس من تاريخ رجال الأندلس، عني بشره الأب ملشوم انطونيه، بولس كتر الكني، (باريس، ١٩٧٩م)، ج ٥، ص ٨٥.
81. Marmol، p L>afrique، p.121
- ٨٢ . ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (٧٧٤هـ)، السيرة النبوية (من البداية والنهاية)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٧٦)، ج ٤، ص ٤٤٩.
- ٨٣ . الحاكم، المستدرک، ج ٣، ص ٦٠.
- ٨٤ . المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٠٢.
- ٨٥ . ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (٧٥١هـ)، الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم، دار الهلال، بيروت بلا ت)، ج ١، ص ٦٦.
- 86 . Marmol، p L>afrique، p.121
- ٨٧ . أبْن هشام، السيرة، ج ٤، ٦٥٢؛ أبْن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت ٢٣٠هـ)، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ٢٠٠١م)، ج ٢، ص ٢٣٨؛ البغوي، المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي، (ت ٥١٦هـ)، شرح السنية، تحقيق شعيب الارناؤوط، المكتب الاسلامي، (بيروت، ١٩٨٣م)، ج ١٤، ص ٤٩.
- 88 . Marmol، p L>afrique، p.122
- ٨٩ مارمول، افريقيا، ج ١، ص ١٣٦.

- ٩٠ . النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي، (ت ٣٠٣هـ)، خصائص أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (II)، أحمد ميرين البلوشي، مكتبة العلي، (الكويت، ١٤٠٦هـ)، ص ٣٩-٤٠-٤١.
- ٩١ . سورة المائدة : آية ٦٧.
- ٩٢ . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر، (ت ٦٧١هـ)، الجامع لاحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، ج ١٨، ص ٢٨٧-٢٨٩.
- ٩٣ . مارمول، افريقيا، ج ١، ص ١٣٦
- ٩٤ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٦
- ٩٥ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٦
- ٩٦ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٦
- ٩٧ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٦ .
- ٩٨ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٧
- ٩٩ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٣
- ١٠٠ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٣
- ١٠١ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٣
- ١٠٢ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٤
- ١٠٣ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٤
- ١٠٤ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٤
- ١٠٥ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٤
- ١٠٦ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٤
- ١٠٧ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٤
- ١٠٨ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٤
- ١٠٩ . البحراني، السيد هاشم بن سليمان، حلية الابرار في احوال محمد واله الاطهار (عليهم السلام)، تحقيق الشيخ غلام رضا البروجردي، مؤسسة المعارف الاسلامية، (بيروت، بلا ت)، ج ٢، ص ٢٩١.
- ١١٠ . مارمول، افريقيا، ج ١، ص ١٥٤
- ١١١ . البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٦م)، ج ٢، ص ١٨٢ رقم ٢٢٥
- ١١٢ . المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، مؤسسة الرسالة، (تحقيق بكرى حياتي وصفوة السقا)، ط ٥، (بيروت، ١٩٨١م)، ج ٦، ص ٣٩٢ رقم ٢٨٣٧
- ١١٣ . المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٩٠ رقم ٢٨٢٧ .
- ١١٤ . مارمول، افريقيا، ج ١، ص ١٥٤ .
- ١١٥ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٤ .
- ١١٦ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٤ .
- ١١٧ . المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٠ .

١١٨. المصدر نفسه، ج ١، ١٤٠.
١١٩. المصدر نفسه، ج ١، ١٤٠.
١٢٠. المصدر نفسه، ج ١، ١٥٤.
١٢١. المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، (٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق الدكتور بشار عواد معلوف، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٥م)، ج ٦، ص ٢٢٥.
١٢٢. مارمول، افريقيا، ج ١، ص ١٤٥.
١٢٣. المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٥.
١٢٤. مارمول، افريقيا، ج ١، ص ١٥٤ - ١٥٥.
١٢٥. الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط ٣. (إيران، ١٣٦٧ش)، ج ٦، ص ٤٧٣.
١٢٦. أبن الكازروني، الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، (٦٩٧هـ)، مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، المؤسسة العامة للطباعة والطباعة، (بغداد، ١٩٧٠م)، ص ٨٠.
١٢٧. مارمول، افريقيا، ج ١، ص ١٥٥.
١٢٨. مارمول، افريقيا، ج ١، ص ١٥٥.
١٢٩. المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٠.
١٣٠. المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٠.
١٣١. المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٠.
١٣٢. المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٢.
١٣٣. الاسفرايني، الامام أبي المظفر الاسفرايني، (٤٧١هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٣م)، ص ٣٣.
١٣٤. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (٢٨٦هـ)، تاويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث، مكتبة زيد العمومية، (مصر، ١٩٣٥م)، ص ٨٤-٨٨.
١٣٥. الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر. (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق عبد الامير علي مهنا وعلي حسن فاعود، دار المعرفة، ط ٣، (بيروت، ١٩٩٣م)، ص ١٧٤.
١٣٦. مارمول، افريقيا، ج ١، ص ٢٠١.
١٣٧. المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠١.
١٣٨. المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٢.
١٣٩. المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٤.
١٤٠. المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٢.
١٤١. المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٣.
١٤٢. ينظر عنها ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، (٧٧٩هـ)، رحلة أبن بطوطة المسماة تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تحقيق الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم، (بيروت، ١٩٨٧م)، ج ١، ص ٥٧.
١٤٣. مارمول، افريقيا، ج ١، ص ١٥٠.

المصادر والمراجع

- ادوارد سعيد.
- ١. الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، (بيروت، ١٩٨١ م).
- الاسفرايني، الامام أبي المظفر الاسفرايني، (٤٧١ هـ).
- ٢. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٣ م).
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (٢٨٦ هـ).
- ٣. تاويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث، مكتبة زيد العمومية، (مصر، ١٩٣٥ م).
- البحراني، السيد هاشم بن سليمان.
- ٤. حلية الأبرار في أحوال محمد واله الأطهار (عليهم السلام)، تحقيق الشيخ غلام رضا البروجردي، مؤسسة المعارف الإسلامية، (بيروت، بلا ت).
- بدوي، عبد الرحمان.
- ٥. موسوعة المستشرقين، ط ٣، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٩٣ م).
- ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، (٧٧٩ هـ).
- ٦. رحلة ابن بطوطة المسافة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تحقيق الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم، (بيروت، ١٩٨٧ م).
- البغوي، المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي، (ت ٥١٦ هـ).
- ٧. شرح السنية، تحقيق شعيب الارناؤوط، المكتب الاسلامي، (بيروت، ١٩٨٣ م).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩ هـ).
- ٨. انساب الاشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٦ م).
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، (٤٠٥ هـ).
- ٩. المستدرک على الصحيحين، طبع دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١١ هـ).
- الحايك، سيمون.
- ١٠. تعربت وتعربت او نقل الحضارة العربية الى الغرب، المطبعة البوليسية، (لبنان، ١٩٨٧ م).
- خيسوس، ماريا.
- ١١. الادب الأندلس ترجمة اشرف علي دعدور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية (مصر، ١٩٩٩ م).

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت ٢٣٠هـ).
- ١٢. كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ٢٠٠١م)
- ابن شهر آشوب، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني.
- ١٣. مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، دار الاضواء، (بيروت، بلا ت)، ج ١، ص ١٥٥.
- الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر. (ت ٥٤٨هـ).
- ١٤. الملل والنحل، تحقيق عبد الامير علي مهنا و علي حسن فاعود، دار المعرفة، ط ٣، (بيروت، ١٩٩٣م).
- الصابوني، محمد علي.
- ١٥. شبهات واباطيل حول تعدد زوجات الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، (المملكة العربية السعودية، ١٩٨٠م).
- الصفار، ابو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ، (٢٩٠هـ).
- ١٦. بصائر الدرجات، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، ٢٠١٠م).
- عبية، عبد المقصود
- ١٧. الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٤م).
- الدراجي، عدنان خلف سرهيد.
- ١٨. التأثير الحضاري المتبادل بين الاندلس الإسلامية واسبانية النصرانية خلال عصر غرناطة ٦٣٥ - ٨٩٧هـ، دار حميثرا للنشر والترجمة، (مصر، ٢٠١٠م).
- ابن حيان، ابو مروان خلف بن حصين بن حيان، (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م).
- ١٩. المقتبس من تاريخ رجال الاندلس، عني بشره الاب ملشوم انطونيه، بولس كتر الكني، (باريس، ١٩٧٩م).
- عقيقي، نجيب.
- ٢٠. المستشرقون، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٥م).
- عيد، يوسف.
- ٢١. الفنون الاندلسية وأثرها في اوروبا القروسطية، دار الفكر اللبناني، (بيروت، ١٩٩٣م).
- . فوك، يوهان.
- ٢٢. تأريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في اوربا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، مطبعة السفير، (الأردن، ٢٠١٤).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (ت ٦٧١هـ).

٢٣. الجامع لاحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية.
- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (٧٥١هـ).
٢٤. الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم، دار الهلال، (بيروت بلا ت).
- أبن الكازروني، الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، (٦٩٧هـ).
٢٥. مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، المؤسسة العامة للطباعة والطباعة، (بغداد، ١٩٧٠م).
- الكبيسي، عبد العزيز شاكر حمدان .
٢٦. السيرة النبوية في كتابات المستشرقين الاسبان، بحث مقدم لندوة السيرة النبوية في الكتابات الاسبانية التي تنعقد في رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربية، ٢٠٠٨م.
- ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (٧٧٤هـ).
٢٧. السيرة النبوية (من البداية والنهاية)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٧٦).
٢٨. البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٦م).
- الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، (٣٢٩هـ).
٢٩. الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط ٣. (ايران، ١٣٦٧ش).
- مارمول، كاربخال، (١٦٠٠م).
٣٠. افريقيا، ترجمة محمد حجي واخرون، مكتبة المعارف، (الرباط، ١٩٨٤).
٣١. تاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة، ترجمة وتقديم، جعفر ابن الحاج السلمي، مراجعة مصطفى عديلة، مطبعة الخليج العربي، (تطوان، ٢٠١٣م).
٣٢. وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم، جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، (القاهرة، ٢٠١٢م).
- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، (ت ٩٧٥هـ).
٣٣. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، مؤسسة الرسالة، (تحقيق بكرى حياتي وصفوة السقا)، ط ٥، (بيروت، ١٩٨١م).
- المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، (٧٤٢هـ).
٣٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق الدكتور بشار عواد معلوف، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٥م).
- الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري البغدادي، (٤١٣هـ).

٣١. أوائل المقالات، مكتبة مهر، (قم المقدسة، ١٤١٣ هـ ق).
- المقرئ، أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني، (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣٢ م).
٣٢. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٨ م).
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، (ت ٣٠٣ هـ).
٣٣. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أحمد ميرين البلوشي، مكتبة العلي، (الكويت، ١٤٠٦ هـ).
- النعيم، عبد الله محمد الأمين.
٣٤. الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، ط ١، المعهد العالي للفكر الإسلامي، (الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٧ م).
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافيري، (ت ٢١٨ هـ).
٣٥. السيرة النبوية، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، (لبنان، ٢٠٠٧ م).
- يرادة، محمد.
٣٦. دراسات إسبانية للسيرة النبوية، مجمع الملك فهد للطباعة، (المجلة العربية السعودية، ١٤٢٥ هـ).
- اليعقوبي، الحسين.
٣٧. تاريخ الصفر أو التقويم العجمي بالأندلس، مجلة دراسات أندلسية، ع ٢٠، (تونس، ١٩٩٨ م).
De Medina.
- Islam and Christian Spintuality in spain contacts.
 - Fernando de Granja Santa maria.
 - Estudios de historia de AL-Andlus، Real Academia de historia، (Madrid، 1999).
 - Luis del Marmo y Carvija.
 - L afrique، (Paris، 1667).
 - Rodrigo Mediano.
 - F، Luis del Marmol Y el humanismo. Comentarios sobre una Fuente de La Historia del rebelion Y Castigo de los Moriscos del Reyno de Granda. Bulletin Hispanique.n.2. decembre 2003.

الفصل الثالث: المنقذ في الفكر الموريسكي

مستخلص البحث

تعد النبوءات الموريسكية التي واكبت وتأثرت بالنبوءات المشرقية الإسلامية التي وردت على لسان الرسول محمد (ص) والتي ربما نسجت على منوالها، أو انحرفت قليلاً عن مرادها الذي وضعت له. باعث أملاً يتجدد في ذهن الموريسكي لاسترجاع تراثه وبلده الضائعين من خلال تحفيزه على الثورة، مستنداً على أمله في نبوءات المنقذ أو الملخص المهدي الذي تناءت به النبوءات الموريسكية، فحددت علامات لظهوره بعضها أرضية وبعضها كونية، ونعته بنعوت متعددة، وأسما مختلفة دلت في النهاية ومن خلال نصوص موريسكية على أن المراد من هذا المنقذ ما هو إلا الإشارة إلى المنقذ الأكبر وهو ما وصفوه بالفاطمي العربي القادم من المشرق وهي إشارة تكفي ومن خلال أحاديث الرسول محمد (ص) إلى أن المقصود بهذا الفاطمي ما هو إلى الامام الثاني عشر المسمى محمد بن الحسن العسكري.

Abstract

The Mořský prophecies have accompanied and influenced by oriental Islamic prophecies which are mentioned in the words of the Prophet Muhammad (peace be upon him), and also they may be are along the lines of the Islamic prophecies, or deviated slightly from their original goal.

They also have given a renewed hope in the heart of Mořský to retrieve its lost legacy and country through stimulating it to begin the revolution. Based on the prophecies of the savior or the summary that Mořský prophecies called for, it identifies the signs of its appearance (earthly and universally signs), and labels it with many different names that shown in the end that this savior is a signal to reveal the biggest savior who is described (The Arab Fatimid coming from the East), and through the sayings of the Prophet Muhammad (peace be upon him) it is known that that the meaning of this Fatimid is the twelfth Imam named Mohammed Bin Hassan Imam Al-Askary, The Military..

اولاً: المنقذ عند الموريسكيين.

المقدمة

انتشرت بين الموريسكيين* نبوءات كثيرة تتعلق برؤيتهم لمصيرهم في شبه جزيرة أيبيريا والتي استمدوها من تراثهم الإسلامي نتيجة للأحداث المأساوية التي المت بهم من جراء ما عانوه من مأسى مؤلمة جرت عليهم بعد أن تنصل الاسبان عن وعودهم التي أبرموها مع اخر ملوك الاندلس، والنشاط الاجرامي والتعسفي لمحاكم التفتيش سيئة الصيت والتي مارست بحقهم أبشع أنواع التعذيب والقتل والنفي، حتى قضى تحت أيديهم وفي سجونهم مئات الالاف من المسلمين وبعضهم من اليهود غير من قتل حرقاً وطرد ظلماً، حتى أئيد شعب بكامله وتلاشي عن وجهة الأرض بفعل تلك الممارسات البشعة وسفك الدماء. ومحاولة من هؤلاء المظلومين للتصدي والمقاومة والتمسك بالأرض والدين، فقد توجهت أبصارهم صوب المشرق الإسلامي منحدرهم الروحي والمادي الذي انحدروا منه قبل مئات السنين، فتعلقوا بنبوءات كانت متنفس لهم للخروج من تلك الازمة التي يعيشوها فبحثوا عنها في بطون كتب المسلمين فوجدوا فيها أمل ومتنفس لهم، وهي التي تشير بظهور الدين الإسلامي بعد انحساره، على يد المنقذ المبشر به.

واخذوا يبشرون به في كتبهم حتى غدت أملهم المرتجى للخلاص من واقعهم المزري. فكان كتاب الجفر المنسوب الى الامام علي بن ابي طالب (ع) أحد تلك المراجع الرئيسة لهم، وان لم يكن الظاهر من هذه التسمية هو كتاب الامام (ع) بعينه بل حاكوه في موضوعاته ونسجوا على منواله، وربما استمدوا من نسخة لهذا الكتاب او نقلوا منه روايات تتعلق باختبار الساعة وعلامات المنقذ وظهوره. فأطلقوا على تلك الكتب تسمية الاجفار تيمناً بكتاب الامام (ع) ليوثقوها وليستندوا اليها في إطفاء الشرعية على نبوءاتهم ثقة منهم الامام عليه السلام الذي وثقوا بروايته "حيث يصدق الجميع ما يقول، وقد رويت عنه مآثر عظيمة حدثت على النحو الذي صاغه"^(١) فكانت تلك الاجفار بالنسبة لهم قبل كل شيء عمل ديني سواء من حيث اصوله او أهدافه^(٢) وكانت تلك الاجفار وما تحويه من تنبؤات قد حفزت الموريسكيين للقيام بالثورة ضد الاسبان لمواجهة الظلم الواقع عليهم لما تحويه من مضامين تبشيرية وعدتهم بالنصر فاستندوا اليها وجمعوا رجالهم واموالهم وانتفضوا ضد اعدائهم الاسبان^(٣)

ومن اشهر تلك الاجفار في شبه جزيرة ايبيريا وما تحويه من نبوءات هي ما اصطلاح عليه تاريخاً بالألواح الرصاصية وما فيه من نبوءات والتي وجدت في البرج العتيق في منارة مسجد غرناطة أثناء تهديمه لبناء الكاتدرائية الكبيرة في المدينة^(٤) "لقد كانت المحنة التي يمر بها. مسلمو الاندلس باعثة على

الياس في من جعلهم يبحثون من ملاذ لهم في الحيل المدهشة التي تمكنهم من احتمال الوضع وتمنحهم بعض المتعة والفرح: لقد انغمسوا في النبوءات أو كتب الجفر (Aljofores) وبعد هذا الامر من الابعاد المدهشة والمثيرة للاستغراب في الادب الإسباني المكتوب بالحروف العربية كما انه يعد مثالا مشيراً للشفقة على التفكير الرغبي الجمعي نتظاهر الكتب التي تدعى كتاب الجفر، المكتوبة بوضوح في القرن السادس عشر بأنها مخطوطات قديمة (رغم وجود استثناءات معينة تشذ عن القاعدة) تنبأ بمستقبل زاهر مزده بالنصر لمسلمي اسبانيا. باستخدام كتب الجفر التي يصعب علينا تصنيفها وردها الى أحد الأنواع الأدبية لأنها تندمج عناصر من الرواية والادب والتاريخ كان المسلمون يحاولون فقط إعادة كتابة تاريخهم والتأثير في مستقبلهم. ومن النادر ان نجد موازياً لهذه التجربة الأدبية والإنسانية التي حاول بها مسلمو الاندلس ان يعيشوا حياه مختلفة عن حياتهم^(٥٠).

وفي عام (١٥٦٩م) صرح مسلم يدعى زكريا مقيم في غرناطة باعترافه امام محاكم التفتيش بان المغاربة لهم رغبة كبرى، في الانتقام واكدوا بان الخلاص قريب، وسيأتي من شمال افريقيا، من بجاية ووهران وسبته، وسوف يتم دخول اسبانيا من جديد وانه سيظهر جسر من حديد عند مضيق جبل طارق وعن طريقه سيدخل العرب الى اسبانيا^(٥١).

وعضد ما ذهبنا اليه كارباخال من ان تلك النبوءات مصدر قوة وباعث عزيمة للمسلمين للثورة بقوله انهم "كانوا يعدونها احدى وسائل بث الثقة في نفوس القرويين الجهال حتى يحملوهم على تصديق ما يقرأ عليهم وان نحواه محققة ومنزهة على الخطأ بما ان تلك الثقة الجوفاء كانت السبب الأكبر في جزء كبير من القلاقل التي أثاروها فأنا نعرضها في هذا الجزء حرقاً"^(٥٢). واخذ يسترسل في سرد تلك النبوءات التي عاب على المسلمين رداءة كتاباتهم العربية سبب ابتعادهم عن قواعد اللغة العربية^(٥٣) لحضر استخدامها عليهم، ولعل ليس من قبيل الصدف ان تستند الرواية الغيبة في حديث الرسول (ص) الى الامام علي (عليه السلام). وهذا يعيدنا الى كتابه المنسوب له الذي استعرضناه في المقدمة والمسمى الجفر والذي ربما بمنطق اللاشعور من قبل الموريسكيين حاولوا الصاق النبوءة بالأمام (عليه السلام)، كونه صاحب كتاب الجفر الذي يحوي على اسرار ما كان وما يكون، والشخصية المميزة بين الصحابة (رض) والذي قال عنه روائي النبوءة سيد زيد الجرغالي Zayd el Guergualh انه "لا غبار على رواية على حين بصدق الجميع وما يقوله"^(٥٤) فضلاً عن ذلك يضيف الراوي اهتمام السيدة الزهراء (ع) بتلك الاحداث وسؤالها لا بيها (ص) عن حالة الاندلس وحزنها وبكائها عليهم^(٥٥).

وقد حُدد وقت بدء عملية الانقلاب في القوى لصالح المسلمين بعد ان اضطهدهم الاسبان على لسان الرسول محمد (ص) بعد ان سأله الامام علي حول ذلك التوقيت "قائلاً آيه يا علي! (عليه السلام) سيكون

ذلك في جزيرة الاندلس، في العام الذي يوافق مطلع يوم سبت والاشارة التي ستنبئ بقدومه هي ان يرسل الله سراً من الطيور يضم طائرين معلمين، أحدهما الملك جبرائيل Gabriel والآخر هو الملك ميكائيل^(١١) والعام الذي أخبر به الرسول محمد (ص) الامام علي (ع) عام كيبس^(١٢) وفي احدى الوثائق المخطوطة والتي تتحدث عن وقت الظهور ولملاحظة عليها أنها مرتبكة اللغة غير مترابطة الى حد ما لعدم معرفتهم بقواعد اللغة العربية. تذكر تاريخ محدد لظهور جبرائيل وميكائيل اذ قال "رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاولى فاطمة رضي الله عنها اذا دخلى العام تسعة وتسعمائة عجم يوم السبت يبعث الله فيها سحابة من طيور وليس هي بطيور الامن... وترى فيها زوج معينة (وهو) وهما جبريلي وميكائيلي"^(١٣).

١. علامات الظهور عند الموريسكيين.

علامات الخلاص ومحى المنقذ وعلامات ظهوره اكدها صاحب الشريعة الرسول محمد(ص) بحسب ما جاء في روايات الموريسكيين والتي استمدوها من تراثهم الإسلامي رغم التعميم في الموروث الديني الذي انحرف نتيجة نشاط محاكم التفتيش وقطع المسلم عن تراثه الديني ومن أهم هذه العلامات التي ترتبط بعصر الظهور والتي سطرها الموريسكيون في نبوءاتهم والتي رُتبت على اسبقيتها التاريخية.

أ. كسوف الشمس وخسوف القمر

"ويراد به حدوثها بشكل مختلف عن الشكل الاعتيادي له. فبدلاً من أن يحدث الكسوف في اول الشهر والخسوف في وسطه كما هو معتاد. فان حدوثها. سوف يكون بالعكس فيحدث الكسوف في وسط الشهر والخسوف في أوله بشكل لم يسبق له نظير منذ أول البشرية الى حين حدوثه"^(١٤) وقد أخبر الامام أبو جعفر الباقر (ع) عن تلك الآية قائلاً: "ايتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط ادم صلوات الله عليه ابداً وذلك ان الشمس تنكسف النصف من شهر رمضان والقمر في آخره، فقال له رجل: يا بن رسول الله لا بل الشمس في اخر الشهر والقمر في النصف فقال له أبو جعفر عليه السلام: أني لأعلم بالذي أقول: "انهما ايتان لم تكونا منذ هبط ادم عليه السلام"^(١٥).

وقد احتفظت النبوات الموريسكية بتلك الآية عادة إياها إحدى علامات خلاصهم من عذابهم في شبه الجزيرة أيبيريا، والتي عُدت نذير شؤم بالنسبة للمسيحيين اذ كان كسوف الشمس إحدى ابرز علامات خلاصهم^(١٦)

ب . الدجال:

من العلامات الحتمية قبل الظهور هو فتنة الدجال والذي حذر منه الرسول محمد (ص) في أكثر من موضع، وكذلك تحدث عنه كتب التاريخ كثيراً. فهو بحسب ما تصوره الأحاديث النبوية والروايات التاريخية "رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العينين كان عنبه طافية"^(١٧)

وكان قد ادعى الربوبية قائلاً: "إلى أوليائي، أنا الذي خلق فسوى وقدر فهدى، أنا ربكم الأعلى"^(١٨).

وأما علاقته بعلامات الظهور فقد ذكره الرسول محمد (ص) قائلاً: "فبينما هو كذلك، اذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين... فيطلبه حتى يدركه بباب لدى فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيسمح عن وجوهم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة"^(١٩). وقد صرح الامام علي بن ابي طالب (ع) بمصير الدجال بخلاف الرواية السابقة، بعد ان خطب يا صاحبه قائلاً: "سلوني قبل أن تفقدوني ثلاثاً، فقام اليه صعصعة بن صوحان، فقال: يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجال؟ فقال له: أقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت... الى ان يقول بعد حديث طويل: يقتله الله عز وجل بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق، لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد من يصلي عيسى ابن مريم خلفه"^(٢٠). وهذه الأحاديث والروايات في كتب المسلمين ومصادرهم المشرقية.

أما الدجال عند الموريسكيين فقد رافق ظهوره آخر الزمان وقد ذكرت النبوءات التي تؤرخ في تلك الفترة بعض اخباره المقتضبة ففي النبوءات التي ذكرها كارباخال نراها تتحدث عن احداثا تاريخية كارثية قبل خروج الدجال يمر بها الناس اذ تقول في النبوة "وفي اعقاب ذلك يولد المسيح الدجال اللعين، ويخرج على الناس، أنذاك سيرسل الله قحطاً شديداً، يدوم سبعة أعوام، لن يظهر خلالها خيرٌ أو حبوباً أو ماء"^(٢١). ثم تتكلم النبوة عن معاجزه بعد تلك الشدائد "فيقوم حينها بغرس البذور عند منتصف النهار ليحصدوها مع المغيب، ويزرع الأشجار والنباتات يميناه، فتحصد ثمار الفاكهة يسراه. سيأمر الميت ان يحيا، فينهض وافقاً، فيدعى أنه باعث الموتى، والاله والسيد الذي ليس كمثله شيء، أما من يتبعه فلن ينال خيراً قط، وسيموت كافراً، ويمسي مثواه في سوء الجحيم. سيتبع المسيح الدجال الناس كاشفاً لهم عن العديد من صنوف الرزق وعيون المياه"^(٢٢). وقد ورد عن الرسول محمد (ص) انه "مكتوب بين عينه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب"^(٢٣)

وذكرت المصادر الموريسكية تلك الخصلة بتحريف اذ تقول النبوة التي أوردها مارمول حول تلك القضية وانه "سوف يظهر على جبينه عبارة: استبد وعصي"^(٢٤).

وتسترسل النبوءة بذكر صفاته قائلة "ستكون ملامح وجهه مثيرة للفرح فهو ليس له سوى عين واحدة، ويحمل على رأسه وعاءً ممتلئاً بالطعام اللذيذ، ورأسه مستدير كاستدارة القمر، سترون الناس وراءه بأعداد غفيرة، حتى لن تسعهم الأماكن هم وابناءهم وأسرهم، سوف يمتطي دابةً يثير نظرها الفرع" (٢٥) والفرع المصاحب لمنظر تلك الدابة، ربما هو ما روي عن الرسول محمد (ص) حولها اذ قال (ص) "له حمار يركبه، عرض ما بين اذنيه أربعون ذراعاً" (٢٦). وتكمل النبوءة صفات الدجال قائلة "وسيمتد الطريق امامه على مرمى البصر، وسيطوف الدنيا بأسرها في سبعة أيام. ومعه نهران: أحدهما من ماء والأخر من نار، فاذا شرب من يتعوه من الماء القوه ملتهبا كما النيران" (٢٧). وهو ما أشار اليه الرسول محمد (ص) اذ قال عنه "ان معه ماءً وناراً، فناره ماء بارد، وماؤه نار فلا تهلوكوا" (٢٨)

ثم تأتي النبوءة الى ذكر اليهود وعلاقتهم به قائلة "سوف ترافقه كل أسر اليهود التي سيحجب بها ضوء النهار" (٢٩) وهو أيضا ما أشار اليه الرسول محمد (ص) قائلًا: "الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلي وساج" (٣٠). وتذكر النبوءة نهايته قائلة "حينئذ يرسل الرب العلي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فيخرج لمقابلته في ارض الشام Hexen فلما يبصره يجر امامه كأنه جبان مخنث، وتقول الحجارة والأمكنة ليدفن اسفلنا عدو الله" (٣١)

وذكره الحجري في رحلته على لسان المورسيكين قائلًا "والمسيح الدجال دليل، في طلوع الشمس من المغرب" (٣٢)

ت. المطر:

المطر علامة أخرى من العلامات التي ترافق قيام المنتظر (ع)، وان كانت الروايات التي أوردت الرواية ضعيفة مقارنة، مع العلامات الأخرى (٣٣). فعن الامام الصادق (ع) انه قال: "ان قدام القائم لسنه غيداق" (٣٤). وكذلك روي عن سعيد بن جبیر (رض) انه قال "السنة التي يقوم في المهدي تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطره يرى أثرها وبركتها" (٣٥).

وفي النبوءات الموريسكية ذكرت هذه الحادثة بروايتين متناقضتين اذ تذكر الرواية المشرقية، الواردة أعلاه انه "ستكثر السحب وتندر الامطار" (٣٦) فهي تأتي بخلاف تلك الرواية ولا نعلم السبب، غير انه بعد استرسال النبوءة بذكر العلامات يأتي بعدها مباشرة أي بعد ندرة الامطار وقوتها وتينع الأشجار بوفرة من الفاكهة، اما موسم حصاد القمح فتسمى الأشجار بوفرة من الفاكهة، اما موسم حصاد القمح فستمني الجبال الباردة بمحصول أكثر وفرة من المحاصيل ولا سيما أن النبوءة تذكر كثرة السحب وهو دليل على وفرة الامطار لا ندرتها. وإذ قراءنا الرواية من خلال المعنى الذي

وضعت له الفكرة يلزمنا ان نقول بكثرة الامطار وليس ندرتها، وربما ان المترجم وقع في لبس، او ان الرواية وردت هكذا للتناقض في عالم النبوءات الغيبية على ان الرواية الاسبانية والتي تنبأ بظهور الديانة المسيحية على الإسلامية تتفق مع الرواية المشرقية من حيث كثرة الامطار وغزارتها فهي تذكر ان العالم مقبل على "العميم من الخيرات الروحية والمادية والرضاء وامتلاك الأرض الجديدة والامطار الغزيرة بالعديد من النعم السماوية"^(٣٧) وهناك رواية اخر تعزز الرواية المشرقية والمسيحية من جهة وتعزز الرواية القائلة بندرة الإمطار، وتعالج التناقض الحاصل بين الروايتين من خلال ذكر ان الندرة تحصل في وقت معين والوفرة في وقت اخر، اذ تذكر النبوءة في احداث سنة "تسعة وتسعين عجام"^(٣٨) فيكون ذلك العام وقعة شديدة ويكون الشتاء فيها قليل ت المطار والريح كثيرة ويأتي المطار في شهر ابريل وتصلح الدنيا بالمطار وتكون جميع الثمار خصيصة غلالها وغزرة الفواكه "^(٣٩).

ث. عقد الجسر ببغداد

وردت احاديث عن أهل البيت (ع) عن عقد جسر ببغداد مما يلي الكرخ^(٤٠) ويبدو أن الموريسكي استلهم تلك الرواية ورسخت في ذهنه، ونظراً - وكما قدمنا انفا - لابتعاد الموريسكي عن تراثه الدين الحقيقي فربما نقل صورة الجسر من بغداد التي يفصل بين جانبيها نهر دجلة وطريقة وحل هذين الجانبين بالجسر الموضوع على نهر دجلة كما هو ظاهر الرواية، فقد نقل الموريسكي تلك الصورة وجعلها تعانق بجغرافيتها العُدوتين المغربية والأندلسية بدلاً من الكرخ والرصافة ونصت مخيلة الجسر الرابط بين العُدوتين وهو يمثل الامل بعبور الفاتحين الاوائل الى شبه جزيرة ايبيريا، "ففي سنة ١٥٦٩ م بغرناطة صرح زكريا الذي اعترف امام محاكم التفتيش بان المغاربة لهم رغبة كبرى في الانتقام، واكدوا بان الخلاص قريب، وسيأتي من شمال أفريقيا، من بجاية ودهران وسبقه، هم بعد ذلك يتم من جديد غزو اسبانيا... وانه في مضيق جبل طارق سيظهر جسر من جديد وعن طريقة سيجتاز العرب ويتمكنون من غزو اسبانيا حتى كاليسيا"^(٤١) "او ربما قنطرة من نحاس يعبر عليها المسلمون"^(٤٢) كما وُصف مرة اخرى.

ج. الصيحة:

الصيحة من الحوادث المفزعة والتي وردت الاخبار عن طريق الائمة (ع) الى حولها. ويفسر بانه صوت عظيم يكون في السماء يوقظ النائم ويفزع اليقظان، وتخرج الفتاة من خدرها خوفاً وفزعاً، وربما يكون هو نداء جبرائيل (ع)^(٤٣).

فعن ابي بصير ان الامام ابي عبد الله الصادق (ع) انه قال "قلت له: جعلت فداك، متى خروج

القائم؟ فقال: يا أبا محمد، أنا أهل بيت لا نوقت... الى ان قال: لا يخرج القائم حتى ينادى باسمه في جوف السماء في ليلة تراث وعشرين من شهر رمضان، ليلة جمعة، قلت بم ينادي؟ قال: باسمه واسم ابيه، الا ان فلان بن فلان قائم آل محمد، فاسمعوا له وأطيعوه فلا يبقى شيء من خلق الله فيه الروح، الا سمع الصيحة، فتوقظ النائم ويخرج الى صحن داره، وتخرج العذراء من خدرها ويخرج القائم من يسمع، وهي صيحة جبرائيل (ع)" (٤٤).

أما وقتها الذي حدده الائمة فتكون في شهر رمضان اذ ينقل الحرث بن المغيرة عن ابي عبد الله الصادق (ع) قوله عنها "الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان" (٤٥). وكانت العلامة التي حددها الموريسكيين بتواريخ وأماكن مختلفة، الا انها تدور في اغلبها حول شبه جزيرة ايبيريا، اذ وصفت على انها يكون الناس على اثرها سكارى ومن هو لها ويخرون موتى بدون قتل، محددين تاريخها بما يوافق فكرتهم عن الخلاص قائلين في نبوءاتهم "ففي ذلك الزمان يكون المسلمين. في ارض رغون. شدة كبيرة/ وفي عام ستة عرب وعشرين [Sic Por] وتسعمائة/ يكون. في واحد {صا} صيحة كبيرة/ بين الناس ويكون الناس سكارى/ مواتا بلا حديد. والا قتالي". (٤٦)

والصيحة الاخرى ذكرتها النبوءة قائلة "وتكون صيحة كبيرة في عام تسعة وتسعمائة في مدينة بلنسية وأخرى/ {} في دانية وأخرى في {} جزيرة الا/ الاندولوس المذكورة في/ تاريخ العجم {}. وتاريخ الجغرافي./ وبعد هذه عن {} قريب يكون. صيحة كبيرة يقدر/ مون على النصرى ويكون./ وبينهم مقتلة عظيمة" (٤٧)

وهناك صيحة أخرى ذكرتها النبوءة "وتكون صيحة كبيرة في وقت صلاة/ الصبح وافزع {}. كبير حتى الكثير/ من النصرى يرجعون الا. دين المسلمين" (٤٨).

ح. خروج الشمس من مغربها:

وهي علامة أخرى لا شرائط الظهور فضلا عن الموضوع الانف الذكر بشرط الخسوف والكسوف، اذ أخرج البخاري عن الرسول محمد (ص) انه قال "لا تقوم الساعة... حتى تطلع الشمس من مغربها، فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً" (٤٩).

وروي عن الرسول محمد (ص) انه قال "عشر علامات قبل الساعة لا بد منها... وعد منها: طلوع الشمس من مغربها" (٥٠). على أن النبوءات الموريسكية قد ربطت بين المسيح الدجال وخروجه وهذا

الحدث، قائلة "المسيح الدجال دليل في طلوع الشمس من المغرب" ^(٥١). وتحدث النبوءات أيضاً عن الشمس المتصدعة التي عدتها من علامات الظهور. وربما تصدعها ناتج عن حركتها المفاجئة بظهورها من المغرب اذ ورد في النبوءات ان الرسول محمد (ص) قد عد العلامات الصغرى الظهور ومنها "طلوع الشمس المتصدعة" ^(٥٢).

خ. ظهور الملائكة

بحسب النبوءة الموريسكية فان الملائكة سوف تظهر في السماء معلنة للصيحة والتي هي احدى علامات الظهور وتحديدأ في البشرات ^(٥٣) او سيرينفادا ^(٥٤) على شكل طيور في السماء وكلاهما في غرناطة ^(٥٥) وتظهر نتيجة للظلم والتعسف والجور الذي لحق بالمسلمين اذ تذكر النبوءة أن الناس في ارض باثا Baza قد شاهدت آيات وظواهر خارقة للعادة اذ ظهرت "طيورا غير مألوقة في غرناطة" ^(٥٦) وظهرت لهم مرة أخرى اذ "شاهدتهم أناس يسرون في السحاب على هيئة طيور تخلق أعلى البشرات يقودها طائران أضخم حجماً واوضح رؤية" ^(٥٧) ان هذين الطائرين الضخمين ما هما الا ميكائيل وجبرائيل، صاحب النداء في عصر الظهور اذ تذكر النبوءة أنه "يبعث الله فيها سيحابه من / / طيور وليس هي بطيور الا من صحبة النبي عليه السلام / وترى فيها زوج معينه (وهو) وهما (ء) / (ا) جبريلي وميكائيلي" ^(٥٨).

ونزول جبرائيل بصفة طائر أبيض مستفيضة في كتب الحديث. اذ يروي ان ابا عبد الله عليه السلام قال: "أول من يبايع القائم عليه السلام جبرائيل عليه السلام ينزل في صورة طير أبيض فيبايعه ثم يضع رجلاً على بيت الله ورجلاً على بيت المقدس ثم ينادي بصوت ذلق يسمع [طلق تسمعه] الخلائق (اتى امر الله فلا تستعجلوه) ^(٥٩) " ^(٦٠).

وعلى الرغم من الخلط الحاصل بين العقائد الصحيحة والمشوشة عند الموريسكيين وكما قدمنا انفا الا أن اصل الرواية يبقى عالماً في اذهانهم لكن يشوبه ما لحق بالروايات السابقة من تحريف فتذكر النبوءة الموريسكية ان تلك الطيور والتي يتقدمها جبرئيل وميكائيل ما اتت الا من اجل البشرى وخلاص الناس بقرب المخلصين من ملوك الشرق والغرب اذ تقول النبوءة انه "في العام الذي يوافق مطلع يوم سبت، من الاشارة التي ستنبئ بقدومه هي ان يرسل الله سرباً من الطيور يضم طائرين معلمين، أحدهما الملك جبريل Gabriel والآخر هو الملك ميكائيل وسيضحى الاصل الذي تنشأ من طيور الببغاء في سائر الارض، وهما يعلنان الناس بقرب محيي ملوك الشرق والغرب لإغاثة جزيرة الاندلس" ^(٦١).

وتوافق تلك النبوءة ما نقل عن الامام ابي عبد الله (ع) اعلاه والتي بشرت بمجيئ امر الله مع التغير في ظاهر الرواية والاحتفاظ بالمحتوى.

د. يأجوج ومأجوج

هم أقوام ذكروا في القرآن الكريم ارتبط ذكرهم بعلامات الساعة اذ قال تعالى " حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ " (٦٢).

ودلالة خروجهم ردم السد الذي بناه ذو القرنين وخروجهم سابق للوعد الإلهي وقد أشار القرآن الكريم الى تحريبه قائلاً: " قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دُكَّانًا وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا " (٦٣) ولا تخلو أحاديث الرسول (ص) من ذكر لهم اذ أشار لهم قائلاً: " ثم يسرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون لقد قتلنا أهل الأرض، هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم بنشابهم مخصوبة بالدماء " (٦٤) وترتبط تلك الاحداث بنزول السيد المسيح (ع)، اذ أشار الرسول محمد (ص) الى ذلك بقوله: " إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون " (٦٥). كل تلك الاحداث تشير الى تزامن ظهور هؤلاء مع علامات الساعة، وقد عدها الموريسكيون ايضا من اشراط الساعة وتوافقوا مع الرواية الإسلامية الثانية أعلاه حول مصيرهم ونهايتهم على يد السيد المسيح (ع) وتحطم الروم المذكور في القرآن الكريم اذ تذكر الرواية الموريسكيية هذه الاحداث من خلال النبوءة الانفة الذكر شارحة بالتفصيل ما يتعلق بهم واوصافهم قائلة: " يصعد المسيح الى جبل طهور Tahor، ويحطم اسوار يأجوج ومأجوج، وهم الاقزام الذين يفوق تعدادهم عدد موج البحر، وتباین اشكالهم ووجوههم وملامحهم: فبعضهم حجمه مثل الريشة التي يُكتب بها، والبعض الآخر تفوق قامته الجبال، وهناك آخرون لهم آذان طويلة، حتى انهم يجلسون عليها ويفرشون الأرض ببعضها، ومشيتهم مسيرة ثمانين سنه " (٦٦). وأوصافهم تلك توافق ما نقل عن الأثر من أن، يأجوج ومأجوج على ثلاثة أثلاث: ثلث على طول الأرز، وثلث مربع طوله وعرضه واحد هم أشد، ثلث يفترش أحدهم أذنه ويلتحق بالآخرى " (٦٧)

ذ. السيد المسيح (ع)

بعد نزول السيد المسيح (ع) واحد من أهم علامات الظهور وأبرزها وهو من العلامات الحتمية للظهور، بشر به الرسول (ص) اذ تذكر الروايات نزوله (ع) ودخوله بيت المقدس وصلاته فيه اذ يذكر

ان الرسول محمد (ص) "ذكر الدجال فقالت أم شريك: فاین المسلمون يومئذ يا رسول الله؟ قال: بيت المقدس يخرج حتى" حاصرهم، وامام الناس يومئذ رجل صالح فيقال: صلى الصبح، فاذكبر ودخل فيها نزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فاذا راه ذلك الرجل عرفه، فرجع يمشي القهري فيتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ثم يقول: صل انما أقيمت لك، فيصل عيسى وراءه" (٦٨). وهذا الرجل هو الامام المهدي (ع) بحيث حديث اخر عن الرسول محمد (ص) موضحا تلك الشخصية يقول: "ينزل عيسى بن مريم (ص) فيقول أميرهم المهدي: فقال صل بنا، فيقول الا وان بعضكم على بعض أمراء تكرمه لهذه الامة" (٦٩) وفي حديث اخر عنه (ص) "منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه" (٧٠) وتأتي النبوة الموريسكية لنذكر نزول السيد المسيح (ع) موثقة الاحاديث السابقة، اذ تبشر النبوة به ويعودته فتذكر النبوة قائلة: "يعود يصوع روح الله المحمود الى الأرض" (٧١).

وتشير النبوة الأخرى الى عودته قائلة: "ينزل عيسى بن مريم" (٧٢)، ثم تسترسل نبوة أخرى مستعرضة اهم اعمال السيد المسيح (ع) بعد نزوله قائلة: "حينئذ يرسل الرب العلي المسيح عيسى بن مريم -عليه السلام- فيخرج لمقابلته [يقصد الرجال] في ارض الشام Hexen فلما يبصره يخرج امامه كأنه جبان مخنث" (٧٣).

وتواصل النبوة سرد دور السيد المسيح (ع) مضيقة له لقب الهادي وهو لقب مرادف للقب المهدي المنتظر (ع) ويبدوا انه من تأثير النصارى على المسلمين قائلة "ويبقى المسيح الهادي، الذي سيسير بفضل الذئب جنباً الى جنب مع الغنم في وئام. سوف يلعب الصبيان مع الحيات والافاعي، السامة ولن تضرهم، حيث تجبر على تطبيق سنة رسولنا والحكم بمقتضاها" (٧٤).

اما فيما يخص صلاة السيد المسيح (ع) في الرواية السابقة، فيبدوا من التراث الموريسكي المتمثل بتلك النبوءات انهم قد علق في اذهانهم موضوع صلاة المهدي (عج) الموعود وصلاة السيد المسيح (ع) خلفه الا انهم جعلوا الدور الريادي هنا للسيد المسيح (ع)، وجعلوا إقامة الصلاة من واجبات اسرة المنقذ المتصلة بالرسول محمد (ص) وذلك بحسب النبوة التي اشارت الى تلك الحادثة قائلة "يشرف على الصلوات والمواقيت سلالة رفيعة متصلة النسب من نسل محمد (ص) وأنداك يتحول كل ملحد الى دين الله" (٧٥).

ر. علامات كونية متفرقة

هناك عدة آيات كبرى وصغرى وردت في النبوءات الموريسكية حول مخلصهم، واختلطت فيما بينها ومزجت بين اشرط الساعة واشراط الظهور، وذلك لابتعاد الموريسكيون عن تراثهم الديني

بسبب الضغوط التي واجهوها من الاسبان عن طريق محاكم التفتيش التي سعت الى فصل الموريسكي عن دينه الإسلامي بكل الطرق الوسائل وقد نجحت في ذلك الى حد ما فوجد الموريسكي يحاول ان يتشبث بدينه وما وصل اليه منه، لذلك اختلطت عليه علامات الظهور والقيامة ومنها ان الموريسكي تحدثت نبوءته عن ظواهر طبيعية وسمائية تسبق وترافق عصر الظهور ومنها ما يتعلق بالأجرام السماوية أمثال ظهور الشهب والنجوم السماوية اذ تحدث النبوءة عنها اذ ذكرت احداهن عن ظهور نجم يقترب ظهوره مع ظهور السيد المسيح (ع)^(٧٦).

ومنها ما ذكرته النبوءة "فترى في شهر رمضان المعظم يتجمع النجم والقمر على الغروب، فيكون ذلك من العلامات التي تنتظر"^(٧٧) ونقل كاربخال بعض العلامات في النبوءات التي أوردها التي كان ينتظرها الموريسكيين منتقداً إياهم عليها ومنها "انهم شاهدوا في اثناء الليل علامات في الهواء في البحر والبر كروية نجوم لم ترقط من قبل، واشعال السماء باللهب وقدر كبير من البريق، مما أدى لظهور اجرام في الهواء، وايضاً اشعة مروعة لعدد من النجوم والمذنبات"^(٧٨).

وفي موضع آخر ذكر تجلّي الشُّهْب ونجوم الطالع^(٧٩) كعلامة من علامات الظهور. وجعل كاربخال ظهور احد الشهب هو بداية لإعلان الخير المتمثل بخلاصهم ووصول مخلصهم^(٨٠).

ز. علامات متفرقة

إشارات النبوءات والروايات الموريسكية الى احداث سابقة للظهور، عامة تحدث عن الانحلال في المجتمع وحالة الظلم والاستبداد. ومنها ما تحدثت عنه النبوءات تجر عن "مجتمع حرب البشر الطاحنة هذا سوف ينقص الايمان، وتهجر فيه الشريعة سوف يضحى العلاء محل استهزاء الجميع، وسيشتغل الحكام بإخلاء الأهالي عن قراهم، وتخريب الأرض، وقلة الدخل، وذلك دون ان يقدر أي منهم على المساس بإفريقيا، التي خلفوها وراء ظهورهم. سيعقب ذلك مباشرة خوض الكافرين للحرب ولن يتبقى رجال في مملكة غرناطة، في غضون العام الطويل سيتعاضم الشقاق، ولن يقلق من برائن المشقة والخزي سوى اشخاص قلائل، وستحدث وقعتان. اما الظفر بالغرب فهو بانتصار الافارقة، لأن ما اخبر به الرسول الحق لا محالة واقع بين البشر سيفرون من قراهم وعندما يخطئ الابن العاق سيكون الرجل افضل ولما يحل منهم اجل الله ليلاً قبل ان يغشاهم النهار، البحر حتى تعبته السفن دون مخاطر فما انزله الله ينقض وستطبق شريعة المسلمين في ارض المسيحيين"^(٨١).

ونلاحظ ان تلك الاحداث المتعلقة بالنبوءات تخص الاندلس والاندلسيين، وحدهم الباحثين عن النجاة من مآسيهم على لسان الرسول محمد(ص). وفي محاولة منهم في تنفس الصعداء تستمر

نبوءات الموريسكيين في بعث الامل في نفوسهم بعد ان صعد الاسبان من اضطهادهم فتنعكس املهم على نبوءاتهم معلقين عليها املهم في الثورة. وتكون "أولى علامات تلك النبوءة أيها السادة ستكون علامة كبيرة للغاية. حيث يظهر شهاب ضخم جداً، في كبد السماء، وينتشر نوراً ساطعاً. بعدها سيظفر ملك الاتراك بإحدى المدن ويأسر أهلها وملكها. عقب ذلك بفترة وجيزة للغاية سيستحوذ على جزيرة رورس الكبرى Rodas التي ستبقى دوماً في يد المسلمين ستكون هناك انتصارات أخرى للمسيحيين، وتعد من العلامات الكبرى التي سوف تحدث لاحقاً. سوف تأتي جيوشهم واهلهم الى الاندلس بإعداد هائلة، حتى انهم سيفكرون في الاجهاز على قاطنيتها وسيدخل الكثيرون في المسيحية خوفاً منهم. لكن فيما بعد سيظهر من بينهم صديق حقيقي وسينصح لهم ان هبوا وثوروا للدين الله. حينئذ سيغير هلال الاتراك على المسيحيين وعلى كل مدينة وموقع وحصن" (٨٢).

وقد أوضحت تلك النبوءات ايضاً احداث قبل قيام الساعة منها "حركة الأرض وتصدعها. سيادة الفزع والذعر الشديدين وعلامات أخرى يعجز البشر عن تفسيرها، وحذيفة هو اكثر من تناول تلك العلامات وعدد ما يقول انه سمع منها من رسول الله الهادي ما يربو على السبعين. ثمانية من الأكثر بروزاً والبقية تعد علامات صغرى تأتي على اثرها وقد سأل الكثيرون المصطفى عنها جميعاً. نكشف لهم عن بعض المشهور منها. فقال انه سيكون منها ظهور رسول الله، ونزول القمر الى بساتين تهامة بعد طلوع الشمس المتصدعة. تلك هي اشرط القيامة التي اتى بها القران وتحدث عنها، والبقية التي على شاكلتها عديدة وهي مشهورة في تلك الآونة وفي عالمنا هذه وتعد اشد وضوحاً من الضوء الساطع" (٨٣).

ثانياً: النبوءة وفكرة المنقذ عند الاسبان

تعد فكرة المنقذ في الديانة المسيحية واحدة من اهم مقوماتها. اذ يعد ظهور السيد المسيح (ع) في اخر الزمان بعد ان قام من بين الأموات ورفع الى السماء ليكون محرراً للبشرية. هذا في فكرهم حول تلك العقيدة. ومثلما كان للعرب نبوءات ومنتظر كان على الجانب المقابل نبوءاته "فقد كانوا يتنبؤون بانتصار المسيحية على الاتراك والمغاربة، وتحويل هؤلاء الى الدين المسيحي، اذ صرح دون مرتين كارسيا Don Martin Gacia انه مقتنع بقرب اعتناق المسلمين للمسيحية، وللإسراع بإنجاز ذلك دفع القسيسين الى تعلم اللغة العربية ووعظ الموريسكيين وقد قال: ان بداية هذا الانتصار ستكون في افريقيا الشمالية" (٨٤).

وقبل التعمق اكثر بموضوع النبوءات لا بد لنا ان نتناول شيئاً من مسألة التأثيرات حول هذا

الموضوع" فقد كون الموريسكي اذا شخصيته في حضرة المسيحيين، ومن المؤكد ان المجموعتين اللتين عاشتا جنباً الى جنب بصفة متداخلة طيلة العشرات من السنين، لا يمكن الا ان تؤثر الواحدة على الأخرى، وحياناً بصفة لا شعورية، ولا شك ان المجموعة التي لها الأقلية هي التي تتأثر اكثر من الأخرى بحكم النصوص. ومن الجدير بالملاحظة فعلاً، ان نجد اذ ما رجعنا الى النصوص التكهنية، عند المسيحيين وايضاً عند الموريسكيين، نفس التصور الاستدلالي ونفس الأداة اللغوية واولاً نفس التصور الاستدلالي الذي يدعي بيعث امبراطورية عظيمة بعد تحطيمها المؤقت وفي هذا الاطار نجد اتهامات من الموريسكيين تتمثل "في التهمة الموجهة للمسيحيين بتزوير النصوص التكهنية المسماة القوائياس او خفوراس Alguacias-Jofores لجعلها تتلائم مع قضيتهم وقد كتب بيخرانو Bejerano الموريسكي المطرود والمجادل الكبير هنا في تونس في سنة ١٦٣٥م بخصوص هذا النصوص ما يلي: ان المسيحيين كذبوا في ذلك وأضافوا الكثير من الأكاذيب الأخرى، لأنني قرأت هذا النص نفسه في كتاب هنا في تونس، مترجم الى العربية لا يحتوي على هذه الأكاذيب المضافة"^(٨٥).

اما ما يدور حول المواضيع السابقة عند المسلمين من أمور تخص مفهوم الغيبة والمنقذ فيمكن احصائها عند النصارى وفقاً للنصوص التي بين أيدينا وبها يلي:

١. علامات الظهور عند الاسبان

أ. العلامات والنبوءات حولها:

دارت هذه النبوءات حول طرد الموريسكيين من اسبانيا واندثار الإسلام فيها وانتشار المسيحية من جديد. ونجد في نبوءاتهم عدة محاور يمكننا تسليط الضوء عليها منها انها تنبأت "بطرد الموريسكي الأخير الذي سوف يجسم هزيمة الإسلام وبعث اسبانيا"^(٨٦). وتنص تلك النبوءات أيضاً على تدمير مكة^(٨٧). وفي عصر انحدار وظهور المنقذ بالنسبة للنصارى وتعدد صورته فان هناك "العميم من الخيرات الروحية والمادية والرخاء وامتلاك الأراضي الجديدة والامطار الغزيرة بالعديد من النعم الساوية"^(٨٨).

وهذه النبوءات نجدها مطابقة للعلامات التي كانت تخص زمن ظهور المهدي (عج) الانفة الذكر. ثم تذكر النبوءة انتشار سلطة المسيح شرقاً وغرباً" ستجعل تحت سلطتك سطح الأرض من المشرق الى المغرب وهو ايضاً يتطابق مع النصوص الإسلامية التي تشير الى انتشار الإسلام في كل انحاء المعمورة"^(٨٩) وترى نبوءة أخرى تشير الى عالمية المنقذ وسيطرته على مراكز العالم كالقسطنطينية ويتوج فيها آنذاك. وهو ما يلتقي بما وعد به الرسول محمد (ص) امته في احاديث المهدي اذ وعد بان يفتح

القسطنطينية للمرة الثانية من الروم^(٩٠) اذ تذكر النبوءة المسيحية ذلك قائلة "وسوف يناول جواده الهرطمان على هيكل بيار وبول Pierre Poul وسوف يذهب الى القسطنطينية لكي يتوج"^(٩١).

ومثلما وجدناه في النبوءات الإسلامية فيما يخص العلامات الكونية نجدها هنا أيضا في النبوءات المسيحية فيما يخص علامات خلاصهم وظهور المسيحية على الإسلامية، وهو ما تدور حوله النبوءات المسيحية، فنلاحظ انها تذكر "العلامات في السماء وكذلك النجوم والتقاء الكوكب، قد اولت خلال القرن السادس عشر من طرف المنجمين بمعنى اثنين: احدهما: كعلامة انذار للإخطار التي يجسمها الموريسكيون وفي نفس الوقت كعلامة على طردهم النهائي وهذا ما يترجم عن انتصارات المسيحية على الإسلام. وقد عرفت تأويلات جوان اندرس Juan Andre الذي باعتباره على الدراسات العربية لعلم النجوم والتقاء الكواكب، قد تنبأ قريبا بقرب افول الممالك الإسلامية. ان كل الممالك وجب ان تتغير بصورة عميقة وسيحدث اذن اكثر من عشرين التقاء كواكب أخرى كذلك صرح الاسقف المفتش دون مارتين كارسيا Don Martin Garcia انه مقتنع بقرب اعتناق الاقاريين للمسيحية: وللإسراع بإنجاز ذلك، دفع نفسه الى تعلم اللغة العربية ووعظ الموريسكيين: وقد قال ان بداية هذا الانتصار ستكون في افريقيا الشمالية. وفي خطبته الثانية والثلاثين قام بوضع قائمة بكل الانتصارات الاسبانية في افريقيا الشمالية وقد رأى في ذلك علامة عناية الله^(٩٢) وقد ذكر قادا لاجار Guodaljara وبليدا Bleda وكاردونا عددا من هذه الظواهر الكونية السماوية والتي قاموا فيها بعد بتقديم تأويلات لها. اذ تتحدث هذه العلامة عن قرب دمار الموريسكيين من وجهة نظر المسيحيين، ففي سنة ١٥٢٦ ظهر في السماء نجم ذو ذنب للتنبؤ بالنكبات التي تحدث عن قبول التعميد بصورة كاذبة. وكان ذلك انذار الخطر الذي سيلحق الموريسكيين الذين تم تعميدهم جماعياً بإسبانيا^(٩٣). والنجم المذنب هذا الذي تتحدث عنه الاسبان هو عينه الذي ذكرته الرواية الإسلامية. فقد ذكرت روايتان حول هذا الموضوع. فالرواية الأولى تذكر طلوع الكوكب ذي الذنب وهو علامة ظهور الامام المهدي (عج)^(٩٤). اما الرواية الأخرى فتجعل من علامات الساعة ظهور "النجم في السماء له ذنب من ناحية المغرب"^(٩٥) والمهم في هذا الامر هو مدى التشابه والتطابق في علامات الظهور بين الروايتان المسيحية والإسلامية التي اعتمدت عليها كلا الامتين في انتظارهما للمخلص. اما ذا تكلمنا عن التأثير فالأمر محسوم للمسلمين نظراً لقدم الرواية الإسلامية المتقدمة على الرواية النصرانية. وتستمر النبوءات المسيحية من اجل اقناع الآخرين بسقوط الموريسكيين. وتتواصل النبوءة بأشراك السماء بالتنبؤ بمصير الموريسكيين" ففي سنة ١٦٠٣ م لاحظ المنجمون: اكبر التقاء للنجوم وكشفوا عن معناه: كل الناس كانوا متفقين ان التقاء النجوم هذا يمثل سقوط آخر انتفاضة لدين محمد في اسبانيا خلال عشرين سنة.

وبالاستناد الى ذلك ذكرت كل الأطراف كتب التنبؤ القديمة والحديثة^(٩٦) كذلك في سنة ١٦٠٧ م فقد حدث التقاء جديد الكواكب في سماء اراقون وكان ذلك موضوع تنبئها من طرف جيرونيمو اولر Geronimo Oller^(٩٧).

وقد حرص الاسبان على اشتراك العوامل الطبيعية من اجل ترسيخ مشروعية قرار الطرد او طرد الموريسكيين، اذ ان هناك حوادث غدت بمثابة المعاجز حفزتهم على طرد الموريسكيين. فمنها ما يتعلق بجرس كبير الحجم يدعى جرس فيليلا Vililla في قرية قريبة من سرقسطة وكان يدق بصورة عجيبة على اثر الملابس الكبيرة لتاريخ اسبانيا وهو ما فسر بخطر الموريسكيين الذي يمثلوه بالنسبة لاسبانيا^(٩٨).

وهناك مجموعة من المعجزات ذات قيمة تنبئية وهي تدل ان السماء وعلى الخصوص السيدة العذراء، هما في جانب المسيحيين ضد الموريسكيين. "وقد أحست السيدة مريم كإهانة لأبنها واليها شخصياً وجود هؤلاء الاخيرين على الأرض الاسبانية، وتنتظر هي الأخرى بقلق وحيرة طردهم النهائي؛ ويذكر ايضاً انه في كنسية نوترو دام دو كارمان Notre Dame du Carmen بسرقسطة^(٩٩). ثم تسترسل الروايات عن المعاجز الأخرى اذ انه "وخلال السنين الأولى للقرن السابع عشر، اخذ تمثال السيدة العذراء في البكاء لقد بكت ٢٤ ساعة، ابتداء من خميس الاسرار الى لحظة وضع القربان المقدس فوق مذبح الهيكل وهذا حتى انتهاء الحفل"^(١٠٠).

وسخروا معجزة أخرى بحسب كلامهم تتضمن إشارة الى عصيان الموريسكيين وبالتالي حتمية طردهم اذ انه في سنة ١٥٢٦ كان تمثال اخر للسيدة العذراء من توبت Tobet من الأقلية بكاتالونيا Catalogne بمملكة اراقون، محلى بجواهر عظيمة ورائعة اخذ ينضح عرقاً خلال ٣٦ ساعة وهذا حسرة على تنكر الموريسكيين في المستقبل وهم الذين تم تعميدهم. ان قطران العرق كانت كثيرة الى درجة انها ملأت كأساً، أصبحت حتى سنة ١٦١٠ محل اجلال واحترام المؤمنين"^(١٠١).

وتكتفي بتلك العلامات التي تدل عندهم على اقتراب تخلصهم من الموريسكيين، وما رافقه من معجزات تدل على قرب خلاصهم منهم.

٢. المنقذ المسيحي عند الاسبان

ان صفة وفكرة المنقذ عند الاسبان انصبت على وقتهم ولم تأخذ دينياً بالنسبة للمسيحية ونضرتها للمنقذ نتيجة للاشتراك الثقافي النسبي احياناً والكبير احياناً أخرى فان الاسبان ونتيجة لحساسية الموضوع ولتعلقه بالحياة السياسية ووجود كلا الطرفين على الأرض المتنازع عليها فقد اثر

ولو بشكل محدد على تفكير علمائهم بحسب ما فهمنا من النص الوارد ادناه- اذ بعد مراسلات قام بها احد علمائهم ويدعى قادالاجار على موريسكي اذ انه قال " ان الملك الذي يهددنا به العربي، يجب ان يكون مسيحياً وسوف يأتي ليأخذ بيت القدس اين سيتوفى وسوف ينتصر بفضل كلمة الله: وسينتج عن ذلك اكبر المصائب للمحمدين" (١٠٢).

فهو يؤمن او مقتنع بظهور الملك المنقذ بالنسبة للمسلمين، الا انه يرى ان هذا المنقذ وبحسب اعتقاده يكون بجانب المسيحيين وليس ضدهم. اذ ان فكرة المنقذ موجودة لديهم الا ان الاختلاف في أي طرف يكون "وسوف يكون للأشخاص والأمكنة، في نطاق هذا التصور التاريخي ومن الجهتين، نظائر متطابقة، ويظهر ذلك في حالة انتظار شعب لشخص فوق طبيعي سوف يتمكن حسب الموريسكيين من تجميع عنف المضطهدين، حيث يتمص التدمير ليفتح بواسطة عصر طويل من السلم. ونجد نفس الانتظار عند المسيحيين، لكن في اتجاه معاكس" (١٠٣).

اما ما يخص شخصية المنقذ المسيحي فتتکلم اولاً عن:

١. اسمه وشخصيته: تعدد الرواية الاسبانية مجموعة من المنقذين والمخلصين الذين حفلت بهم المصادر التاريخية الاسبانية. الذين فرضهم عليهم واقع صراعهم مع الموريسكيين واختلفت اشخاصهم وتعددت ادوارهم. فمنهم من يرى انه يدعى:

أ. الانكوبيارتو (El- Encubierto) او يسمى اوسترو (Austro):

ويسمى بالنسبة للمسيحيين تارة دون جوان (Don Juan) ملك النمسا وتارة فليب الثالث (Philippe III) فهو ايضاً ملقب بداوود الجديد حيث ان داوود هو اكبر ملك العصر الاب المسيح وان داوود الجديد هو مسيح عصر الابن على الوجه الاكمل، ولافتتاح عهد (الالف سنة) الذي يمثل سلطان الروح ينتظر بروز داوود جديد تماماً سوف تتجسم فيه، في نفس الوقت، السلطان الزمنية والروحية (١٠٤).

ب. الملك فيليب الثالث

وكما اسلفنا سابقاً فان نبوءاتهم كانت تمثل صراعهم مع الموريسكيين، فعلى هذا الأساس فان نبوءاتهم قد اختارت شخص فيليب الثالث الذي يطرد الموريسكيين، ويمحق العالم الإسلامي (١٠٥).

ت. المستتر

لا نريد ان نعول او نسترسل كثيراً في مجال تأثير شخصية المسلم المنقذ على المنقذ الاسباني لكن

الملفت للنظر في تراثنا الإسلامي يسمى المنقذ المهدي (عج) الغائب وهو نفس المعنى بالنسبة للقب المنقذ الاسباني. وهنا يقوم المنقذ بجلب النجاة "للمسيحين ويقضي على سلالة اكار وعليه فأن ذريته سوف تسقط ويلحقها العار"^(١٠٦). وبالنتيجة فأن جهود المنقذ المسيحي سوف تنصب على دخول عدداً كبيراً من الاتراك وسوف يعتنقون المسيحية وانه قبل سنة ١٥٧٥ م سوف يقضي على احتلالهم^(١٠٧).

٣. مواصفات المنقذ المسيحي

لم تزودنا المصادر الاسبانية - بحدود اطلاعنا- بمواصفات مفصلة للمنقذ غير الذي ذكر حول شخصية المستتر فقط دون الآخرين ومنها انه "ذو قامة جميلة وسحنة بيضاء. وكان يتكلم بالكلمة السهلة والصادقة وهو يحب العدل وعدو العرب، تجمله عينا زرقاوان وله مشية جميلة ويداه نظيفتان وبصمات يده واضحة جداً وملونة واصابعه ضامرة واظافره جميلة قصيرة، وأعضاء جسمه رشيقة، ويتمتع بأخلاق نبيلة وهو يشبه الملك داوود في حياته"^(١٠٨).

ثالثاً. المنقذ الإسلامي

يعد المنقذ او المخلص او المهدي المنتظر وغيرها من الصفات كلها صفة للإمام محمد بن الحسن العسكري(ع). وقد دلت الاحاديث النبوية عن الرسول(ص) وهي مستفيضة كثيرة نذكر منها قوله (ص) "لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلاً من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً"^(١٠٩). وهو بالتحديد من ولد فاطمة (ع) بحسب قول الرسول(ص) اذ قال "المهدي من عترتي من ولد فاطمة(ع)"^(١١٠) والكلام حوله اشهر من ان يذكر هنا^(١١١).

اما عند الموريسكيين ومنقذهم فنحاول ان نلم بكل ما استطعنا ان نجعله حوله من معلومات نزيرة جداً. تراوحت بين شخصيات مختلفة تنوعت اسمائها بين مخلص ومنقذ وملك وصولاً الى صاحب النعوت السابقة وهو المسمى عندهم "الفاطمي" نسبة الى السيدة الزهراء(ع)، والتي هي نقطة ارتكاز بحثنا المتعلق بالمنقذ والتي تشير الى الامام(عج) وسنفصل القول في كبر ما يتعلق به ويتعدد شخصية المنقذ ومواصفاته وانحداره.

وقبل ذلك علينا ان نعلم ان ابتعاد الموريسكيين عن نقاء تعاليم دينهم - وكما اشرنا سابقاً- قد ابعدهم عن فهم حقيقة المنتظر في الديانة الإسلامية نوعاً ما. فمع تشويش أفكارهم الدينية وسطوة محاكم التفتيش واثرها في ذلك. واختلاط مفاهيم الديانة المسيحية والإسلامية في بعض الأحيان وهذا ما تراه في الالواح الرصاصية، كمثال قولهم في كلمة التوحيد "لا اله الا الله يصوع روح الله"^(١١٢).

الا ان تلك الضبابية حول المنقذ ونسبه وشخصيته قد تغلبت على تلك الصعاب وبقيت شخصية الامام (عج) راسخة في اذهانهم ولو بالاطار العام لقوة تراث تلك الشخصية واثرها في التراث الإسلامي والتني تتماشى مع نصره المظلوم، ووضع حد لاضطهاد الفقراء ولكثرة ما صدر عن صاحب الشريعة حولها، واثار أصحابه (رض) في نشر تلك الفكرة لا سيما الامام علي (ع) الذي يعول عليه الموريسكي بنشره، وهو الذي اثنى عليه حتى الاسبان في كتاباتهم عنه لما يجوده في كتب الموريسكيين المسلمين من مدح له. لكل ذلك لم تمحي شخصية الامام المهدي (عج) عليه وظلت تداولها الالسن مع بعض الضبابية عليها كما اوضحناها. وستدرج في ذكر ما يتعلق بشخصية المنقذ وصولا الى إثبات شخصية المنقذ للأمام المهدي (عج). اما اهم المنقذين الذين توجهت اليهم علامات الإنقاذ والخلاص وهي بأغلبها اشارة الى منقذهم ومخلصهم والتي تدل على الشخص المنتظر الموعود، وان لم تصرح باسمه بل بألقابه وهو عين ما نجده في الاحاديث والروايات الإسلامية المشرقية، لا سيما عند مذهب اهل البيت (ع) والتي نهت عن الإفصاح عن اسمه بل اكتفت بالإشارة اليه بصفاته (ع) وأسماء تدل عليه. فعن داوود بن القاسم الجعفري قال سمعت أبا الحسن علي بن محمد (ع) قال "الخلف من بعدي الحسن فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟! قلت ولم؟ جعلني الله فداك. فقال لأنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه فقلت: فكيف نذكره؟ قال: قولوا الحجة من آل محمد عليه السلام^(١١٣) وغيرها احاديث كثيرة.

رابعاً: أصحاب المنقذ

تحدثت الروايات التاريخية حول احداث الظهور للإمام المهدي (عج) عن عدة أصحاب له، فضلاً عن قاداته. وذكرهم الامام علي بن ابي طالب (ع) بالتفصيل وانحدرهم الجغرافي، اذ نسب كل شخص او عدة اشخاص الى بلد معين. كما ورد في خطبته عليه السلام المسماة بالبيان^(١١٤) هذا عن أصحاب الامام (ع): اما بالنسبة للمنقذ في فكر الموريسكيين، والتي سنسهب في الحديث عنها فيما بعد ورغم تعدد شخصياتهم، الا اننا نجد ان الموريسكيين وعند الكلام عن منقذهم وعن أصحابه من خلال النبوءات التي تحدثت عن منقذهم نراهم يذكرون بعض أصحاب المنقذ المنتظر لديهم، ذاكرين موطنهم وبالتحديد بلاد البربر، واختيار افريقيا بالنسبة للنبوءة الموريسكية تتلائم مع مخيلته في اللا شعور بالسند والمدد الاتي من نزوحهم وهجرتهم الاولى في الشمال الافريقي لأنها ترتبط ارتباطاً مباشراً بإنقاذ الموريسكيين تاريخياً، لذلك عند الحديث عن المنقذ لم تتجاوز عقلية الموريسكي هنا حدود ونطاق إنقاذه التاريخي. الا ان الملفت للنظر في هذه النبوءة انها تطابقت تماماً مع الرواية المشرقية اذ

ان الاخبار عن أصحاب الامام (ع) كان عن طريق الامام علي (ع) والنبوة حول منقذ الموريسكيين وأسماء أصحابه كانت ايضاً عن طريق الامام علي (ع) الذي احبه الموريسكي واصبح اقرب المقربين اليهم بعد الرسول محمد (ص) (١١٥).

وخلاصة النبوة حول اصحاب المنقذ انه الذي اسمته النبوة الفاتح " انه سيجي الفاتح الى حصن داماس Damas، وسيقدم بصحبته قادة عظام من البربر: الشريف Xerife، وعيدار Eidar وزيد الأسمر Zyyd el Moreno. ويحيى الفريد Yahaya el farid، وعبد السلام Abdl celem (١١٦) ويبدو ان هذا الاخير ذو مكانة خاصة عند اقرانه اذ انه كان يوصف بقوته الجسدية، اذ تذكر النبوة انه "سيرز بقوة ذراعيه العارية بين الناس اجمعين" (١١٧).

خامسا : وقت الظهور للمنقذ

تحدد الرواية الإسلامية ظهور المنقذ المتمثل في الامام المهدي (عج) بعلامات خاصة منها كبرى ومنها صغرى وكما اسهبنا انفاً، ومنها بعض العلامات المتفرقة التي تنبي عن اقتراب ظهوره المبارك، ولم يقتصر الظهور المبارك بوقت معلوم. وقد نهى الائمة (ع) من توقيت الظهور المبارك وهذا النهي عن تحديد وقت معلوم للظهور وهو من الغيبات التي أحاطت بموضوع الظهور. ومتى تحققت شروط الظهور واجتمعت علامات الموعود بها لتحقيق الظهور. جاء ذلك تنفيذ للوعد الإلهي بالإذن له (عج). اذ ان وقت ظهوره منوط باجتماع الشرائط الالفة الذكر. اذ روي عن ابي بصير عن الامام الصادق (ع) انه قال: قلت له: جعلت فداك متى خروج القائم عليه السلام فقال: يا أبا محمد انا اهل بيت لا نوقت، وقد قال محمد (ص) كذب الوقاتون (١١٨).

اما بالنسبة للنبوءات والروايات الموريسكية فقد حددت أماكن وازمان مختلفة لمنفذها، فأول هذه النبوءات كانت تؤكد على خلاص المسلمين على لسان الرسول محمد (ص) برواية الامام علي (ع) في الاندلس اذ تقول الرواية في العام الذي يوافق مطلع يوم سبت (١١٩) في عام كبيسة على وجه التحديد (١٢٠) وهو الخلاص الابدي الذي اخبر به الرسول محمد (ص) الامام علي بن ابي طالب (ع) اذ تقول النبوءة " كما ان العام الكبيس الذي طال الشوق اليه بدأ في يوم سبت وهو عينه الذي اخبر محمد (ص) صهرة علي (ع) ان ربنا سيرسل فيه الغوث لعائلته (١٢١).

وتأتي نبوءة أخرى أكثر تحديداً للتاريخ، تؤرخ نزول السيد المسيح (ع) المتزامنة والمرادفة مع ظهور المهدي (عج) في الرواية الإسلامية ومحددة مكان الظهور من منطقة الجوف اذ تذكر النبوءة تاريخياً مبهماً علنياً الا انه مفهوم لديهم فتقول النبوءة ذات اللغة المرتبكة " وفي عوم أربعة يكون الارومت الى الترك

وبعد ذلك يأتي رجل شديد يد نصرته بعد يد كبيرا فيا أهلي الاسلام كونا على حضار . في ذلك ازمان قد قريب كالبنيان المرصوص الا ان هذه الزمون الابراله ان يظهر كما ظهر من قبله وان جميع هذه الأمور يكون ابتدوها في عام اثنان وتسعمائة في ارض الجوف ويدوم حتى الا عام ستة واربعون عجم والى خروجه. والشروط المذكورة وهي قللة او قللة العليم وقليلة القراءة حتى يزلى عيسى بن مريم^(١٢٢).

والملاحظ على بعض النبوءات انها قد خطفت العلامات الكونية او ذات الجغرافية المحددة في مناطق معينة حددتها الروايات الإسلامية الاصلية واخذوا يسلبون محتواها ويطبقوه على بلدهم ومدنهم، اذ وكما المحنا سابقاً أن الغرض من هذه النبوءات هو التوصل الى خلاص من واقعهم من خلال تحفيزهم على الثورة وهذا ما نجده على ارض الواقع. اذ تذكر احدى الروايات التاريخية التي تخص ثورة الموريسكيين انهم اعتمدوا تلك النبوءات في الثورة حتى قرروا اطلاق صيحة الثورة في ليلة فاتح يناير لعام ١٥٦٩ م لأن النبوءات التي رجعوا اليها في كتبهم وعدت باسترجاع غرناطة من طرف أبناء الإسلام في نفس اليوم الذي ضاعت فيه^(١٢٣).

اما اهم ما اشير اليه من المنقذين وان اختلفت ادوارهم وتنوعت أسمائهم فهم:

١. السيد الكبير:

ذكرته الروايات الموريسكية جاعلة مهمته حمايتهم من الطرد، واطلقت عليه لقب السيد الكبير الذي كان منتظرا قبيل الطرد نفسه ليأخذ الموريسكيين تحت حمايته، ويمكنهم من عبور ازمة المحنة بأكثر سهولة^(١٢٤).

٢. الملك:

ذكرت الكتابات الموريسكية التي تنبأت بالمنتقذ المخلص لهم من بطش الاسبان وتحليلهم من واقعهم المتمثل بعملية الطرد. اذ اكدت التنبؤات انهم اقروا بما انتجته أيديهم من ابتعادهم عن الدين وانحيازهم الى ملذات الدنيا فسلط الله عليهم ملوك الاسبان ليعقابوهم بما كسبت أيديهم بقسوة بالغة غير ان الله وعلى لسان الموريسكيين سيخلصهم على يد ملك يظهر دين الله الإسلام على البسيطة كلها. والنبوءة جاءت بعد مناظرة "قوادالاخارا إي كزافيي لسنة ١٦١٦ م والخاص بمراسلة كتبها أحد الموريسكيين، الغرناطين الذي طرد الى مدينة الجزائر والمسمى مولينا (Molina) الى احد سكان مدينة تروخيلو (Trajillo) الاسبانية دون خيرونيمو دي لويزا (Don Geronima de Louysa).

وهذا نص المحاوراة "لتعتقد فضيلتك وان الطرد لم يكن من عمل ملك اسبانيا بل هو نتاج عن وحي الهي. فلقد رأينا هنا بالفعل تكهنات ترجع من بلادكم ومن اجل ذلك سوف يغرس هذه الفكرة في عقل الملك وعقول مستشاريه، وان عدداً كبيراً من ذوينا سوف يهلكون برا وبحرا، وباختصار كل ما حدث فعلاً كما تنص هذه التكهينات على ان الله سوف يأخذ على حسابه اقل إهانة على العالم كله وتعجز عنه الحصار والمدافع^(١٢٥).

ويبدو ان قواد الاخارا قد تأثر بالنبوءات الإسلامية كما اسلفنا واراد ان يسحب البساط من المسلمين في انتظار منقذهم وتسخيرهم لصالح معتقداتهم المسيحية، فراه يفند اطروحتهم قائلاً في رد على الموريسكي الانف الذكر "ان الملك الذي يهددنا به العربي، يجب ان يكون مسيحياً وسوف يأتي ليأخذ بيت المقدس اين سيتوفى وسوف ينتصر بفضل حكمة الله: وسينتج عن ذلك اكبر المصائب للمحمدين"^(١٢٦).

٣. عدو الملحددين

هكذا وصف هذا المنقذ الموريسكي من قبل الامام علي بن ابي طالب (ع) في احدى النبوءات التي تنبأ فيها بمصير جزيرة الاندلس. ويقدم له بعلامة كبرى هي من علامات الظهور. والنبوءة تقول: "ويحل موسم الحصاد عندما يظهر احد الشهب معلناً مجيء الخير والحرية. سوف تهدأ القلاقل ويخرج اهل مكة Meca، ويأتي عدو الملحددين من اراضي Haraje التي تقع باتجاه الشرق من ممالك اليمن Yamen وسوف يفتح ارض سبتة Ceuta والقصر Alcazar وطنجة وارض السودان، ثم يهبط غرباً بصباحة جيوش ضخمة من الاتراك، ليستعمر قاطني تلك البقاع، وهم سادة ظالمون وكافرون يعبدون ارباباً كثيراً وستعود المملكة بأسرها للانقياد الى رسول الله، وستعظم فيها الشريعة، ويستحوذ سلالة من يعبدون الها واحداً على جبل طارق الذي ترجع اليه اصولهم وبداية دخولهم، ولا بد من العودة اليه"^(١٢٧).

٤. الملك الرفيع الشأن:

وهو نعت اخر للمنقذ المنتظر عند الموريسكيين وصفته النبوءة بأنه "ملكاً رفيع الشأن خفي، هامته اعلى من الجبال، يضرب البحر بيده فينغلق، ويخرج منه جسر"^(١٢٨) ويكون ظهور هذا الملك بعد شدة مصائب عظيمة تقع على كاهل الموريسكيين.

٥. السلطان:

وهو وصف اخر من للمنقذ الذي وعد بهم التراث الموريسكي أبنائهم من اجل اخلاصهم من معاناتهم فسوف " يظهر سلطان كبير من العرب، وسيحميهم، وان هذا الموريسكي يعرف شخصيا ان هذا السلطان سوف يأتي " (١٢٩).

٦. ابن الجزيرة:

وهو الذي وعد به الرسول محمد (ص) ولم يسمه بل اعطائهم مواصفاته وفي حالة معرفته عليهم باتباعه لإنقاذهم، بعد معاناتهم وظلمهم من الاسبان واعداء إياهم بالفرج " غير ان الله سوف يخلق في هذا الزمان ابن للجزيرة وان إياه سيكون رجلاً اصم ووالدته امرأة ذات عينين زرقاوين، وان احد اخوته سيولد مختوناً " (١٣٠).

٧. الفاطمي:

وصلنا الى مسك ختامنا حول الشخصية الحقيقية للمنتظر الموعود، والتي اقتبسنا منها الشخصية الموريسكية. كل أولئك المخلصين السابقين بصفات معينة وأسماء مستعارة وأماكن متفرقة لظهوره وامكانيات محدودة معتدلة وخارقة احياناً أخرى. وكلها اخذت تلك الأدوار من الشخصية التي بشر بها الرسول محمد (ص) لإنقاذ الامة. مقتبسين منها ما يلائم تطلعاتهم الانية، وقد دارت شخوص منقذهم حول هذه الشخصية الإسلامية الاصلية.

وربما كان لشهرة الموعود المنتظر (عج) وما تناقلته الروايات الإسلامية المنقولة عن الرسول محمد (ص) هي الدافع وراء التشبث بذلك الامل ومحاولين التخلص من واقعهم المرير الذي عاشوه، بواسطة ذلك الامل المنشود ونظراً لظروف الموريسكيين الانفة الذكر فقد اجبروا بطريقة او أخرى على الابتعاد عن إصالة مروياتهم التاريخية الإسلامية التي تخص العقيدة، او ربما شوشت، وبعده عوامل، منها ما قام به الاسبان من حظر لكل ما يمت للإسلام وللعروبة بشيء داخل شبه جزيرة ايريا بواسطة محاكم التفتيش والقرارات الصادرة من ملوكهم التي تساند محاكم التفتيش بقراراتها المجحفة على الموريسكيين ومساندتهم لها. ومنها منع التعلم باللغة العربية وهي السبب المباشر بابتعادهم عن دينهم. وكما قال موريسكي مجهول: ان الذي يفقد لغته العربية، يفقد في نفس الوقت دينه (١٣١).

وبعد كل ما مورس تجاه المسلمين الا ان شخصية المهدي المنتظر (عج) بخطوطها العريضة وتراثها الأصيل لم تندثر، وتوجهت إليها الأنظار شاخصة ليبقى اصلهم الذي تحذوا اليه ابصارهم، وقد ذكر

منهم وعرف على انه الفاطمي نسبه الى السيدة البتول فاطمة الزهراء (عج)، وذكر في اكثر من موضع بعد ان مهد له بعلاّمات للدلالة على ظهوره المبارك، فأكدوا انه ينتمي الى العرب والعروبة، فقد ذكر ازنا ر كاردونا ان العرب الذين يعيشون في سيارا دو كورتاس (Sierra de Cortes y Aguar) يتتظرون قدوم احد المحررين وسيكون الفاطمي. احد شخصياتهم المجهولة عندما كان يحارب الملك جاييم (Jaime) لقد كانوا يعتقدون وما زالوا متعلقين بفضل رواية مؤكدة في مثل هذه الظروف، ومفادها ان العربي الفاطمي سوف يقدم ليحررهم ويقتل المسيحيين. وسوف يقدم على حصان اخضر ويتوغل في هذه الجبال^(١٣٢).

وسيكون خروج هذا المنقذ مواجهة الشرق بحسب النبوءات الموريسكية "من هناك من تامور Tamor وهي بلاد في المشرق تقع في مقاطعة شيم Xem سييجي الفاتح"^(١٣٣).

ونتيجة لقدمه من المشرق الأرض التي نزع منها ابائهم وموطن رسولهم الكريم (ص) لذلك فأن اصله ينسب الى ذلك المكان المقدس لديهم. بعد ان تذكر علامات ظهوره بقولهم "ان علامة النحاس الذي ينزل على النصارى يكون اذا اخذ المشرق في مدينة البحر"^(١٣٤).

وقبل نزول السيد المسيح (ع) كان الموعد لهم مع مخلصهم الذي اشير له هذه المرة برجل شديد^(١٣٥).

وبحسب قراءة نصوص اخر الزمان والعلامات الدالة على الظهور المبارك. من خلال المرويات الموريسكية وعن اعتناق الناس لدين واحد اذ يكون سائد على كل الديانات الأخرى اذ يقول الحجري "انه سيكون في زمن الفاطمي لأنه صبح عن النبي - صلى الله عليه واله وسلم - انه قال: يملأ الدنيا قسماً وعدلاً كما يجدها ملأ جوراً وظلماً"^(١٣٦).

الخلاصة

١. يمثل الموريسكيون الامتداد الطبيعي للمسلمين في الاندلس ورثوا ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم وينسب متفاوتة.
٢. شابت تعاليمهم الإسلامية بعض الشوائب بتأثيرات مختلفة نتيجة لسرية دينهم وحضر الاسبان الدين الإسلامي ومعاقبهم لهم بواسطة محاكم التفتيش.
٣. ظهر التأثير المتبادل بين الثقافين الإسلامية والمسيحية ولو بنسب محدودة نتيجة للتجاور ما بين الديانتين.
٤. اهتمام الجانب الاسباني بقضية المنقذ وتأثرهم بالفكرة وان يكن على النطاق السياسي، خوفاً من إعادة سيطرة المسلمين مرة أخرى على اسبانيا.
٥. تطابق وجهات النظر بين الجانبين في قضية الخلاص والإنقاذ، بواسطة اشخاص خارقين او مميزين.
٦. كتب الموريسكيون نبوءاتهم على غرار ما صدر عن الرسول محمد(ص) من تنبأته عن اخر الزمان.
٧. اثر الامام علي بن ابي طالب (ع) الواضح عند الموريسكيين وثقتهم بحديثه واعتمادهم على روايته في النبوءات وتأثرهم بكتابة الجفر.
٨. اختزلت النبوءات الموريسكية معاناة الموريسكيون فسخروها لمعالجة واقع حالهم المرير. املاً في الخلاص من خلال الحث على الثورة اعتماداً على تعهد النبوءة بالخلاص.
٩. اقتبست النبوءات الموريسكية علامات الظهور من الروايات المشرقية نتيجة لتأثرهم بالأحاديث الغيبة عن المهدي(عج) وقيام الساعة.
١٠. تسخير الاحداث الكونية للدلالة على ظهور المنقذ وجعلها مرافقة ودالة على ظهوره لأتباعه وتميزت من تلك العلامات في بعض جوانبها باختصاصها بالاندلس.
١١. تحفيز الموريسكيون على الثورة ورفض الظلم من خلال عقد امالهم بالمخلص لزيادة ثقتهم بنفسهم ودينهم من خلال المدد الإلهي المتمثل بالمنقذ.
١٢. بعض النبوءات الموريسكية كتبت بلغة ركيكة وربما وردت بعض مفرداتها باللهجة الدارجة نتيجة للضغوط التي تعرضوا لها الموريسكيين ومنها الابتعاد عن لغتهم العربية.
١٣. اختلفت أسماء وادوار المنقذ او المخلص الموريسكي وربما اشارت جميعها الى الامام المهدي(عج)

من خلال نعتة بالفاطمي العربي.

١٤. كانت الإشارة الى المنقذ في التراث الموريسكي بنعوت مختلفة دالة على صفات معينة عظيمة تشير الى عدله واحسانه ونسبه العريق.

١٥. تشير اغلب النبوءات والروايات التاريخية الموريسكية الى جهة خروج المنقذ من الشرق الإسلامي.

١٦. تتبين الإشارة الى المنقذ الموريسكي من خلال نعتة بنعوت معينة منها الفاطمي والعربي والمشرقي فهي تشير بأجمعها الى المنقذ الذي وعد به الرسول محمد(ص).

الهوامش

- ١ الموريسكيون: هم المسلمون الذين بقوا في شبة جزيرة ايبيريا بعد سقوط الاندلس سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م. كارباخال، مارمول، وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم جمال عبد الرحمن، المشروع القومي للترجمة، ط١، (مصر، ٢٠١٢م)، ج١، ص ٢٢٧.
- ٢ رزق، محمد، الأندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧، دار افريقيا الشرق، (الدار البيضاء، ١٩٨٩م)، ص ٢٤٧.
- ٣ خوسي مونيوت، اي غفيريا، تاريخ ثورة الموريسكيين وطردهم من اسبانيا وعواقبه على سائر أقاليم المملكة، ترجمة د. عبد العزيز السعود، منشورات ليتوغراف، ط١، (طنجة، ٢٠١٠م)، ص ١٠٣.
- 4 Medina, Francisco Javier Martinez, Cristianos Y Musulmanes en la Andalucia moderna. La Granada del siglo XVI, uma ciudad intercultural: Invenções de reliquias Y libros plumbeos, Tesis Doctoral Universidad de Granada. 2015.
- ٥ بارلت، لوسي لوبيز، التراث الاسلامي في الادب الاسباني، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى الجيوسي الخضراء، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، (بيروت، ١٩٩٩م)، ج١، ص ٧٧٨.
- ٦ رزق، الأندلسيون وهجراتهم الى المغرب، ص ٢٤٧.
- ٧ كارباخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج١، ص ٢٢٥.
- ٨ المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٦.
- ٩ المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٦.
- ١٠ المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣١.
- ١١ المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣٤-٢٣٥.
- ١٢ المصدر نفسه، ج١، ص ٢٤١.
- 13 Ana Labarta, Carmen Barcelo, Archivos Moriscos, Textos Arabes De La Minoría Islamica Valenciana, 1401-1608, (2009, espania), p.314.
- ١٤ الفرطوسي، محمد رباط، علامات الظهور دراسة وتحليل، منشورات سعيد بن جبير، (ايران، ٢٠٠٥م)، ص ٣٠.
- ١٥ النعماني، ابن ابو زينب أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، (ت ٣٦٠هـ)، الغيبة، تحقيق فارس حسون كريم، دار الجوادين، (العراق، ٢٠١١م)، ص ٢٨٠.
- ١٦ دي مندوثا، اورتادو، حرب غرناطة، ترجمة ايمان عبد الحليم وسلوى محمود، المشروع القومي للترجمة، (مصر، ٢٠٠٨م)، ص ٤٧.
- ١٧ البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم، (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، (بلا ب، ١٤٢٢هـ)، ج٩، ص ٦٠ البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم، (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، (بلا ب، ١٤٢٢هـ)، ج٩، ص ٦٠.
- ١٨ الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (٣٨١هـ)، اكمال الدين وتمام النعمة، تصحيح

- العلامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، (بيروت، ١٩٩١م)، ج ٢، ص ٥٩٠.
- ١٩ مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد، (ت ٦٧٦هـ)، صحيح مسلم بشرح الامام محي الدين النووي المسمى المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق الشيخ خليل مأمون، دار المعرفة، ط ١٧، (بيروت، ٢٠٠٩م)، ج ١٨، ص ٢٧٨.
- ٢٠ الصدوق، اكمال الدين، ج ٢، ص ٤٧٦.
- ٢١ كارباخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٣٩.
- ٢٢ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٩.
- ٢٣ مسلم، صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٩٥.
- ٢٤ كارباخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٣٩.
- ٢٥ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٩-٢٤٠.
- ٢٦ ابن حنبل، احمد بن محمد بن خليل، (ت ٢٤١هـ)، مسند الامام احمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٢، (بيروت، ٢٠٠٨م)، ج ٣، ص ٣٦٨.
- ٢٧ كارباخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٤٠.
- ٢٨ البخاري، صحيح البخاري، ج ٨٥، ص ١٨٨.
- ٢٩ كارباخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٤٠.
- ٣٠ ابن ماجة، الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة احياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٣٧٢هـ)، ج ٢، ص ١٣٦.
- ٣١ كارباخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٤٠.
- ٣٢ الحجري، أحمد بن قاسم بن أحمد أبن قاسم بن الشيخ الحجري الاندلسي، (بعد سنة ١٦٤٠م)، رحلة أفوقاي الاندلسي مختصر رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب ١٦١١-١٦١٣م، تحقيق محمد رزق، دار السويدي للنشر والتوزيع والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، (أبو ظبي، بيروت، ٢٠٠٤م)، ص ١٦٢.
- ٣٣ الفرطوسي، علامات الظهور، ص ٣٩.
- ٣٤ الطبرسي، ابو علي بن الفضل بن الحسن، (ت ٥٤٨هـ)، اعلام الورى باعلام الهدى، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، ط ١، (قم، ١٤١٧هـ)، ج ٢، ص ٢٨٥.
- ٣٥ النعماني، الغيبة، ص ٢٦٩.
- ٣٦ كارباخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٣٥.
- ٣٧ كارديناك، لوي، ظاهرة التكهن علامة من علامات الهوية الموريسكية، بحث منشور ضمن كتاب تراجيديا طرد الموريسكيين من الاندلس والمواقف الاسبانية والعربية الاسلامية منها، منشورات مركز الدراسات والترجمة الموريسكية، (تونس، ٢٠١١م)، ص ١٣٤.
- ٣٨ التاريخ غير مفهوم بالنسبة لنا. وربما اراد بها سنوات العجم وان تكن كذلك فلا تساهم ايضا في معرفة التاريخ بالضبط.

39 Ana Labarta, Archivos Moriscos.p315.

٤٠ المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، (ت ٤١٣ هـ)، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، نشر وتحقيق مؤسسة آل البيت (ع)، لأحياء التراث، ط ١، (العراق، ١٩٩٥ م)، ج ٢، ص ٣٦٨.

٤١ رزق، الأندلسيون وهجرتهم الى المغرب، ص ٢٤٧.

٤٢ دي إيبالشا، ميكيل، الموريسكيون في اسبانيا والمنفى، ترجمة جمال عبد الرحمن، المشروع القومي للترجمة، (مصر، ٢٠٠٥ م)، ص ١٨٥.

٤٣ الفرطوسي، علامات الظهور، ص ١٦٣-١٦٤.

٤٤ النعماني، الغيبة، ص ٢٤٣.

٤٥ الصدوق، اكمال الدين، ج ٢، ص ٥٩٠.

46 Ana Labarta, Archivos Moriscos.p313.

47 Ibid.p.313.

48 Ibid.p.313.

٤٩ سورة الانعام: اية ١٥٨.

٥٠ الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، كتاب الغيبة، تصحيح علي اكبر الغفاري، مكتبة الآداب الشرقية، ط ١، (العراق، بلا ت)، ص ٢٦٨.

٥١ الحجري، رحلة افواقي، ص ١٦٢.

٥٢ كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٣٦.

٥٣ البشرات: Alpujarras وهي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب جبل شلير على مقربة من البحر المتوسط وتشتهر بأراضيها الخصبة وبساتينها الياضنة. ينظر حولها ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماي، (ت ٧٧٦ هـ)، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، (مصر، ١٩٧٣ م)، ج ٣، ص ١٦٨.

٥٤ سيرنفاذا: وهو من الجبال المشهورة بالأندلس وتقع بالقرب من غرناطة، ينظر حولها الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس، (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط ١، (بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٩ م)، ج ٢، ص ٥٦٩.

55 Ana Labarta, Archivos Moriscos.p314.

٥٦ دي مندوثا، حرب غرناطة، ص ٤٧.

٥٧ كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٤١.

58 Ana Labarta, Archivos Moriscos.p314.

٥٩ سورة النحل: اية ١.

٦٠ الصدوق، أكمل الدين، ج ٢، ص ٦٧١.

٦١ كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٣٥.

٦٢ سورة الانبياء: اية ٩٦-٩٧.

- ٦٣ سورة الكهف: آية ٩٨.
- ٦٤ مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم ٥٢٢٨.
- ٦٥ المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٩٧.
- ٦٦ كاربخال، وقائع ثورة المورييسكيين، ج ١، ص ٢٤٠-٢٤١.
- ٦٧ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الاندلسي القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، (الرياض، ١٤٢٥هـ)، ص ١٣٢٧.
- ٦٨ المروزي، نعيم بن حماد بن معاوية، (ت ٢٢٩هـ)، الفتن، تحقيق محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديد، ط ١، (القاهرة، ٢٠١٠م)، ص ٣٨٥.
- ٦٩ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، العرف الورد في اخبار المهدي، تحقيق أبي يعلى البضاوي، دار الكتب العلمية، (لبنان، ٢٠٠٦م)، ص ٧٤.
- ٧٠ المصدر نفسه، ص ١٣٤.
- ٧١ الحجري، رحلة افواقي، ص ٢٠٥.
- 72 Ana Labarta, Archivos Moriscos.P.314
- ٧٣ كاربخال، وقائع ثورة المورييسكيين، ج ١، ص ٢٤٠.
- ٧٤ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٠.
- ٧٥ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٠.
- 76 Ana Labarta, Archivos Moriscos.P.314
- 77 Ibid.P.314.
- ٧٨ كاربخال، ثورة المورييسكيين، ج ١، ص ٢٤٢.
- ٧٩ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٠.
- ٨٠ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٧.
- ٨١ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٨.
- ٨٢ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٠.
- ٨٣ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٦.
- ٨٤ رزق، الاندلسيون وهجرتهم الى المغرب، ص ٢٤٨.
- ٨٥ كاردياك، ظاهرة التكهن، ص ١٣١.
- ٨٦ المرجع نفسه، ص ١٣٤.
- ٨٧ المرجع نفسه، ص ١٣٤.
- ٨٨ كاردياك، ظاهرة التكهن، ص ١٣٤.

- ٨٩ كاردياك، ظاهرة التكهن، ص ١٣٣.
- ٩٠ المرجع نفسه، ص ١٣٣.
- ٩١ المرجع نفسه، ص ١٣٣.
- ٩٢ لوي كاردياك، الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية، (١٤٩٢-١٦٤٠م) ترجمة عبد الجليل النمى، منشورات المحلية التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، ط ١، (تونس ١٩٨٣م)، ص ٦٦.
- ٩٣ المرجع نفسه، ص ٦٦.
- ٩٤ الحائري، علي اليزدي الحائري، (ت ١٣٣٣هـ)، الزام الناصب في اثبات الحجة الغائب، منشورات دار ومطبعة النعمان، ط ٢، (بيروت، ١٩٧١م)، ج ٢، ص ١٧٤.
- ٩٥ المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٢٧.
- ٩٦ لوي كاردياك، الموريسكيون الاندلسيون، ص ٦٦.
- ٩٧ المرجع نفسه، ص ٦٦.
- ٩٨ المرجع نفسه، ص ٦٧.
- ٩٩ المرجع نفسه، ص ٦٧.
- ١٠٠ المرجع نفسه، ص ٦٧.
- ١٠١ المرجع نفسه، ص ٦٨.
- ١٠٢ المرجع نفسه، ص ٦٨.
- ١٠٣ المرجع نفسه، ص ١٣٢.
- ١٠٤ لوي كاردياك، ظاهرة التكهن، ص ١٣٢.
- ١٠٥ لوي كاردياك، الموريسكيون الاندلسيون، ص ٦٥.
- ١٠٦ المرجع نفسه، ص ٦٥.
- ١٠٧ المرجع نفسه، ص ٦٥.
- ١٠٨ المرجع نفسه، ص ٦٥.
- ١٠٩ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٣٤٠.
- ١١٠ الحائري، الزام الغائب، ج ٢، ص ٤٢٤.
- للمزيد ينظر موسوعة الغيبة.
- ١١١ للمزيد ينظر موسوعة الغيبة.
- الحجري، ناصر الدين، ص ٣٧.
- ١١٢ الحجري، ناصر الدين، ص ٣٧.
- ١١٣ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٣٤٩.
- ١١٤ الحائري، الحاج الشيخ علي اليزدي، (ت ١٣٣٣هـ)، الزام الناصب في اثبات الحجة الغائب (عج)،

- منشورات دار ومطبعة النعمان، (بيروت)، ج ٢، ص ٢٠١.
- ١١٥ الدراجي، عدنان خلف سرهيد، الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مغازي الموريسكيين، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية تصدر عن قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠١٥م)، ع ٤١، ص ٦٣.
- ١١٦ كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٢٨.
- ١١٧ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٨.
- ١١٨ النعماني، الغيبة، ص ٣٠٠.
- ١١٩ كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٣٥.
- ١٢٠ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤١.
- ١٢١ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤١.
- 122 Ana Labarta, Archivos Moriscos.P. 314.
- ١٢٣ خوسي مونيوت، تاريخ ثورة الموريسكيين، ص ١٠٥.
- ١٢٤ لوي كاردياك، ظاهرة التكهن، ص ١٣٣.
- ١٢٥ المرجع نفسه، ص ١٢٧-١٢٨.
- ١٢٦ لوي كاردياك، الموريسكيين الاندلسيون، ص ٦٨.
- ١٢٧ كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٢٧.
- ١٢٨ المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٨.
- ١٢٩ لوي كاردياك، الموريسكيون الاندلسيون، ص ٦٣.
- ١٣٠ المرجع نفسه، ص ٦٣.
- لوي كاردياك، الموريسكيون الاندلسيون، ص ١٣٧.
- ١٣١ فانسون بارنار، لغة الموريسكيين، بحث منشور ضمن كتاب تراجيديا طرد الموريسكيين من الاندلس والمواقف الاسبانية والعربية الاسلامية منها، منشورات مركز الدراسات والترجمة الموريسكية، (تونس، ٢٠١١م)، ص ١٣٧.
- ١٣٢ لوي كاردياك، ظاهرة التكهن، ص ٦٣.
- ١٣٣ كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٢٨.
- ١٣٤ الحجري، ناصر الدين، ص ٢٥.
- 135 Ana Labarta, Archivos Moriscos.P.314
- ١٣٦ الحجري، ناصر الدين، ص ١٩٤.

الفصل الرابع: التقية عند الموريسكيين دراسة تأصيلية تاريخية

Taqqiya (protective discretion) among the Moriscos

Taqqiya (protective discretion) is considered one of the most controversial issues in the Muslim doctrines; it was permitted by some Muslim jurists but prohibited by others. For Sunni Muslim scholars practicing Taqqiya is generally considered forbidden and only permissible when necessary. However, for Shia Muslims practicing Taqqiya is generally considered permissible in a way that is confined by a set of rules different from that of the Sunni Muslims. This paper focuses on Moriscos's, who follow Maliki doctrine of Islam, stance over the issue of Taqqiya (protective discretion) and the extent to which they believe in it, especially during the rise of the new era which was characterized by excessive violence and hideous torture to force them into renouncing their religion in what is now known as the forced evangelization of Andalusian Muslims. The mission of persecuting Muslims was assigned to merciless clergymen who were involved in the notorious inquisition to force confessions out of the Muslims. The journey of torture in Spanish prisons involved bone breaking, impalement, cutting off tongues, mass burn, life imprisonment, and other methods of torture. To escape these types of torture, Muslims had to publicly announce their conversion to Christianity while practicing their ancestors' religion in private. This pretense is known as Taqqiya in the Islamic jurisprudence. Muslim jurists had to permit this practice in order to allow the Muslims in Spain to keep their lives and religion.

المستخلص:

التقية عند الموريسكيين

تعد التقية في الفكر الاسلامي واحدة من العقائد المختلف عليها بين المذاهب الاسلامية فقد أباحها قوم وحرّمها آخرون، وكان موقف جمهور علماء أهل السنة ان الاصل في التقية هو الحظر وجوازها ضرورة فتباح بقدر الضرورة، واجازها الشيعة. وفق ضوابط معينة، وتختلف بتفاصيلها الدقيقة عن أهل السنة والجماعة، وتتفق معهم بالخطوط العامة، والذي يعنينا منها هو موقف الموريسكيين (المالكية) منها ومدى اعتقادهم بها لاسيما مع بداية المرحلة الجديدة عندهم والتي أتمت بالعنف المفرط والتعذيب البشع لإجبار الموريسكيين على ترك دينهم فيما يعرف بالتصير القسري لمسلمي الاندلس، وعهدت تلك المهمة الى رجال الكنيسة من الذين نُزعت الرحمة من قلوبهم، وتستروا بمحاكم التفتيش سيئة الصيت لنزع الاعترافات من المسلمين الأندلسيين وبدأت رحلة التعذيب في السجون الاسبانية من تكسير العظام، واستعمال الخازوق، وسل اللسان، وحفلات الحرق الجماعية، والحبس مدى الحياة، وغيرها من اساليب التعذيب، وامام هذا الاضطهاد التجئ المسلمون الى التصير الشكلي، اذ يبقى المتنصر محافظا على دين اجداده سراً ويعلن تنصره علناً، وهذا ما يعرف بالفقه الاسلامي بـ(التقية)، واجاز لهم فقهاءهم اعتناقها حفاظاً على دينهم وحياتهم في نفس الوقت.

اولاً : تعريف التقية

١. التقية في اللغة : اسم مصدر من الاتقاء، بمعنى استقبل الشيء وتوقاه، يقال: اتقى الرجل الشيء يتقيه، إذا اتخذ ساتراً يحفظه من ضرره^(١). وهي ايضاً تعني أن الناس يتقي بعضهم بعضاً ويظهرون الصلح والاتفاق وباطنهم بخلاف ذلك.^(٢) وعرفت كذلك بأنها الحذر والحيلة من الضرر، والاسم: التقوى، وأصلها: إوتقى، يوتقي، فقلبت الواو الى ياء للكسرة قبلها، ثم أبدلت الى تاء وأدغمت، فقليل: اتقى، يتقي^(٣).

٢. اما في الاصطلاح : فهي عند الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا^(٤).

وقد عرفها السرخسي الحنفي (ت ٤٩٠ هـ) بقوله " والتقية: أن يقي نفسه من العقوبة بما يظهره، وإن كان يضمّر خلافه"^(٥)، وعرفها ابن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) بقوله " التقية الحذر من إظهار ما في النفس - من معتقد وغيره - للغير"^(٦).

وقال الألوسي الحنبلي (ت ١٢٧٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً»، أي التقية بمحافضة النفس أو العرض، أو المال من شر الأعداء^(٧).

وقال الشيخ الأنصاري (ت ١٢٨٢ هـ) التقية: اسم لاتقى يتقي، والتاء بدل عن الواو كما في التهمة والتخمة^(٨).

ثانياً: التقية في التاريخ

تعد التقية في الفكر الاسلامي واحدة من العقائد المختلف عليها بين المذاهب الاسلامية فقد أباحها قوم وحرّمها آخرون، وقد اشتهرت الشيعة الامامية بها منذ نشأتهم وخالفوهم في الاعتقاد بها مخالفوهم من المذاهب الاخرى - في بعض الخطوط العامة لها - وهي في أبسط حالتها تدعوا الى العيش المشترك للإنسانية والتي تنهي عن كل فعل او قول يؤدي الى أراقة الدماء أو تشويه المعتقد وهدمه، أو ايجاد الفرقة والخلاف بين الانسان واخيه الانسان، بان يتقي كل ما يؤدي الى الاختلاف والتنازع بينه وبين من يختلف معه في المعتقد أو الجنس، والعيش معه بسلام، ما دام لم يعتد عليه، وهي أمر عقلائي اكدت عليه الشريعة وله نماذج كثيرة في تاريخ الرسل والانبياء وعليه شواهد في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء عند كل مذهب.

ومن الشواهد التاريخية التي استخدمت فيها التقية هي قصة أصحاب الكهف والتي أشار اليها الامام الصادق (عليه السلام) بقوله "ما بلغت تقية أحد ما بلغت تقية أصحاب الكهف، إنهم كانوا يشدون الزنانير، ويشهدون الأعياد، فأتاهم الله أجرهم مرتين"^(٩). وصرح ايضاً بتقيتهم القرطبي قائلاً "في هذه الآية نكتة بديعة، وهي أن الوكالة إنما كانت مع التقية خوف ان يشعر بهم أحد لما كانوا عليه من خوف على أنفسهم، وجواز توكيل ذوي العذر متفق عليه"^(١٠).

ومن الاحداث الاخرى التي تجلت فيها التقية بصورة واضحة هي موقف مؤمن آل فرعون والتي وثقها القرآن الكريم بقوله تعالى "وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿٢٥﴾ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴿٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" (١١). اذ قال ابن الجوزي بشأن مؤمن آل فرعون "انه كتم ايمانه من فرعون مائة سنة"^(١٢). ولا شك أن ما يعنيه كتمان الإيـمان هو التقية لا غير، لأنه إخفاء أمر ما خشية من ضرر إفشائه، والتقية كذلك^(١٣). وبقيت التقية على ما كانت عليه في الاديان السابقة ولم تُنسخ في الاسلام بل جاء الاسلام ليزيدها رسوخاً وتوكيداً^(١٤). ومن أوائل مفاهيم التقية التي تطالعنا في الاسلام هي ما جرى للصحابي الجليل عمار بن ياسر (رض)، والتي

أشار إليها القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (١٥) وقوله تعالى مصرحاً بالتقية "لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ❀ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ❀ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ❀ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ" (١٦).

أما في السنة النبوية الشريفة فقد صرح بها الرسول محمد (ﷺ) تصريحاً واضحاً لا لبس فيه فقد روي عن الرسول محمد (ﷺ) أنه عندما عذب المشركون عمار بن ياسر (رض) قال "كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان، قال النبي (ﷺ) فإن عادوا فعد" (١٧). ومنها أيضاً ان مسيلمة رُوي أنَّ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابَ أَخَذَ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ). قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِيَّ؟ قَالَ: أَنْتَ أَيْضاً - أَي أَنْتَ أَيْضاً رَسُولُ اللَّهِ - فَخَلَّاهُ، أَي خَلَّاهُ سَبِيلَهُ وَتَرَكَهُ، وَقَالَ لِلْآخَرِ: مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِيَّ؟ قَالَ: أَنَا أَصَمُّ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَأَعَادَ جَوَابَهُ الْأَوَّلَ، فَقَتَلَهُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ: "أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ أَخَذَ بِرُخْصَةِ اللَّهِ، وَأَمَّا الثَّانِي فَقَدْ صَدَعَ بِالْحَقِّ، فَهَنِيئًا لَهُ" (١٨).

ثالثاً: التقية في المذاهب الاسلامية

كان موقف جمهور علماء أهل السنة ان الاصل في التقية هو الحظر وجوازها ضرورة فتباح بقدر الضرورة، وتختلف عن التقية عند الشيعة بتفاصيلها الدقيقة وتتفق معها بالخطوط العامة، اذ قيّدت عند السنة بمفهوم الاكراه، وخصص علمائهم كتبهم وآرائهم بعنوان الاكراه وتناولوا فيه جميع ما يتعلق بالتقية من أمور ومسائل. وكان لكل مذهب رايه الفقهي في هذا المجال والتي سنعرضها كما يلي بإيجاز تام.

التقية في المذهب الاثني عشري :

لا يختلف تعريف التقية عند أهل السنة عن تعريفها عند الشيعة الأمامية لا في قليل ولا في كثير إلا من حيث فنية التعبير وصياغة الألفاظ في تصوير المعنى الاصطلاحي للتقية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اتفاقهم من حيث المبدأ على أن التقية ليست كذباً، ولا نفاقاً، ولا خداعاً للآخرين (١٩). وتميزت الشيعة الامامية عن غيرهم من المذاهب الاسلامية بالتمسك بهذا المفهوم واتخاذها نهجاً في معاملاتها، لأسباب لا تحفى على من درس تاريخ التشيع دراسة موضوعية ووقف على المعاناة الطويلة الامد التي مرَّ بها الائمة من أهل البيت (عليهم السلام)، من ازمات متوالية كان ينظر فيها الى التشيع بانه جريمة لا تغتفر لذلك فقد نُكل بهم و بإصحابهم ما بين قتل وسجن ونفي وسبي وغيرها وما رافقها

من احداث يندى لها جبين البشرية خجلاً^(٢٠). لذلك فقد ندب اليها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وبينوا في احاديثهم حدودها وشروطها واورقاتها وصورها لتجنب اتباعهم الاخطار التي تصيبهم فقد روي عن الامام أبي عبد الله (عليه السلام) انه قال سمعت ابي يقول لا والله ما على وجه الارض شيء أحب الي من التقية^(٢١). وعنه عليه السلام مفسراً قوله تعالى "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة"^(٢٢) قال الحسنة التقية والسيئة الاذاعة^(٢٣). وقال ايضاً "التقية ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له"^(٢٤).

تبعهم بالاعتداء بهم علماء مذهبهم موضحين وشارحين ما اهتم منها فهذا الشيخ المفيد يقول عنها "أن التقية جائزة في الدين"^(٢٥). وغيرها من الاحاديث الكثيرة .

١. التقية عند المذهب الحنفي:

من خلال تتبع اعلامهم من العلماء الاعلام من اتباع هذا المذهب ما نجده عند السرخسي الحنفي (ت ٤٩٠ هـ) اذ أشار الى أنه يجوز ترك الصلاة الواجبة عند الاكراه على تركها، وكذلك الافطار في شهر رمضان المبارك، وقذف المحصنات والافتراء على المسلم، وفي حالات أخرى منها الزنا، وأكل الميتة، وأكل لحم الخنزير، وشرب الخمر، وان من يفعل ذلك وهو يعلم انه يسعه كان اثماً، وليس له أن يمتنع منه، كما يجوز الشرك على اللسان عند الاكراه^(٢٦).

٢. التقية في المذهب الشافعي:

وهو ما نجده عند الامام الشافعي (رض) (ت ٢٠٤ هـ) نفسه اذ انه شرع الامور التي يباح للمكره التكلم بها، أو فعلها مع كونها محرمة شرعاً، من ذلك التلطف بكلمة الكفر، مع اطمئنان القلب بالإيمان^(٢٧).

٣. التقية في المذهب الحنبلي:

صرح بموقف المذهب من هذا الامر أبن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠ هـ) باباحة فعل المكره دفعاً لما يتوعدده المكروه به من العقوبة فيما بعد^(٢٨).

٤. التقية في المذهب المالكي:

ذكر أحد علماء هذا المذهب وهو ابن العربي المالكي (ت ٥٤٣ هـ) ان من اكراهه وقلبه مطمئن بالإيمان، لا تجري عليه أحكام المرتد، لعذره في الدنيا، مع المغفرة في الآخرة، ثم صرح بعدم الخلاف في ذلك. ومن الأمور التي تصح فيها التقية عند الإكراه الزنا، فيجوز الاقدام عليه ولا حد على من أكره عليه^(٢٩).

هذه الآراء بصورة موجزة لنظرة المذاهب الاسلامية التي تدور حول مفهوم التقية وان لم يكن

مصرح باسمها والتي دلو عليها بالإكراه.

رابعاً:- التقية عند الموريسكيين:

بعد سقوط غرناطة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م والتي نتج عنها تسليم الحمراء بموجب معاهدة بين الملوك الكاثوليك وأبو عبد الله الصغير، والتي حملت في طياتها تعهد المسلمين بممارسة الشعائر الدينية الإسلامية بحرية تامة والعيش بسلام جنباً إلى جنب مع المسلمين^(٣٠). إلا أنه لم تمض سنوات قليلة على تلك المعاهدة حتى اتصلت عنها المملكة الأسبانية، وبدأت مرحلة جديدة مع الموريسكيين أتمت بالعنف المفرط والتعذيب البشع لإجبار الموريسكيين على ترك دينهم فيما يعرف بالتنصير القسري لمسلمي الأندلس، وعهدت تلك المهمة إلى رجال الكنيسة من الذين نُزعت الرحمة من قلوبهم، وتستروا بمحاكم التفتيش سيئة الصيت لنزع الاعترافات من المسلمين الأندلسيين وبدأت رحلة التعذيب في السجون الأسبانية من تكسير العظام، واستعمال الخازوق، وسل اللسان، وحفلات الحرق الجماعية، والحبس مدى الحياة، وغيرها من أساليب التعذيب، كل ذلك جرى تحت مراء ومسمع من الملوك الأسبان وأسلافهم، الذين تنكروا لكل حرف كتبوه وتعهدوا به للمسلمين وأمام هذا الاضطهاد التجئ المسلمون إلى التنصير الشكلي، اذ يبقى المتنصر محافظاً على دين اجداده سراً ويعلن تنصره علناً، وهذا ما يعرف بالفقه الإسلامي بـ(التقية)، وهذا لا يعني ان الموريسكيين لم يقاوموا الأسبان ولم يتصدوا للتنصير القسري فقد ثاروا وحاربوا الأسبان وقتلوهم تحت كل حجر ومدبر، ومن ابرز الثورات التي حدثت هي ثورة البيازين عام ١٤٩٩م وثورة البشرات عام ١٥٦٨م^(٣١). والمآسي التي عاشوها هي التي دفعتهم لاعتناق التقية، تلك المآسي التي رُق لها النصارى قبل المسلمين.

ففي عام ١٥٢٦م أدى أرغام مسلمي أراغون على التنصر إلى التحرك عسكرياً من الموريسكيين لثورة غير محمودة العواقب تؤدي بهم إلى الفناء بساحة المعركة، لذلك تدخل سيد نبيل أسباني يخاطبهم قائلاً: "أيها الحزاني البائسين، يامن تسلمون أنفسكم بهذه الطريقة إلى أعدائكم إذا كنتم ترفضون العمد احتراماً لقرآنكم، فيجب ان تعلموا ان بوسعكم أن تتظاهروا بكونكم مسيحيين فتقبلوا العمد وتبقى قلوبكم مع محمد، وبذلك تتخلصون من الخطر الراهن الذي يواجهكم فترغمون على الاستسلام بقوة السلاح، ومن المخاطر المقبلة إذ تهيمون على وجوهكم في الأرض"^(٣٢). وقد بين الموريسكيون في أكثر من مرة انهم لم يعتنقوا النصرانية الا ظاهراً خوفاً من محاكم التفتيش وما طاهم من التنكيل التي تمارسها ضدهم أذ يقول احدهم "هذه هي شريعة المسيحيين التي راينا بأعيننا أنهم يمارسونها والتي تظاهروا باتباعها، لكن الله يعلم ان ذلك كان على سبيل التظاهر واننا كنا على يقين

من خطأ تلك الشعائر" (٣٣).

خامساً:- المسوغ الشرعي لاعتناق التقية عند الموريسكيين

قدمنا سابقاً للتقية وتشريعها الديني عند المذاهب الإسلامية، بقي مسألة تقية الموريسكيين وهم أسلاف المذهب المالكي والذي كان له رأي واضح في تلك المسألة، وكان لأهل الاندلس من فقهاء المذهب المالكي رأي واضح فيها أذ افتى أبْن عبد البر النميري القرطبي المالكي (٤٦٣ هـ) بعدم وقوع عتق وطلاق المكروه (٣٤).

وكان ابن جزى المالكي (٧٤١ هـ) يقول بجواز التلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه عليها. اما السجود للصنم، فقد صرح بجوازه عند الجمهور (٣٥).

هذه الفتاوي كانت في أيام سيطرة وقوة المسلمين، اما في أيام الموريسكيين فقد وجدوا لهم متنفس صريح وواضح في فتاوي هؤلاء العلماء، اذ يذكر الحجري (ت ١٦١٣ م) ذلك بعد ان تعمد الكذب في حديثه مع إسباني خشية منه، اذ أستند في حليّة ذلك لما اورده الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين بقوله "ان جاز عليك انسان من اهل الخير ثم جاء في طلبه رجل ظالم سائلاً عنه ليضربه فقال له: مشى من تلك النحية بعكس ما مشى منها لينجو المطلوب من ظلم طالبيه وان الكذب في مثل هذا جائز بل مندوب اليه" (٣٦).

ويبدو ان الواقع المزري والاضطهاد الذي تعرض له الموريسكيون قد حدت بالفقهاء لاسيما مفتي وهران أن يعيدوا التفكير في معالجة ذلك الاضطهاد والرجوع الى الاخذ بتشريع يحمي هؤلاء من محرقة الاسبان وفي الوقت نفسه يحافظ لهم دينهم، فكانت التقية طوق النجاة هؤلاء المجاهدين اتباع المذهب المالكي الذي ينتشر في اسبانيا والمغرب. واوجد لهم حيل شرعية أو تورية لمساعدة المسلمين المضطهدين لتجنب النطق بالكفر فمثلاً اذا أرغم المسلم على لعن الرسول محمد (ﷺ) فان عليه ان ينطق اسمه مُد كما ينطقه المسيحيون في اسبانيا، وعليهم ان يقصدوا بذلك الشيطان أو (ماهاماذ) اليهودي، لان الكثير من اليهود كانوا يحملون ذلك اللقب كما في حالة بعض جماعات اليهود الشرقيين السفارديم، وبعد تقديم عدد من الموارد والالاعيب النحوية، وأشار المفتي على الموريسكيين الذين يواجهون مصاعب أخرى أن يتوجهوا اليه بها (٣٧). والظاهر " ان الالتجاء العام للتقية كان يمثل بالنسبة للموريسكيين خطراً لا شك فيه فتكرار حركات غريبة على دينه (أي الحياة الظاهرية بوصفهم نصارى) الا يمكن أن يكون خطراً يهدد صفاء الايمان ويحول الى توليفة دينية؟ أو على الاقل يمكن أن يضع الشعائر الإسلامية موضع الاهمال؟؟ إن زعماء الشعب الموريسكي كانوا على وعي بهذه المخاطر،

ولهذا حاولوا المحافظة على إيمان أبنائهم بطريقة سرية^(٣٨).

على ان فتوى مفتي وهران تُعد من أشهر الفتاوى التي اعتمد عليها الموريسكيين في الاخذ بمبدأ التقية، رغم معارضة علماء آخرين لهم، ومن أشهرهم فقيه المغرب أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني الونشريسي (ت ٩١٤هـ) في فتواه المعروفة بـ (أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصرارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج) الذي رفض فيها رفضاً قاطعاً السماح للمسلمين بالبقاء بدار الكفر كما اسماها وتشدد كثيراً في منع بقاء الموريسكيين رغم الموقف الانساني الذي يمر به هؤلاء المسلمين في إسبانيا^(٣٩). والواصلين الى المغرب العربي قد "ندموا على الهجرة بعد حصولهم بدار الاسلام وتسخطوا وزعموا أنهم وجدوا الحال عليهم ضيقة، وأنهم لم يجدوا بدار الاسلام، التي هي دار المغرب هذه، ... بالنسبة الى التسبب في طلب أنواع المعاش على الجملة، رفقا ولا يسراً ولا مرتفقاً ولا الى التصرف في الاقطار أمنأ لايقاً"^(٤٠). وكان جواب الونشريسي صارماً حاداً اذ انه قال "ان الهجرة من أرض الكفر الى أرض الاسلام فريضة الى يوم القيامة ... ولا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية لعنه الله تعالى على معاقلهم وبلادهم الا تصور العجز عنها بكل وجه وحال، لا الوطن والمال، فان ذلك كله ملغى في نظر الشرع"^(٤١).

هذا "وقد ادى تبني التقية من جانب الموريسكيين الى نتيجتين متناقضتين فمن ناحية تمكن الموريسكيين من البقاء والعيش في إسبانيا، ثم إن عقيدتهم الدينية بقيت في مأمن من محاولات التنصير من جانب جيرانهم المسيحيين ... ومن الواضح ان الفتوى قد خلقت ملجأ داخلياً أمنأ يستطيع الانسحاب نحوه الموريسكيين المضطهدين للحفاظ على إخلاصهم الاصيل المظاهر الخارجية للمسيحية، فانهم قد عرّضوا أنفسهم لضمور ميزاتهم الدينية والثقافية"^(٤٢). ولم تقنع تقيتهم محاكم التفتيش - في اغلب الاحيان - فقد كانت هناك دعوات الى عدم تصديق هؤلاء في اعتناقهم للنصرانية ولم يخف على الكنيسة الكاثوليكية أن هذا التنصير لم يكن حقيقياً، على الرغم من وجود حالات لتنصر بعض المسلمين وتركهم دينهم الاسلامي نهائياً، ومن أشهر من تنصر من هؤلاء المسلمين أبناء السلطان أبو عبد الله الصغير الذين بقى نسلهم في اسبانيا ولقيهم الوزير الغساني (ت ١١١٩هـ / ١٧٠٧م) وتحدث معهم في رحلته وكانوا من ذوي الجاه في اسبانيا وغيرهم ممن لاحظ وجودهم في اسبانيا^(٤٣) ولذلك فقد أصدر فيليب الثالث ١٥٩٨م قرارا بطرد الموريسكيين نهائياً للفترة ما بين عامي ١٦٠٥م - ١٦١٤م^(٤٤). على الرغم من وجود دعوات تنادي بضرورة ذبحهم جميعاً بدل رحيلهم^(٤٥). وكان لمحاكم التفتيش اهتمام بمسلمي إسبانيا السابقين "الذين أصبحوا يخضعون لسلطانهم باعتبارهم كاثوليك معمدين، واهتمت محكمة التفتيش على وجه الخصوص بالتقارير الواردة من غرناطة وقشتالة، التي قالت ان كثير من

الموريسكيين لم يقلعوا تماماً عن الممارسات الدينية والثقافية من زمن الاندلسيين ويجب ان يعتنقوا دينهم الجديد كاملاً^(٤٦). ولاحظ ذلك مارمول عند حديثه عن طريقة زواج الموريسكيين اذ يؤكد على عدم مصداقية اعتناقهم للدين المسيحي قائلاً "كان ذهابهم لحضور القداس ايام الاحاد والاعياد بغرض المجاملة ولتجنب معاقبة الكهنة والقساوسة لهم. لم يعترفوا باي ذنب امام القساوسة قط، ولم يقولوا الحقيقة اثناء الاعتراف. في أيام الجمع كانوا يأخذون حذرهم ويغتسلون ويودون الصلاة في منازلهم خلف الابواب المغلقة، أما أيام الاحاد والاعياد فكانوا يخصصونها للعمل، عندما كانوا يعمدون أطفالهم، كانوا يغسلون أجسامهم سرّاً بماء دافئ لإزالة ما التعميد (الميرون) والزيت المقدس ، ويقومون بشعائر الختان ويسمونهم بأسماء عربية. العرائس اللاتي ألبسهن القساوسة الثياب المسيحية لمباركتهن، كن يقمن بخلعها بعد عودتهن الى منازلهن ليرتدين أزياء إسلامية، حيث تقام اعراسهن على الطريقة الموريسكية بالآلات الموسيقية والاطعمة العربية. اذا كان البعض قد تعلم إداء الصلاة المسيحية فإن السبب هو عدم السماح لهم بالزواج الا بعد تعلمها وقد تهرّب الكثيرون من تعلم اللغة الاسبانية ليكون ذلك عذراً لعدم تعلم الصلاة"^(٤٧).

سادساً:- محاكم التفتيش ومرسوم الطرد

في ضوء تلك الاحداث والتجاء الموريسكيين للتقية المكثفة والعمل بها مدفوعين برهبة وخوف محاكم التفتيش السيئة الصيت التي لم تدع طريقة لتعذيبهم الا واتبعتها. وكانت محاكم التفتيش تمارس ثلاثة أنواع من التعذيب، أولها كان التعذيب بالماء بان "يوثق السجين على سُلّم مائل، بحيث يصبح الرأس اذنًى من مستوى الرجلين، ويُرغم على ترك فمه مفتوحاً بوضع قطعة قماش عليه، ثم يرغم على تجرع الماء، وكانت تستعمل لهذا الغرض جرة تستوعب أكثر من لتر، خلال حصّة واحدة، كان بوسع السجين ان يتجرع ثمانى جرار، شكل آخر من اشكال التعذيب كان يكمن في تعليق المتهم على بكرة بواسطة حبل يوثق معصميه. ثم تعلق أثقال على رجله، ويُرفع جسده ببطء ثم يترك لكي يسقط بعنف. الاسلوب الثالث كان هو المنصة: كان السجين يوثق من يديه ورجليه بحبال كانت تُقتل شيئاً فشيئاً بواسطة عتلة آليه"^(٤٨). واشهر ما مارسته محاكم التفتيش في التضييق على الموريسكيين في سبيل ارجاعهم عن دينهم هو حفلات الحرق اتي اشتهرت في تلك الفترة فبعد أن يحكم على الموريسكي "يرتقي رئيس المحكمة مرتفعاً أقيم وسط الميدان ويأخذ في تلاوة الحكم على معاشر الزنادقة الكفار بصوت جهوري وهو يقول: أن هؤلاء قد استحقوا الحرق رجالاً ونساءً لانهم (يهود، أو من المسلمين، أو من غير أتباع المذهب الكاثوليكي) وأنهم قد استخفوا بالأحكام المقدسة، وأنهم قد اتخذوا الشيطان

عدو البشر ولياً وحقروا الكنيسة وهم لا يأتون ثمرًا^(٤٩). وكانت هناك دعوات متصاعدة للنيل من الموريسكيين أو ما يعرف بالموريسكيين الجدد بالصد من تسمية الاسبان بالمسيحيين القدماء^(٥٠). فكان هناك اقتراح للملك الاسباني عام ١٥٨٢م بان "بعضهم يطلبون من جلالته تامر بحرقهم جميعاً"^(٥١). أو ذبحهم جميعاً^(٥٢). وحتى بالنسبة لمحاولة تنصيرهم فقد اعترض بعض رجال الدين المسيحي منهم على سبيل المثال رئيس اساقفة بلنسية ريبيرا والرئيس الروحي للمملكة الاسبانية الذي علق على منح الاسرار المقدسة للموريسكيين، انه يشبه ببذر بذور ثمينة بين الصخور، أو إعطاء أشياء مقدسة للكلاب، أو نشر اللائع أمام خنازير^(٥٣).

ولم يقف الاسبان عند هذا الحد من التعذيب بل أنهم تفننوا في محاولة ابادة الجنس الاندلسي من على وجه البسيطة، اذ يروي موريسكي بعض محاولات الاسبان تلك قائلاً نظراً الى عدم استطاعة الاسبان شد قلوب الاندلسيين الموريسكيين بعيداً عن عقيدتهم الصلبة وجلبها الى دينهم الشيطاني (النصراني) فان البعض كان يقترح ابادتنا جماعياً، فيما اراد البعض الاخر خصينا بقضيب أحمر محمي في مكان من الجسم حتى لا ننسل ونفنى كأن في يدهم القدرة على تنصير ما أملتته العناية الربانية الازلية^(٥٤). وغيرها من الاساليب التي تفننت محاكم التفتيش فيها مثل تسليط آلة لضغط أضلاع المتهم، وكيه بأسياخ من حديد شديدة الالتهاب وكيه بقوالب ملتهبة توضع على بطن المتهم أو عجزه، أو نزع أسنانه، وإذا مات المتهم تحت التعذيب قبل صدور الحكم، فالتحقيق يتابع وكأن المعني مازال قيد الحياة الى أن تثبت التهمة، فينبش عليه قبره، وينفذ فيه الحكم الصادر في حقه بصورة عبثية^(٥٥). وعلى الرغم من ذلك "فضلت طائفة الموريسكيين أكثر من قرن تخفي عقيدتها الاسلامية ولغتها العربية ... بشتى أنواع المقاومة الى أن جاء تاريخ ١٦٠٩م ليكون أكثر قهراً وصرامة، وأكثر تحديدا لمصيرهم المتردي ويخبرهم بين أمرين أحلاهما مرّ كما يقال فإما المنفى الاجباري وإما القتل حرقاً وبأبشع الوسائل الجهنمية التي لم يشهد تاريخ البشرية أشنع منها ولا أفظع وهذا بشهادة رجال الكنيسة من بينهم وعلى وجه الخصوص الكاردينال ريشولي الفرنسي"^(٥٦).

ويبدو ان المتابعة للموريسكيين دقيقة جداً حتى في قضية تناسلهم ومقدار خطورة هذا التناسل عليهم اذ يذكر الحجري ان سبب صدور مرسوم الطرد سنة ١٦٠٩م هو خوف الملك الاسباني فيليب الثاني من تناسل الموريسكيين المتزايدة واثره على تركيبة المجتمع وخشية تكاثرهم لذلك أمر "أن يُزَمَّموا^[٥٧] جميع الاندلس صغاراً وكباراً، حتى التي في رحم النساء بظهور الحمل ولا علم أحد السر في ذلك. ثم بعد ذلك بنحو السبع عشرة سنة عملوا زماءً آخر مثل الاول - كما أعلموني بمراكش - ولم يدر أحد السر في ذلك حقيقة. ولكن قال لسان الحال أنهم أرادوا يعملوا هل كانوا في زيادة م

لا؟ ولما وجدوا زيادة كثيرة أمروا بقرب ذلك رحيلهم^(٥٨). ووصل الامر بالموريسكيين جراء تلك الاجراءات التعسفية الى ان يجبروا على بيع ابنائهم من أجل كسرة خبز، اذ اشفق الشاعر غاسبار أغيللا على هؤلاء الموريسكيين الذين باعوا ابنائهم بقوله:-

اما ابنائهم الاعزاء

فاقدموا على بيعهم لذوينا

فقط من أجل كسرة من الخبز^(٥٩).

وكان التحريض قائم على قدم وساق من أجل طرد الموريسكيين أذ وجهت اليهم العديد من الاتهامات التي يعد مرتكبوها مجرمي يجب الاقتصاص منهم ونعتوهم بالكافرين لعدم "استعمالهم إشارات مسيحية عند الموت، لا ينطقون باسم المسيح في القداس، لا يتبعون العبادات المسيحية، لا يحملون الصليب ويدمرون الموجود في قراهم وفي الطرقات، لا يشربون الخمر، لا يأكلون الميتة ولحم الخنزير، يُغسلون جثث الموتى ويدفنونهم بطريقة مخالفة للمسيحيين، ثم ولكي يتجنبوا تعميدهم أطفالهم يُعمدون دائماً نفس الطفل"^(٦٠). ولم تنفع كل محاولات النصارى من تركيع الموريسكيين اذ بقوا مخلصين لدينهم وثقافتهم الاسلامية العربية اذ كان "الموريسكيون مسلمين حتى النخاع في جميع مناحي عيشهم، عاداتهم ولغتهم، يطبقون تعاليم القرآن في حياتهم اليومية ويقصدون موروث أجدادهم، والمتنصرون منهم لم يتركوا ممارستها واعتقادها، وكانوا يعتبرون أنفسهم اعداء للمسيح حتى داخل الدين الجديد. وقد أثبتت وثائق تاريخية هامة ومتعددة تشبثهم بتعاليم محمد وممارستها رغم كل المحن والظروف، فرغم اختلاطهم بالمسيحيين القدامى لم يتأثروا بهم ولا بطريقة عيشهم أو دينهم. وبقيت آثار عديدة شاهدة على وجودهم، تجسدت في الكم الهائل من المساجد التي شيدها والكتب العربية التي تركوها وتداولوها في سرية تامة بين أسرهم"^(٦١).

وعُرف عنهم أنهم "يتصنعون المظهر الخارجي للنصرانية، ويظلوا اندلسيين من الداخل"^(٦٢)، وربما ساعدتهم في ذلك في بعض الاحيان تسامح الاسياد والنبلاء حمايتهم الحازمين، وبالمقابل كانوا يؤدون لهم ضرائب مضاعفة حتى لا يتخلوا عن معتقداتهم^(٦٣).

وامام هذا الضغط أصبح الموريسكيون متشبثين أكثر وأكثر بالعوائد الاسلامية مبتعدين بذلك كل البعد عن تقليد النصارى القداماء وبدأوا يتشبثون بالطقوس التي يجدون فيها هويتهم^(٦٤).

سابعاً:- التقية أسلوب الدين السري للموريسكيين

امام كل تلك الظروف توصل الموريسكيون - الذين بقوا في اسبانيا وحاولوا أن يكيّفوا أنفسهم مع هويتهم الجديدة المقنعة بقناع النصرانية - الى الامر القرآني المعروف وكما اشرنا سابقا بالتقية الذي أجاز لهم مواجهة الاضطهاد بمدارة الاسبان تقية منهم وحفاظا على دينهم الاسلامي، الذين احسوا بتنكر النصارى لعهودهم التي أبرموها وسعيهم لتنصيرهم فلم يكن أمامهم غير التقية منهجاً للحفاظ على دينهم كما يتضح من مخاطبة يوسف بناغس لفتى أريفلو قائلاً: "ومما يزيدني ألماً ان المسلمين سيلبسون لباس النصارى وسيأكلون من طعامهم. والله أسأل أن لا ينساقوا إلى دينهم بقلوبهم وأن يكون صنيعهم مجرد تقية"^(٦٥) ففي عام ٩١٠هـ / ١٥٠٤م طبق هذا المبدأ على مسلمي اسبانيا بوضوح مفتي وهران أحمد بن بوجمعة في فتوى اصدرها رداً على الاستفتاءات التي وصلته من مسلمي إسبانيا^(٦٦). والملاحظ على هذه الفتوى أنها تتكون من مقدمة تشجع فيها الاندلسيين على التشبث بدينهم والتي تبدي بمقدمة مستقاة من حديث الرسول الاعظم محمد (ص) "إخواننا القابض على دينهم كالقابض على الجمر"^(٦٧). وقد وجد تلك الفتوى محمد عبد الله عنان ونشرها في كتابه دولة الاسلام في الاندلس، ولم تكن تلك الوثيقة الا نسخة الخداية من مخطوط عربي موجود في مكتبة الفاتيكان^(٦٨). وكانت إجابات المفتي حول المشكلات التي عرضت أمامه تسمح دون استثناء بالتساهل في القواعد الصارمة والمفاهيم المحدودة في الاسلام. ولا يكاد يوجد شيء لا يستطيع المسلمون فعله إذا كانوا مكرهين عليه^(٦٩). وتأتي الفتوى بشكل رسالة وجهها مفتي وهران الى من أسماهم الغرباء يشجعهم ويصبرهم بها على تحمل المشاق في سبيل ملازمة دين الاسلام وامرين به من بلغ من أبنائهم أن لم يخافوا دخول شر عليهم من أعلام عدوهم بحقيقتهم^(٧٠). ونسخت تلك الفتوى على نطاق واسع في مخطوطات سرية طول القرن السادس عشر وعرفت من قبل الموريسكيين^(٧١). واصبحت بمثابة منهج يُتخذى بيه لمواجهة محاكم التفتيش واتقاء شرها وسخطها .

أما أهم الامور التي عاجلتها الفتوى فهي بحسب ما ورد في الرسالة وبالتسلسل فهي:

١. **الصلاة:-** وهي أهم ركن من اركان الاسلام ولها صورتها وبها يعرفها المسلمون وغيرهم من قيام وركوع وسجود وهي على تلك الصورة يعرفها النصارى الاسبان^(٧٢)، ولأنها على هذه الصورة ولتجنب لفت انتباه النصارى لإداء تلك الصلاة فقد أجاز لهم المفتي ادائها "ولو بالإيحاء"^(٧٣). أي يكتفي بالإشارة كعوض عن تلك الصورة للصلاة في الاسلام. أما وقتها عند المسلمين فهي محددة بخمس أوقات، لا يجوز ادائها بغير تلك الاوقات، لكن - وبحسب الفتوى - يجوز تأخير الصلاة

التي تؤدي نهاراً إلى الليل^(٧٤) إذا خافوا على أنفسهم من النصارى. أما في حالة إجبارهم على صلاة النصارى في الكنائس وما يترتب عليها من إسماء خاصة بهم فأجاز لهم أن ينوي المسلم صلاته الاعتيادية وإن أتى بتلك الشعائر الخاصة بصلاة النصارى^(٧٥). وعلى المسلم أن يؤدي الصلاة بتلك الكيفية في الكنائس وإن كانت غير اتجاه القبلة وحكمها في ذلك حكم صلاة الخوف في المعارك^(٧٦). ويبدو أنه قد شاع بين الموريسكيين أن يتم تأدية الصلاة بغير أوقاتها إذ وجدت أسباب خطيرة^(٧٧). فقد اعتاد موريسكيي ريليو Rellu بمملكة فالنسيا أداء كل الصلاة في وقت معين عند الظهر وفي منتصف الليل أي عند التواجد في منازلهم^(٧٨). وقد أولى الموريسكيون اهتماماً كبيراً بها لاسيما صلاة الجمعة إذ تذكر نصوصهم حديثهم عن فضل هذه الصلاة قائلين أنهم يؤجرون عليها كثيراً إذ "إننا في عصر وفي بلد لا نتمكن فيهما من الذهاب إلى حيث يجب أداء صلاة الجمعة مع الإمام وإذا تعذر أداء الصلوات اليومية في أوقاتها فيجب أن تؤدي الصلوات على الأقل في الليل"^(٧٩).

٢. الزكاة:- هي ركن آخر من أركان الإسلام تؤخذ من المسلمين بالشروط التي حددت في الإسلام، وتبلغ ٢٠٪، أورد فيها فقهاء المسلمين أحكامها الخاصة، ونظراً لأن النصارى منعوا أي مظهر يمت للإسلام بصفة، لذلك فقد أجاز لهم مفتي وهران بأن تكون "كأنها هدية لفقيركم"^(٨٠).

٣. الوضوء والطهارة:- إسباغ الوضوء من الشرائط الواجبة لإتمام صحة الصلاة وهو جزء أساسي منها^(٨١). وفي وضع التقية عند الخوف من الأسباب فقد سمح لهم بترك الوضوء "إذا كان الإنسان يخشى أن يوشى به"^(٨٢). أو أن "يذهب إلى النهر ليغتسل عندما يخاف أن يراه الأعداء فيبلغوا محاكم التفتيش، في هذه الحالة يكفي الموريسكي أن يغمس جسده ورأسه في الماء وإن ينوي تأدية هذا الواجب المقدس سواء أكان وضوءاً أم طهارة"^(٨٣). ويشترط في الإسلام أن يكون ماء الوضوء طاهراً، وقد أجاز لهم مفتي وهران غير ذلك قائلًا:- "وتسقط في الحكم طهارة الماء"^(٨٤). أما إذا تعذر الوضوء بعدم وجود الماء وغيره فالتيمم بدلا من الوضوء^(٨٥). وصورة التيمم كما عرفه الموريسكيين هو أن يضرب باطن الكف بالتراب ويدلك بهما الوجه مرة واحدة وهكذا يعمل مرتان^(٨٦). وقد أجاز لهم المفتي إلى الاكتفاء عن صورة التيمم تلك، مع وجود الحرج من الأسباب أن أمرهم قائلًا:- "وعليكم بالتيمم ولو مسحاً بالأيدي للحيطان فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يُتيمم به، فاقصدوا بالإيحاء"^(٨٧).

٤. غُسل الجنابة:- لغسل الجنابة طريقة خاصة عرفها المسلمون، إذ ينبغي للمسلم في هذه الحالة التطهر منها، وبما أنها لها غسلها الخاص ومع تعذر أداء ذلك الغسل فقد أباح لهم مفتي وهران هذا

الغسل قائلاً:- " والغسل من الجنابة ولو عوماً في البحور" (٨٨).

٥. شرب الخمر:- حكمه التحريم في الاسلام، يشربه النصارى للتحريف الذي طال الديانة النصرانية^(٨٩)، أمتنع المورييسكيين من شربه، لكن أجازته مفتي وهران تقيّة للضرر المترتب على المورييسكيين في حاله الامتناع عن شربه خوفاً من الوشاية وافتضاح امرهم، اذ قال المفتي:- " وان أجبروكم على شرب الخمر، فاشربوه لا بنية استعماله" (٩٠).

٦. أكل لحم الخنزير:- لحم الخنزير من الامور المحرمة في الاسلام، تجنبه المورييسكيون لتلك الحرمه، وكان علامة دالة على إسلام الشخص من عدمه وتناوله مستساغ ومنتشر جداً في اسبانيا بين النصارى^(٩١). ورغم ان مفتي وهران قد أباح لهم تناوله تقيّة منهم قائلاً:- " وإن كلفوا عليكم خنزيراً فكلوه تاركين إياه بقلوبكم، ومعتقدين تحريمه" (٩٢). الا ان احد الباحثين يؤكد انه "لم يشرب ولو مرة واحدة في الوثائق الرسمية الخاصة بالفلاحة والماشية إلى الخنزير" (٩٣). حتى أن وثيقة التنازل قد تعهد فيها الملكان الكاثوليكيان بان تكون "مجازر النصارى معزولة عن مجازر المسلمين، ولا يختلط أحدهما مع لحوم الآخر، فان فعله أحدهم، فانه يعاقب عليه" (٩٤). وكان المورييسكيون قد عانوا الامرين من هذا الموضوع فيروى ان احدى نساء وتدعى ايزابيلا غاردا Isabella Garada قبلت "دعوة للغداء من جارتها النصرانية، وبعد الانتهاء أخبرتها جارتها بأن الطعام أحتوى على لحم الخنزير، وعلى الفور وضعت إيزابيلا أصبعها داخل فمها حتى الحنجرة وتقيأت، فأبلغت الجارة محكمة التفتيش عنها" (٩٥).

٧. المصاهرة:- ظاهرة المصاهرة بين المسلمين والنصارى تمتد جذورها الى العهود الاسلامية الاولى، فقد كان الجند الفاتحين للأندلس قد تزوجوا بنصرانيات اسبانيات، والامثلة على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال زواج عبد العزيز بن موسى بن نصير من أرملة لذريق المعروفة بالمصادر العربية بأم عاصم^(٩٦).

واما الزواج المغاير وهو أن يتزوج مسيحي من مسلمه، فهو قليل وان وجد، وهناك أمثله على ذلك منها زواج زائدة زوجة المأمون بن المعتمد بن عباد حاكم أشبيلية بالفونسو السادس وأنجبت له ولداً أسماه شانجة^(٩٧). وأوردنا تلك الامثلة للدلالة على أن الزواج المتبادل بين العرب المسلمين والنصارى الاسبان كان أمراً مألوفاً، الا انه بعد سقوط الاندلس أصبح الامر على غير تلك العادة التي كانت شائعة في شبه جزيرة أيبيريا فقد تخرج الطرفان من تلك الزيجة على الرغم من دعوات بعض النصارى للزواج من المورييسكييات لإذابتهم بالمجتمع المسيحي، الا ان المسلمين كانوا يأبون ذلك ما استطاعوا الى ذلك من سبيل حفاظا على دين نسائهم من الضياع، وهذا ما يبدو من بعض النصوص المورييسكية

من خلال نص مورييسكي للحجري مجادلا بعض القسيسين على ذلك، اذ خاطبه القسيس قائلا:- " ولكن أنتم الأندلس فيكم عادة غير محمودة، قلت: ما هي؟ قال: أنكم لا تمشون إلا بعضكم مع بعض، ولا تعطون بناتكم للنصارى القدماء، ولا تتزوجون مع النصرانيات القدماء. قلت له لماذا تتزوج النصرانيات القدماء وكان بمدينة انتقير رجلا من قرابتي عشق بنتا نصرانية، ففي اليوم الذي مشوا فيه بالعروسة إلى الكنيسة ليتم النكاح احتاج يلبس العروس الزرد المهند من تحت الحوائج، وأخذ عنده سيفاً لأن قرابتها حلفوا أنهم يقتلونه في الطريق، وبعد أن تزوجها بسنين لم يدخل إليها أحد من قرابتها، بل يتمنون موته وموتها، والنكاح لا يكون ليتخذ به الإنسان أعداء بل أحببا وقرابة. قال لي: والله إنك قلت الحق وتودعنا بالخير، وذهبت^(٩٨) الا انه عندما يصبح بالإكراه فهو حرام شرعاً لشرط القبول والايجاب بالإسلام، لذلك فقد أوضح المفتي حكم التقية في هذا المجال قائلاً:- " وان وجودكم بناتهم، فجائر لكونهم أهل الكتاب، وان أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم، فاعتقدوا تحريمه لولا الاكراه وانكم ناكرون لذلك بقلوبكم ولو وجدتم قوة لغيرتموه"^(٩٩).

٨. **الربا:-** الربا من الامور المحرمة بالدين الاسلامي، وقد أجازه مفتي وهران للمورييسكيين، في حال التقية، قائلاً:- " ان أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم، ثم ليس عليكم إلا رءوس أموالكم، وتتصدقون بالباقي"^(١٠٠).

٩. **كلمة الكفر:-** أشار مفتي وهران الى ذلك بصورة مبهمه لم يوضح ما المقصود من كلمة الكفر، واسترسل في معالجة إباحتها بالتقية قائلاً:- " وإن أكرهوكم على كلمة الكفر، فإن أمكنكم التورية والألغاز فافعلوا، والا فكونوا مطمئني القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك،"^(١٠١).

١٠. **شتم الرسول محمد(ص):-** وهو أمر شائع بين النصارى الاسبان، ارادوا إجبار المورييسكيين على شتمه علانية، وهو ما يصعب على المورييسكيين ان ينطقوا بذلك، لكن مفتي وهران اباح لهم التورية في شتم الرسول (ص)، موهمين الاسبان بانهم نالوا ما ارادوا من خلال اجبارهم على لعن نبهم (ص) قائلاً:- " وإن قالوا اشتموا محمداً فإنهم يقولون له مُد، ناوين أنه الشيطان أو ممد اليهود فكثير بهم اسمه"^(١٠٢).

١١. **ما يتعلق بالنبي عيسى (ع):-** من أبرز مواطن الخلاف بين الدين الاسلامي والنصراني هو ما يتعلق بطبيعة السيد المسيح (ع)، فالمسلمون يعتقدون به انه عبد الله ورسوله، والنصارى يعتقدون بانه ابن الله، ومسألة زواج السيدة العذراء، ووفاة السيد المسيح (ع) ورفع، الى السماء، كل تلك القضايا كانت وما زالت محل سجال بين اتباع الملتين، وقد كانت تلك المسائل الخلافية محط أبتلاء

بالنسبة للموريسكيين، فأيمانهم مغاير بالضد لما يعتقدُهُ النصارى. وقد أوجد لهم المفتي مخرجاً من تلك المحنة، باستخدام اسلوب التورية في التعامل مع النصارى قائلاً: - " وإن قالوا عيسى ابن الله، فقولوها أن أكرهوكم، وانووا اسقاط مضاف أي عبد الاله مريم معبود بحق. وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله فقولوها إكراهاً، وانووا بالإضافة للملك كبيت الله لا يلزم أن يسكنه أو يحل به، وإن قالوا قولوا مريم زوجة له فانووا بالضمير ابن عمها الذي تزوجها في بني إسرائيل ثم فارقتها قبل البناء... وإن قالوا عيسى توفي بالصلب، فانووا من التوفية والكمال والتشريف من هذه، وأمانته وصلبه وإنشاد ذكره، وإظهار الشاء عليه بين الناس، وأنه استوفاه الله برفعه الى العلو" (١٠٣).

وهكذا نرى مما تقدم ان هذا المفتي اعطاهم حلاً لما يمكن أن يتعرضوا له أثناء ممارستهم لعبادتهم وان اجبروهم عليها. وفتوى المغراوي لا تطرح فكرة الهجرة التي نادى بها الونشريسي بل العكس من ذلك تدعوهم الى البقاء والتمسك بدينهم على الطريقة الموريسكية اي اعتناق المسيحية ظاهراً والتمسك بالإسلام باطناً (١٠٤)، ولان الظروف الصعبة قد الجأتهم على التنكر لدينهم فليس بإمكانهم الا المراوغة على ان يبقى ضميرهم متمسكاً بالعقيدة ومحتضراً لكل الاشياء التي يجبرون على التصريح بها (١٠٥).

نتائج البحث

- في ضوء تلك الاحداث المهمة نستعرض فيما يلي أهم ما توصل اليه الباحث من نتائج :
١. تنصّل الاسبان من الوفاء بعهودهم التي أبرموها مع السلطان أبو عبد الله الصغير، والتي كانت من أهمها ترك المسلمين يمارسون شعائهم الاسلامية بحرية تامة.
 ٢. أثر محاكم التفتيش في تبني مفهوم أجرامي لم يشهده التاريخ الانساني لفظاعته، وكشف الوجه الحقيقي للعنصرية المقيّنة، التي حاربت كل ما من شأنه ان يمت الى الاسلام بصلة.
 ٣. التعايش السلبي بين المجتمع الاسباني والاسلامي، أذ حرص الجار الاسباني في أغلب الاحيان على ان يثني بجاره المسلم، في حال ملاحظة أي شيء يدل على انه مسلم.
 ٤. حرص المجتمع الموريסקي على الحفاظ على دينه الاسلامي، وتحت أي ظرف، تمسكاً منه بدينه الحنيف.
 ٥. أثر الفقهاء في الحث على التمسك بالدين الاسلامي، وانصياع العامة للأخذ بأرائهم الفقيه.
 ٦. بين البحث مدى الترابط الكبير بين عدوتي المغرب والاندلس، ولجوء الموريسكيين اليهم للأخذ بفتاويهم.
 ٧. لجوء المسلم الموريסקي للأخذ بمبدأ التقية تناغماً مع متطلبات عصره.
 ٨. حافظت التقية على الدين الاسلامي بصورة سرية ، من خلال الفتاوي التي حثتهم عليها.
 ٩. الاثر الكبير للتقية في أنقاذ أرواح الاف الموريسكيين، من خلال التظاهر بغير ما امنوا به حفاظاً على حياتهم من بطش محاكم التفتيش.
 ١٠. أوجدت التقية نوع من التعايش المجتمعي بين الجار النصراني والاخر الموريסקي المتظاهر باعتناق النصرانية.

المصادر والمراجع

- الالوسي، شهاب الدين أبو البركات بن محمد بن محمود، (ت ١٢٧٠هـ).
- ١. روح المعاني، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت، بلات).
- الانصاري، مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الانصاري، (١٢٨٢هـ).
- ٢. التقيّة، تحقيق، الشيخ فارس الحسون، مؤسسة قائم آل محمد (عج)، (قم، ١٤١٢هـ).
- أبْن الجوزي جوزي، أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد، (ت ٥٩٧هـ).
- ٣. زاد المسافر في علم التفسير، دار الكتب العلمية، ط ٣، (بيروت، ٢٠٠٢م).
- أبْن ابي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم، (ت ٢٣٥هـ).
- ٤. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، (الرياض، ١٤٠٩هـ).
- أبْن عربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، (ت ٥٤٣هـ).
- ٥. احكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ٢، (بيروت، ٢٠٠٣م).
- أورتيت، دومينغيث.
- ٦. تاريخ الموريسكيين مأساة أقلية، ترجمة جمال عبد الرحمن، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة، ٢٠٠٧م).
- إي برأتشيا، الاسقف دون باسكوال بورونات.
- ٧. الموريسكيون الاسبان وقائع طردهم، ترجمة كنزة الغالي، دار الكتب العلمية بيروت، (بيروت، ٢٠١٢م).
- إي غفيريا، خوسي مونيوث.
- ٨. تاريخ ثورة الموريسكيين وطردهم من اسبانيا وعواقبه على سائر أقاليم المملكة، ترجمة عبد العزيز السعود، منشورات ليتوغراف، (طنجة، ٢٠١٠م).
- إيبارا، ميغيل أنخل بونيس.
- ٩. الموريسكيون في الفكر التاريخي، ترجمة، وسام محمد جزر، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة، ٢٠٠٥م).

- بشتاوي، عادل سعيد.
- ١٠. الامة الاندلسية الشهيدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ٢٠٠٠م).
- بيريز، جوزيف.
- ١١. التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا، ترجمة د. مصطفى أمادي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة كلمة، (الامارات العربية المتحدة، ٢٠١٢م).
- أبن جزي، أبن جزي أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي.
- ١٢. التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، (بيروت، ١٤١٦هـ).
- ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ).
- ١٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، (بيروت، بلات).
- الحجري، احمد بن قاسم الحجري، (١٦١٣م).
- ١٤. رحلة افوقاي الاندلسي مختصر رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب، تحقيق د. محمد رزوق، دار السويدي للنشر والتوزيع، (الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤م).
- الحر العاملي، محمد بن الحسن بن علي، (١١٠٤هـ).
- ١٥. وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٤١٣هـ).
- حمادي، عبد الله.
- ١٦. الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس ١٤٩٢-١٦١٦، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (تونس، الجزائر، ١٩٨٩م).
- دي إيتا، خينيس، بيريث، (ت ١٠٢٨هـ / ١٦١٩م).
- ١٧. الحرب ضد الموريسكيين، ترجمة، عائشة محمود سويلم، المجلس الاعلى للثقافة، (مصر، ٢٠٠٩م).
- الزبيدي، محي الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني، ت (١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م).
- ١٨. تاج العروس من شرح القاموس المسمى من جواهر القاموس، (بيروت، مكتبة الحياة، بلات)، مادة وقي.
- رزوق، محمد.

١٩. الاندلسيون وهجرتهم الى المغرب خلال القرنين ١٦ - ١٧، أفريقيا الشرق، ط٣، (الدار البيضاء، ١٩٩٨م).

• شاشية، حسام الدين.

٢٠. السفارديم والموريسكيون رحلة التهجير والتوطين في بلاد المغرب (١٤٩٢ - ١٧٥٦) الروايات والمسارات، دار السويدي للنشر والتوزيع، دار الفارس للنشر والتوزيع، (الامارات العربية المتحدة، المملكة الاردنية الهاشمية، ٢٠١٥م).

• العميدي، ثامر هاشم حبيب.

٢١. التقية في الفكر الاسلامي، مركز الرسالة، (قم، ١٤١٩هـ).

• الفتلاوي، كاظم حسن جاسم.

٢٢. التقية عند مفكري المسلمين، طبع العتبة الحسينية المقدسة، (كربلاء المقدسة، ٢٠١٥م).

• ابن القوطية، أبو بكر بن محمد بن عمر بن عبد العزيز، (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م).

٢٣. تاريخ افتتاح الأندلس، ط٢، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، (القاهرة ، بيروت ، ١٩٨٩م).

• كاردياك، لوي.

٢٤. الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون المجاهدة الجدلية (١٤٩٢ - ١٦٤٠م)، ترجمة عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية و ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، (تونس، ١٩٨٣م).

• لونغاس ، بدرو.

٢٥. حياة الموريسكيين الدينية، ترجمة جمال عبد الرحمن، المشروع القومي للترجمة، (القاهرة، ٢٠١٠م).

• ابن عبد البر، أبو عمر أحمد بن يوسف بن عبد الله الثمري القرطبي، (٤٦٣هـ).

٢٦. الكافي في فقه أهل المدينة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٧هـ).

• ابن عذاري، احمد بن محمد المراكشي، (ت بعد سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م).

٢٧. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال ، ط٢، الثقافة، (بيروت ، ١٩٨٠م).

• ابن قدامة، موفق الدين ابو محمد عبد الله بن أحمد بن محمود (ت ٦٣٠هـ).

٢٨. المغني، دار الكتاب العربي، (مصر، بلات).
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، (ت ٢٠٤هـ).
٢٩. أحكام القرآن، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٩٤م).
- الطبري، أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ).
٣٠. جامع البيان في تفسير آي القرآن (المعروف بتفسير الطبري)، تحقيق محمود محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٤٢١هـ).
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (٤٦٠هـ).
٣١. الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، (قم، ١٤١٤هـ).
- عبد الرحمن، جمال.
٣٢. ثقافة موريسكي، قراءة في المخطوطة ٩٦٥٤ بمكتبة اسبانيا الوطنية، بحث منشور ضمن كتاب دراسات أندلسية وموريسكية، تأليف نخبة من الباحثين، ترجمة، جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة ٢٠٠٨م).
- عبد الكريم، جمال.
٣٣. الموريسكيون تاريخهم وادبهم، مكتبة نهضة الشرق، (القاهرة، بلات).
- العميدي، ثامر.
٣٤. واقع التقيّة عند الفرق والمذاهب الإسلامية من غير الشيعة، مركز الغدير للدراسات، (قم، ١٩٩٥م).
- عنان، محمد عبد الله.
٣٥. دولة الاسلام في الاندلس نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، ٢٠٠١م).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت ٦٧١هـ).
٣٦. الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار إحياء التراث، (بيروت، ٢٠٠٢م).
- قشتيلو، محمد.
٣٧. حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، مطابع الشويخ، (تطوان، ٢٠٠١م).

- قطب، محمد علي.
- ٣٨. مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الاندلس، مكتبة القران، (بلاط، ١٩٨٥ م).
- كار، ماثيو.
- ٣٩. الدين والدم اباداة شعب الاندلس، ترجمة مصطفى قاسم، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة كلمة، (الامارات العربية المتحدة، ٢٠١٣ م).
- كاربخال، مارمول، (ت ١٥٩٩ م).
- ٤٠. وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة وسام محمد جزر، المشروع القومي للترجمة، (القاهرة، ٢٠١٢ م).
- كريبخال، لويس دي المرمول، (ت ١٦٠٠ م).
- ٤١. تاريخ ثورة وعقاب أندلسي مملكة غرناطة، ترجمة جعفر أبن الحاج السلمي، مطبعة الخليج العربي، (تطوان، ٢٠١٣ م).
- الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، (ت ٣٢٩ هـ).
- ٤٢. الأصول من الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، مطبعة حيدري، (الجمهورية الاسلامية في إيران، بلات).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد الإفريقي، (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م).
- ٤٣. لسان العرب، تحقيق وإعداد يوسف خياط، بلاط، (بيروت، دار لسان العرب، بلات)، مادة وقى، ج ٢٥.
- مجهول.
- ٤٤. من رجال القرن التاسع الهجري / الخامس الميلادي، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق محمد رضوان الداية، بلاط، (دمشق، دار حسان، ١٩٨٤ م).
- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي، (ت ٤١٣ هـ).
- ٤٥. تصحيح اعتقادات الامامية، تحقيق حسين دركاهي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٣ م).
- ٤٦. اوائل المقالات، تحقيق الشيخ ابراهيم الانصاري، مطبعة مهر، (الجمهورية الاسلامية الايرانية، ١٤١٣ هـ ق).

- المصباحي، أحمد.
- ٤٧. صور من تحدي متأخري مسلمي الاندلس، بحث نشر في كتاب البحث في التراث الغرناطي حصيلة وافاق، مطبعة النجاح الجديدة، (الدار البيضاء، ١٩٩٨م).
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، (ت ٤٨٣هـ).
- ٤٨. المبسوط، دار الفكر للطباعة والتوزيع، (بيروت، ٢٠٠٠م). ليونارد هارفي باتريك.
- ٤٩. تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، بحث منشور في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية الإسلامية في الأندلس، (بيروت، ١٩٩٩م).
- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني، (ت ٩١٤هـ).
- ٥٠. أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج، تحقيق حسين مؤنس، مجلة صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٥، ١٤-٢، (مدريد، ١٩٥٧م).
- Leonard Patrick Harvey
- 51. CRypto -Islam in sixteenth-Century Spain Presented at Congreso de Estudios Arabes e Islamicos I (Madrid,1964).
- L.P. Harvey.
- 52. Yuse Banegas, un noble en Granada bajo Los Reyes catolicos , in Al Andalus, XXX,1956.
- Peset Reig y Hernandez sempre.
- 53. "De La justa expulsion de Los moriscos de Espana",op.cit,pp.

الهوامش:

- ١ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد الإفريقي، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م). لسان العرب، تحقيق وإعداد يوسف خياط، بلاط، (بيروت، دار لسان العرب، بلات)، مادة وقى، ج ٢٥، ص ٤٠٢.
- ٢ المصدر نفسه، ج ٢٥، ص ٤٠٢.
- ٣ الزبيدي، محي الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني، (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)، تاج العروس من شرح القاموس المسمى من جواهر القاموس، (بيروت، مكتبة الحياة، بلات)، مادة وقى. ج ١٠، ص ٣٩٦.
- ٤ الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي، (ت ٤١٣هـ)، تصحيح اعتقادات الامامية، تحقيق حسين دركاهي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٣م)، ص ٦٦.
- ٥ محمد بن أحمد بن أبي سهل، (ت ٤٨٣هـ)، المبسوط، دار الفكر للطباعة والتوزيع، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج ٢٤، ص ٤٥.
- ٦ ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، (بيروت، بلات)، ج ١٢، ص ١٣٦.
- ٧ الألوسي، شهاب الدين أبو البركات بن محمد بن محمود، (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت، بلات)، ج ٣، ص ١٢١.
- ٨ الشيخ الانصاري، مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الانصاري، (ت ١٢٨٢هـ)، التقيّة، تحقيق، الشيخ فارس الحسنون، مؤسسة قائم آل محمد، (عج)، (قم، ١٤١٢هـ)، ص ٣٧.
- ٩ الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، (ت ٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، مطبعة حيدري، (الجمهورية الإسلامية في إيران، بلات)، ج ٢، ص ١٧٤-١٧٥.
- ١٠ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار إحياء التراث، (بيروت، ٢٠٠٢م)، ج ١٠، ص ٣٧٦-٣٧٧.
- ١١ سورة غافر: آية ٢٨.
- ١٢ ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد، (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسافر في علم التفسير، دار الكتب العلمية، ط ٣، (بيروت، ٢٠٠٢م)، ج ٧، ص ٣١٢.
- ١٣ العميدي، ثامر هاشم حبيب، التقيّة في الفكر الاسلامي، مركز الرسالة، (قم، ١٤١٩هـ)، ص ٣٦.
- ١٤ الفتلاوي، كاظم حسن جاسم، التقيّة عند مفكري المسلمين، طبع العتبة الحسينية المقدسة، (كربلاء المقدسة، ٢٠١٥م)، ص ٤٢.
- ١٥ سورة النحل: آية ١٠٦.
- ١٦ سورة آل عمران: آية ٢٨.
- ١٧ الطبري، أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير آي القرآن، (المعروف بتفسير الطبري)، تحقيق محمود محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٤٢١هـ)، ج ١٤، ص ١٢٢.
- ١٨ ابن أبي شيبه، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم، (ت ٢٣٥هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، (الرياض، ١٤٠٩هـ)، ج ٦، ص ٤٧٦.
- ١٩ العميدي، واقع التقيّة عند الفرق والمذاهب الإسلامية من غير الشيعة، مركز الغدير للدراسات، (قم، ١٩٩٥م)،

- ص ٢٢.
- ٢٠ المرجع نفسه، ص ٨.
- ٢١ الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢١٧.
- ٢٢ سورة فصلت الآية: ٣٤.
- ٢٣ الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢١٨.
- ٢٤ الحر العاملي، محمد بن الحسن بن علي، (١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤١٣هـ)، ج ١٦، ص ٢٠٤.
- ٢٥ الشيخ المفيد، أوائل المقالات، تحقيق الشيخ إبراهيم الانصاري، مطبعة مهر، (الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ١٤١٣هـ ق)، ص ١١٨.
- ٢٦ السرخسي، المبسوط، ٢٤، ص ٤٨-٤٩.
- ٢٧ الامام الشافعي، ابو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، (ت ٢٠٤هـ)، أحكام القرآن، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٩٤م)، ج ٢، ص ١١٤-١١٥.
- ٢٨ ابن قدامة، موفق الدين ابو محمد عبد الله بن أحمد بن محمود (ت ٦٣٠هـ)، المغني، دار الكتاب العربي، (مصر، بلات)، ج ٨، ص ٢٦٢.
- ٢٩ ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، (ت ٥٤٣هـ)، احكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ٢، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ق ٣، ص ١٦٠-١٦١.
- ٣٠ ينظر عنها مجهول، من رجال القرن التاسع الهجري / الخامس الميلادي، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق محمد رضوان الدايدة، بلاط، (دمشق، دار حسان، ١٩٨٤م)، ص ١٢٤.
- ٣١ ينظر عنها البشتاوي، عادل سعيد، الامة الاندلسية الشهيدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ص ١٣٦ و ١٦٤.
- ٣٢ Leonard Patrick Harvey CRYPTO -Islam in sixteenth - Century Spain Presented (1964) at Congreso de Estudios Arabes e Islamicos I (Madrid) ١٧٠-١٧١. PP. = نقلا
ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، بحث منشور في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية الإسلامية في الأندلس، (بيروت، ١٩٩٩م)، ج ١، ص ٣٢٩.
- ٣٣ عبد الرحمن، جمال، ثقافة موريسكي، قراءة في المخطوطة (٩٦٥٤) بمكتبة اسبانيا الوطنية، بحث منشور ضمن كتاب دراسات أندلسية وموريسكية، تأليف نخبة من الباحثين، ترجمة، جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة ٢٠٠٨م)، ص ١١١.
- ٣٤ ابن عبد البر، أبو عمر أحمد بن يوسف بن عبد الله الثمري القرطبي، (٤٦٣هـ)، الكافي في فقه أهل المدينة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٧هـ)، ٥٠٣.
- ٣٥ ابن جزري، ابن جزري أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزري الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، (بيروت، ١٤١٦هـ)، ص ٣٦٦.
- ٣٦ الحجري، احمد بن قاسم الحجري، (١٦١٣م)، رحلة افوقاي الاندلسي مختصر رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب، تحقيق د. محمد رزوق، دار السويدي للنشر والتوزيع، (الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤م)، ص ٣٠.

- ٣٧ ليونارد، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، ج ١، ص ٣٢٨.
- ٣٨ أورتيث، دو مينغيث، تاريخ الموريسكيين مأساة أقلي، ترجمة جمال عبد الرحمن، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة ٢٠٠٧م)، ص ٢٠٣.
- ٣٩ الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني، (ت ٩١٤هـ)، أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج، تحقيق حسين مؤنس، مجلة صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٥، ع ١-٢، (مدريد، ١٩٥٧م)، ص ١٢٩ وما بعدها.
- ٤٠ المصدر نفسه، ص ١٤٩.
- ٤١ المصدر نفسه، ص ١٥٢.
- ٤٢ ليونارد، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، ج ١، ص ٣٣٠.
- ٤٣ ينظر عنهم محمد بن عبد الوهاب الغساني الاندلسي، (ت ١١١٩هـ / ١٧٠٧م)، رحلة الوزير في افتكاك الاسير ١٦٩٠ - ١٦٠١م، دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (أبو ظبي، بيروت، ٢٠٠٢م)، ص ٤٠، ٦٠.
- ٤٤ عبد الكريم، جمال، الموريسكيون تاريخهم وادبهم، مكتبة نهضة الشرق، (القاهرة، بلا ت)، ص ١٨.
- ٤٥ دي إيتا، خينيس أبريث (ت ١٠٢٨هـ / ١٦١٩م)، الحرب ضد الموريسكيين، ترجمة، عائشة محمود سويلم، المجلس الاعلى للثقافة، (مصر، ٢٠٠٩م)، ص ٤٩٦.
- ٤٦ كار، ماثيو، الدين والدم إبادة شعب الاندلس، ترجمة مصطفى قاسم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة مشروع كلمة، (أبو ظبي، ٢٠١٣م)، ص ١٧٦.
- ٤٧ كاريخال، مارمول، (ت ١٥٩٩م)، وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة وسام محمد جزر، المشروع القومي للترجمة، (القاهرة، ٢٠١٢م)، ج ١، ص ١٦٨.
- ٤٨ بيريز، جوزيف، التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا، ترجمة د. مصطفى أمادي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة كلمة، (الامارات العربية المتحدة، ٢٠١٢م)، ص ١٨٩.
- ٤٩ قطب، محمد علي، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الاندلس، مكتبة القران، (بلا ب، ١٩٨٥م)، ص ٨٨.
- ٥٠ دي إيتا، الحرب ضد الموريسكيين، ص ٣٩٣. للمزيد حول اصل المصطلح وتطوره ينظر، شاشية، حسام الدين، السفارديم والموريسكيون رحلة التهجير والتوطين في بلاد المغرب، (١٤٩٢ - ١٧٥٦)، الروايات والمسارات، دار السويدي للنشر والتوزيع، دار الفارس للنشر والتوزيع، (الامارات العربية المتحدة، المملكة الاردنية الهاشمية، ٢٠١٥م)، ج ١، ص ١٥٨ - ١٥٩.
- ٥١ كار، ماثيو، الدين والدم ابادة شعب الاندلس، ترجمة مصطفى قاسم، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة كلمة، (الامارات العربية المتحدة، ٢٠١٣م)، ص ٣٩٧.
- ٥٢ دي إيتا، الحرب ضد الموريسكيين، ص ٤٩٦.
- ٥٣ كار، ماثيو، الدين والدم ابادة شعب الاندلس، ص ٣٩٣.
- ٥٤ البشتاوي الامة الاندلسية الشهيدة، ص ٢٨٦. نقلا عن مخطوطة محفوظة في اكااديمية التاريخ الملكية الاسبانية.
- ٥٥ المصباحي، أحمد، صور من تحدي متأخري مسلمي الاندلس، بحث نشر في كتاب البحث في التراث الغرناطي حصيلة وافاق، مطبعة النجاح الجديدة، (الدار البيضاء، ١٩٩٨م)، ص ٢٥٢.
- ٥٦ حمادي، عبد الله، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس ١٤٩٢ - ١٦١٦، الدار التونسية للنشر، المؤسسة

- الوطنية للكتاب، (تونس، الجزائر، ١٩٨٩م)، ص ٥١.
- ٥٧ تعني يُسجلوا والكلمة تستخدم في العامية المغربية. ينظر الحجري، رحلة أفوقاي الاندلسي، ص ١١٦، حاشية المحقق.
- ٥٨ المصدر نفسه، ص ١١٦.
- ٥٩ إيبارا، ميغيل أنخل بونيس، الموريسكيون في الفكر التاريخي، ترجمة، وسام محمد جزر، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة، ٢٠٠٥م)، ص ٧٧.
- ٦٠ شاشية، السفارديم والموريسكيون، ج ١، ص ١٧١، نقلا عن "De La Peset Reig y Hernandez sempre justa expulsion de Los moriscos de Espana" op.cit pp ٢٣٨- ٢٣٩.
- ٦١ إي برأتشيا، الاسقف دون باسكوال بورونات، الموريسكيون الاسبان وقائع طردهم، ترجمة كنزة الغالي، دار الكتب العلمية بيروت، (بيروت، ٢٠١٢م)، ص ١٦٢.
- ٦٢ كار، ماثيو، الدين والدم، ص ٢١٧.
- ٦٣ إي غفيريا، خوسي مونيث، تاريخ ثورة الموريسكيين وطردهم من اسبانيا وعواقبه على سائر أقاليم المملكة، ترجمة عبد العزيز السعود، منشورات ليتوغراف، (طنجة، ٢٠١٠م)، ص ٨١.
- ٦٤ قشتيلو، محمد، حياة الموريسكوس الاخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، مطابع الشويخ، (تطوان، ٢٠٠١م)، ص ٧.
- ٦٥ " (هلايلي، حنيفي، التراث الديني عند الموريسكيين من خلال المخطوطات الأخمياذية، بحث منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع ٢٢، لسنة ٢٠٠٦، ص ٢٢٤. نقلا عن L.P. Harvey Yuse Banegas XXX (٢٩٧. Pl ٩٥٦ un mobile en Granada bajo Los Reyes catolicos in Al Andalus) .
- ٦٦ كار، ماثيو، الدين والدم، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
- ٦٧ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (٤٦٠هـ)، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية - مؤسسة البعثة، (قم، ١٤١٤هـ)، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ حديث ١٠٦٠ وفيه الصابر بدل القابض.
- ٦٨ كاردياك، لوي، الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون المجاهدة الجدلية (١٤٩٢ - ١٦٤٠م)، ترجمة عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، (تونس، ١٩٨٣م)، ص ٩١ - ٩٢.
- ٦٩ ليونارد، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، ج ١، ص ٣٢٧.
- ٧٠ عنان، محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، ٢٠٠١م)، ج ٧، ص ٣٤٣.
- ٧١ كار، ماثيو، الدين والدم، ص ٢٢٩.
- ٧٢ ينظر عن صلاة الموريسكيين لونغاس، بدرو، حياة الموريسكيين الدينية، ترجمة جمال عبد الرحمن، المشروع القومي للترجمة، (القاهرة، ٢٠١٠م)، ص ٨٩ - ٩٤.
- ٧٣ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج ٧، ص ٣٤٤.
- ٧٤ المرجع نفسه، ج ٧، ص ٣٤٤.
- ٧٥ ماثيو، الدين والدم، ص ٢٢٦.
- ٧٦ المرجع نفسه، ص ٢٢٦.
- ٧٧ لونغاس، حياة الموريسكيين الدينية، ص ٨٥.

- ٧٨ لونغاس، حياة الموريسكيين الدينية، ص ٨٦.
- ٧٩ المرجع نفسه، ص ١٠٤.
- ٨٠ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج ٧، ص ٣٤٤.
- ٨١ لونغاس، حياة الموريسكيين الدينية، ص ٧١.
- ٨٢ المرجع نفسه، ص ٧٣.
- ٨٣ المرجع نفسه، ص ٧٦.
- ٨٤ ماثيو، الدين والدم، ص ٢٢٦.
- ٨٥ لونغاس، حياة الموريسكيين الدينية، ص ٧٧.
- ٨٦ المرجع نفسه، ص ٧٧.
- ٨٧ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج ٧، ص ٣٤٤.
- ٨٨ المرجع نفسه، ج ٧، ص ٣٤٤.
- ٨٩ الحجري، رحلة افواقي، ص ٦٦ - ٦٧.
- ٩٠ ماثيو، الدين والدم، ص ٢٢٦.
- ٩١ الحجري، رحلة افواقي، ص ٦٨.
- ٩٢ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج ٧، ص ٣٤٤.
- ٩٣ قشتيلو، حياة الموريسكوس الاخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، ص ٩ - ١٠.
- ٩٤ كربينخال، لويس دي المرمول، (ت ١٦٠٠م)، تاريخ ثورة وعقاب أندلسيّ مملكة غرناطة، ترجمة جعفر أبن الحاج السلمي، مطبعة الخليج العربي، (تطوان، ٢٠١٣م)، ج ١، ص ١٥٨.
- ٩٥ ماثيو، الدين والدم، ص ٢٣٤.
- ٩٦ ابن القوطية، أبو بكر بن محمد بن عمر بن عبد العزيز، (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الأندلس، ط ٢، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، (القاهرة، بيروت، ١٩٨٩م)، ص ٧٩.
- ٩٧ ابن عذاري، احمد بن محمد المراكشي، (ت بعد سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ط ٢، الثقافة، (بيروت، ١٩٨٠م)، ج ٢، ص ٥٠.
- ٩٨ الحجري، رحلة أفواقي، ص ٤٠.
- ٩٩ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج ٧، ص ٣٤٤.
- ١٠٠ المرجع نفسه، ج ٧، ص ٣٤٤.
- ١٠١ ماثيو، الدين والدم، ص ٢٢٦.
- ١٠٢ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج ٧، ص ٣٤٤.
- ١٠٣ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج ٧، ص ٣٤٤.
- ١٠٤ رزوق، محمد، الاندلسيون وهجرتهم الى المغرب خلال القرنين ١٦ - ١٧، أفريقيا الشرق، ط ٣، (الدار البيضاء، ١٩٩٨م)، ص ١٥١.
- ١٠٥ كاردياك، الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية، (١٤٩٢ - ١٦٤٠م)، ص ٩٢.

الفصل الخامس: النبوءة في الفكر الموريسكي

المستخلص:

تعد النبوءة واحدة من المرتكزات المهمة التي شخّصت إليها أبصار الموريسكيين في حياتهم اليومية ومستقبلهم، فقد انتشرت بينهم نبوءات كثيرة تتعلق برؤيتهم لمصيرهم في شبة جزيرة ايبيريا، التي استمدوها من تراثهم الاسلامي نتيجة للأحداث المأساوية التي ألمت بهم من جراء ما عانوه من مآسي مؤلمة جرت عليهم بعد أن تنصّل الاسبان عن عهودهم التي أبرموها مع آخر ملوك الاندلس والنشاط الاجرامي التعسفي لمحاكم التفتيش سيئة الصيت والتي مارست بحقهم أبشع أنواع التعذيب والقتل والسبي والنفي. هذا من جهة ومن جهة أخرى تخلي أخوتهم في الدين عنهم وتسليمهم للنصارى فريسة سهلة، رغم صيحات الاستغاثة التي اطلقوها للعالم الاسلامي آنذاك. ولم تلك النبوءات وليدة عصرهم بل أنها رافقت أحداث ما قبل الفتح الاسلامي للاندلس، اذ أشارت المصادر التاريخية الى احاديث الرسول محمد (ص) حول فتح الاندلس وذكر أهلها وفضلهم وهذا الاحاديث أقل ما يمكن القول بحققها أنها تحتاج الى وقفة تأمل وفيها الكثير من النظر حول نسبتها للرسول محمد (ص) وربما كان الغرض من وضعها هو لتحفيز المسلمين على فتح الاندلس والترغيب بسكنها ومواصلة الرباط فيه، هذه الاحاديث وغيرها كثير هي المرتكز الذي استقى منه الموريسكيون نبوءاتهم، وان تكن تلك النبوءات ذات طابع أسطوري تشوبه الكثير من الخرافات الا ان الالتجاء اليها كان واحد من اساليبهم في الصمود والمقاومة، اذ بعثت فيهم روح القتال ومقارعة الاسبان وشكلت حجر الاساس في ثورتهم لما تتمتع به من قوة الحجة عليهم، اذ انها وباعتقادهم صادرة عن صاحب الرسالة (ص) الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى. وعلى الرغم من ضعف النبوءات المجهولة المؤلف، وكثرة أخطائها، وضحالة أسلوبها، وغموض رموزها التي استعصى حلها، فهي تعتبر من أصدق الآثار الكتابية، التي التحم حولها موريسكيوا القرن السادس عشر، فمدارها كان إسبانيا التي كانوا متشبثين بها من خلال الواقع الاسلامي وهذا في قلب العصر الذهبي لإسبانيا الكاثوليكية، وتتبعنا تلك النبوءات من مصادرها الرئيسة من مخطوطات وامهات المصادر الاسبانية التي دونت تلك النبوءات. وكانت

مصدر قوة وباعث على عزيمة المسلمين للثورة اذ كانوا يعدونها احدى وسائل بث الثقة في نفوس الاندلسيين. لقد تناولت كتابات الموريسكيين مواضيع ذات طابع ديني وتسريعي وجدلي وقصصي، حيث تميزت بشكلها العامي مما سهّل انتشارها وامتدادها عبر التاريخ خاصة بامتناع مؤلفيها عن التنصيص على اسمائهم تحررا وتقيّة. وقد قدّم مسلمو الأندلس استطاعوا ان يقدموا تفسيراً أدبيا لوجودهم، باختراع القدرة على البقاء كشعب من لا شيء، كما أرادوا من خلال ذلك أن ييجلوا هذا القدر التاريخي، ويرفعوا من شأنه بإضفاء بعض المظاهر الروحية الجدّية الغامضة عليه، لكن الخيال الجامح منعهم من الرؤية الكاملة للحقيقة المؤلمة، فالتاريخ الذي برهن أنه كان عقيما وبلا طائل، أثبت أنّ التفاؤل المثير للمشاعر كان مجرد خطأ فتنبؤاتهم التي تُقرأ اليوم تثير الكثير من الشجن، بسبب معرفة المسار التاريخي لهذا الشعب.

The Prophecies in Moriscian Thought

Abstract

The prophecy is considered as one of the most important pillars which the Moors depended on in their daily lives and future. Many prophecies spread out among them concerning their vision of their fate on the Iberian Peninsula which they derived from their Islamic heritage as a result of the tragic events they suffered after the Spanish reneged on their covenants with the last kings of Andalusia and the unjust criminal activity of the infamous Inquisition, which practiced the most heinous forms of torture, murder, captivity and exiling. In addition, they suffered from abandonment of other Muslims who left them to the Christians as easy prey, despite the distress shouts that they made to the Muslim world at the time. These prophecies were not the result of their time, but go back to pre- Islamic conquest period of Andalusia, as historical sources pointed to the conversations of the Prophet Muhammad about the conquest of Andalusia and mentioned to its people. We believe that these Prophetic hadiths need to be paused and considered a lot about its attribution to the Prophet Muhammad. The purpose of innovation those Prophetic hadiths, perhaps, was to motivate Muslims to conquest Andalusia and to encourage its residents to stay in it, these sayings and many others were the religious and moral basis from which the Moors drew their prophecies. Although these prophecies were legendary in nature and contained a lot of myths, but resorting to them was one of the Moor's methods of resistance, it encouraged them to fight Spaniards and formed the cornerstone of their revolution, because of its strong religious effect on their minds and they believed that Prophetic hadith had come from the Prophet Muhammad who received it from the God. In spite of the weakness style of those prophecies, its unknown authors , the large number of its errors and the mystery of its symbols that could not be solved, it is considered one of the most honest written relics, which Moors based on at the sixteenth century, its orbit was Spain, which they were clinging to it through the Islamic reality and that is at the highest stage of the golden age of Catholic Spain. We followed these prophecies from the main sources of manuscripts and original Spanish sources that recorded those prophecies. It was a strong motive for the Muslims to revolt; they considered it one of the means to inspire Andalusian Muslims. The writings of the Moors dealt with topics of a religious, legislative, dialectical and anecdotal nature, It was characterized by its vernacular language, which facilitated its spread throughout history, especially the authors' refusal to disclose their names liberally and piously. The Muslims of Andalusia gave a moral explanation about their existence, claiming the ability to survive as a people from nothing and by that explanation; they wanted to venerate this historic destiny by adding some serious and mysterious spiritual manifestations. But unbridled imagination prevented them from fully seeing the painful truth, the history, which proved futile and futile, proved that the emotional optimism was just mistake. Their predictions, which we read today, arouse a lot of indignation, because they refer to the historical course of this people.

أولاً: النبوة الموريسكية

بعد النكبات التي حلت بالموريسكيين والاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل محاكم التفتيش التجاء الموريسكيين الى الامور الغيبية في حياتهم اليومية ومستقبلهم نظر للياس الذي اصابهم من نجدة اخوتهم من عدوة المغرب ومن العثمانيين وغيرهم، لذلك فقد انتشرت بينهم نبوءات كثيرة تحدد لهم مستقبلهم وتتعلق برؤيتهم لمصيرهم في اسبانيا، وقد اخذوها من تراثهم الاسلامي الحافل بالروايات الغيبية، ولا سيما بعد أن أخلف الاسبان بعهودهم التي وعدوهم بها مع آخر سلاطين الاندلس والنشاط القمعي الهمجي التعسفي لمحاكم التفتيش سيئة الصيت والتي مارست بحقهم أبشع أنواع التنكيل والتعذيب والقتل والحبس والسبي والنفي.

ولم تك تلك النبوءات من بناء افكارهم او اختراعهم او وليدة عصرهم بل أنها رافقت أحداث ما قبل الفتح الاسلامي للاندلس، اذ أشارت احاديث الرسول محمد (ص) بفتح الاندلس وذكر أهلها وفضلهم وهذا الاحاديث شأها الكثير من الشكوك حول نسبتها للرسول محمد (ص) وربما كان الغرض من وضعها هو لتحفيز المسلمين على فتح الاندلس والترغيب بسكنها ومواصلة الرباط فيه، وذكرت أحاديث كثيرة للرسول محمد (ص) نوجز منها على سبيل الاستشهاد قوله (ص) في فتح الاندلس "تفتح بعدي جزيرة بالمغرب يقال لها الاندلس، حياها سعيد وميتها شهيد، وهم مع العدو كل يوم وقائع وغارات فانهم ليسكنونها على رغم العدو على قتلهم وانقطاعهم إذ بين أيديهم بحر مهلك، من ورائهم عدو مدرك والعدو في وفرهم واتصاله بلادهم (فلا ير) بالاندلس غير سامر في ذات الله أو مجاهد في سبيل الله أو مجاور للعدو ومطيع لله"^(١). وقوله (ص) ايضا فيما يروى عنه انه "خرج ذات يوم من المدينة، فأشار بيده تلقاء المغرب مسلما، فقليل له: يا رسول الله على من تسلم؟ فقال على أناس من أمتي يكونون في هذا المغرب خلف هذا البحر بجزيرة يقال لها الاندلس، اليها آخر ما ينتشر هذا الدين، ومنتهى الاسلام، ومنها أول ما ينقرض، أهلها مرابطون في منازلهم، شهداء على فراشهم رباط يوم بغورها خير من عبادة سبعين سنة، أهلها شهداء مقدسون ليس لهم قابض الا رب العالمين، يبعثهم الله يوم القيامة من بطون السمك ولجج البحار وحواصل الطيور"^(٢). ولم يكتف المؤرخون بذلك بل عمدوا الى التاريخ السحيق ووضعوا رواية على لسان نبي الله سليمان (ع) فبينما هو "قاعد على كرسيه أذمرت به سحابة، فلما سلمت قال لها من أين أنت، قالت من باب من أبواب الجنة (يقال لها الاندلس بالمغرب الاقصى، قال واين تريد عبادان بابا آخر من أبواب الجنة)، قال فما فضل المكان الذي تريدني على المكان الذي جئت منه؟، قالت يا نبي الله بل المكان الذي جئت منه أفضل على سواه من الأمكنة كفضل السماء على الارض"^(٣). ويبدو ان اختيار النبي سليمان (ع) ليس من

قيل المصادفة اذ انه (ع) كثيرا ما رافقته الغرائب والعجائب منها ما هو حقيقي حدث بطريق المعجزة ، ومنها ما هو أسطوري الحق بهذه الشخصية ، فاستغل الرواة هذا الجانب عند النبي (ع).

هذه الاحاديث وغيرها كثير هي المرتكز الذي استقى منه الموريسكيون نبوءاتهم، وان تكن تلك النبوءات ذات طابع أسطوري تشوبه الكثير من الخرافات الا ان الالتجاء اليها كان واحداً من اساليبهم في الصمود والمقاومة ، اذ بعثت فيهم روح القتال ومقارعة الاسبان وشكلت حجر الاساس في ثورتهم لما تتمتع به من قوة الحجة عليهم، اذ انها وباعتقادهم صادرة عن صاحب الرسالة (ص) الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى. وعلى الرغم من ضعف النبوءات المجهولة المؤلف، وكثرة أخطائها، وضحالة أسلوبها، وغموض رموزها التي استعصى حلها، فهي تعتبر من أصدق الآثار الكتابية، التي التحم حولها موريسكيو القرن السادس عشر، فمدارها كان إسبانيا التي كانوا متشبثين بها من خلال الواقع الاسلامي وهذا في قلب العصر الذهبي لإسبانيا الكاثوليكية^(٤). وكان كتاب الجفر المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب (ع) أحد تلك المراجع الرئيسة لهم، وإن لم يكن الظاهر من هذه التسمية هو كتاب الإمام (ع) بعينه، بل حاكوه في موضوعاته ونسجوا على منواله، وربما استمدوا من نسخة لهذا الكتاب أو نقلوا منه روايات تتعلق بأخبار الساعة وعلامات المنقذ وظهوره. فأطلقوا على تلك الكتب تسمية الأجدار تيمناً بكتاب الإمام (ع) ليوثقوها وليستندوا إليها في إضفاء الشرعية على نبوءاتهم، ثقةً منهم بالإمام (ع) الذي وثقوا بروايته "حيث يُصدق الجميع ما يقول، وقد رويت عنه مآثر عظيمة حدثت على النحو الذي صاغه"^(٥). وكانت تلك الأجدار وما تحويه من تنبؤات قد حفزت الموريسكيين للقيام بالثورة ضدَّ الإسبان لمواجهة الظلم الواقع عليهم لما تحويه من مضامين تبشيرية وعدتهم بالنصر، فاستندوا إليها وجمعوا رجالهم وأموالهم وانتفضوا ضدَّ أعدائهم الإسبان^(٦).

وعضد ما ذهبنا اليه مارمول كاريخال من ان تلك النبوءات كانت مصدر قوة وباعث على عزيمة المسلمين للثورة بقوله إنهم "كانوا يعدونها احدى وسائل بث الثقة في نفوس القرويين الجهال حتى يحملوهم على تصديق ما يقرأ عليهم وان نحواه محققة ومنزهة على الخطأ بما ان تلك الثقة الجوفاء كانت السبب الأكبر في جزء كبير من القلاقل التي أثاروها فأنتنا نعرضها في هذا الجزء حرفياً"^(٧) وقد لاحظ مؤرخ أسباني آخر مدى تمسك الموريسكيين بالنبوءة وما ترتب عليها من أحداث، ومدى قناعتهم بها، بل ومدى قناعته هو بهذه النبوة وانبهاره بها، قائلاً: "ولما كان المسلمون يقتنعون بالتنجيم والتكهنات (حيث كان أجداد بعضهم من كالديا Caldea التي شهدت نشأة هذه العلوم)، فقد ذكرهم حيثند بما كان يقوله حكمائهم من قراءاتهم للنجوم وما كانوا يرددونه من نبوءات، تقول إنهم

إذا ثاروا سيحتلون الارض والممالك التي فقدوها اسلافهم، لدرجة أنهم حددوا سنة الانتصار من التاريخ الهجري... وقد توافق بالضبط مع اندلاع هذه الثورة، وقد أظهر لهم الآيات والظواهر الخارقة للعادة كأن يروا جنوداً مسلحين في الهواء بجوار سيرا نبيادا وطورا غير مألوفة في غرناطة، وتكاثر هائلا للحيوانات في أرض باثا Bazza بالإضافة الى بعض الظواهر مثل كسوف الشمس في الأعوام السابقة، وكلها نذير شؤم على المسيحيين الذين ينسب اليهم المسلمون ما هو جيد أو سيئ في كوكبي الارض والقمر“^(٨).

لقد تناولت كتابات الموريسكيين مواضيع ذات طابع ديني وتسريعي وجدلي وقصصي، حيث تميزت بشكلها العامي مما سهّل انتشارها وامتدادها عبر التاريخ^(٩)، خاصة بامتناع مؤلفيها عن التصنيف على اسمائهم تحررا وتقيّة^(١٠). وقد قدّم مسلمو الأندلس استطاعوا ان يقدموا تفسيراً أدبيا لوجودهم، باختراع القدرة على البقاء كشعب من لا شيء، كما أرادوا من خلال ذلك أن ييجلوا هذا القدر التاريخي، ويرفعوا من شأنه بإضفاء بعض المظاهر الروحية الجدية الغامضة عليه، لكن الخيال الجامح منعهم من الرؤية الكاملة للحقيقة المؤلمة التي تفاؤل سعيد، فالتاريخ الذي برهن أنه كان عقيبا وبلا طائل، أثبت أن التفاؤل المثير للمشاعر كان مجرد خطأ فتنبؤاتهم التي تُقرأ اليوم تثير الكثير من الشجن، بسبب معرفة المسار التاريخي لهذا الشعب^(١١).

ثانياً:- دوافع الموريسكيين للالتجاء الى النبوءة

لم يك الالتهاء الى النبوءة وبثها في المجتمع شيء اعتباطي وانما أمر مدروس راعى سايكلوجية العقل المسلم، وطريقة تفكيره وما يحفز من أمور يتفاعل معها فيتحفز إيجابيا لمسايرتها، ومن أبرز ما يستنهض همم العقل المسلم هو قضية الوازع الديني الذي له الخطوة الكبرى في عملية النهوض والانتفاض، فاستغلت تلك الميزة وسلط عليها الضوء ليتم الاستفادة منها. لاسيما وانها صادرة من صاحب الشريعة الرسول محمد (ص)، أو احد الصحابة الكرام لاسيما الامام علي (ع) وحذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي، أو ممن حوى حب الناس من محدثين وزهاد وعباد... وغيرهم. وهي في النهاية واقع ديني يعضدها ارتباطها بالقران أو الرسول محمد (ص) وهي في كل الحالات من وحي قراني^(١٢). وعادة ما تركز تلك النبوءة على شغل الناس الشاغل سواء كان ديني أو دنيوي لتعالجه بأتم صورة ومثالية تتناسب مع المقام المفترض لصاحب النبوءة لاسيما النبوءة الموريسكية التي اختلطت بكثير من الاساطيل المرجوة التي كانت تزخر بها النبوءة.

أما دوافع التجائهم اليها فتتلخص فيما يلي

١. تخفيف الهمم واثارة غيرتهم ونخوتهم على التحرر من الظلم والعبودية^(١٣).
٢. المحنة التي حلّت بهم جراء سقوط دولتهم وتخلي إخوانهم في العدوّة المغربية عنهم باعثة على اليأس مما جعلهم يبحثون عن ملاذ لهم في تلك النبوءات أو كتب الجفر Aljofor.
٣. كتب الموريسكيون بعض النبوءات الخاصة بهم في محاولة منهم لإعادة كتابة تاريخهم والتأثير في مستقبلهم^(١٤).
٤. تهدف الى رفع الروح المعنوية للموريسكيين وتخفيف الالمهم^(١٥). جراء جور محاكم التفتيش والاضطهاد الاسباني بإيجاد بارقة أمل لخلاصهم من واقعهم المرير.
٥. كانت تعطيهم أملاً للبقاء كي يحافظوا على دينهم، اذ كانوا يروجون لأمل قادم من وراء الحدود يحميهم من هذا الخطر، اذ عبر عن هذا الامل احد الموريسكيين قائلاً: "انه سوف يظهر سلطان كبير من العرب، وسيحميهم، وان هذا الموريسكي يعرف شخصيا ان هذا السلطان سوف يأتي"^(١٦).
٦. أبرز التفوق للوضعية الشخصية وتحقير وضعية العدو^(١٧). من خلال تلك النبوءة اذ تركّز على الفضائل أو الشّمائل التي تكلل الشخصية الموريسكية وتتقص دينيا من النصارى الاسبان.
٧. عُد الموريسكي في هذه النبوءات المترجم الوحيد للإرادة الالهية^(١٨)، والمنفذ الوحيد للعدل الالهي.
٨. منحهم الامل في استعادة السلطة السياسية في اسبانيا واعادة بناء المجتمع الاسلامي فيها^(١٩).
٩. تهدف الى ابراز التفوق الشخصي على حساب الاخر المسيحي. ذلك ان الموريسكي يسعى من خلالها الى قلب الوضع المعاكس لصالحه^(٢٠).
١٠. كانت إحدى وسائل بث الثقة في نفوس الاندلسيين باعتبارها منزهة عن الخطأ لذلك فقد ثاروا على الاسبان وشنوا الحرب بالاعتداد على تلك النبوءات^(٢١).

ثالثاً:- النبوءة المسيحية

يبدو أن مسألة التعايش بين الديانتين الكبيرتين في الاندلس قد ولدت نوعاً من التأثير في هذه القضية "فقد كوّن الموريسكي شخصيته في حضرة المسيحيين، ومن المؤكّد أنّ المجموعتين اللتين عاشتا جنباً الى جنب بصفة متداخلة طيلة العشرات من السنين، لا يمكن إلا أن تُؤثّر الواحدة على الأخرى، وأحياناً بصفة لا شعورية، ولا شك أنّ المجموعة التي لها الأقلية هي التي تتأثّر أكثر من الأخرى

بحكم المنقوص. ومن الجدير بالملاحظة فعلاً أن نجد، إذا ما رجعنا الى النصوص التكهنية، عند المسيحيين وأيضاً عند الموريسكيين نفس التصور الاستدلالي ونفس الأداة اللغوية وأولاً نفس التصور الاستدلالي، الذي يدعي ببعث إمبراطورية عظيمة بعد تخطيمها المؤقت^(٢٢). والملاحظة الأخرى على هذه النبوءات المشتركة هي رجوعها الى نفس التصورات التي ترجع الى نفس الاصل أي الكتب السماوية^(٢٣). وفي هذا الإطار نجد اتهامات من الموريسكيين تتمثل في التهمة الموجهة للمسيحيين بتزوير النصوص التكهنية المسماة القواثياس أو خفوراس (Alguacias-Jofores) لجعلها تتلاءم مع قضيتهم، وقد كتب بيخرانو (Bejerano) الموريسكي المطرود والمجادل الكبر هنا في تونس في سنة (١٦٣٥م) بخصوص هذه النصوص ما يلي: إنَّ المسيحيين كذبوا في ذلك وأضافوا الكثر من الأكاذيب الأخرى، لأنني قرأت هذا النص نفسه في كتاب هنا في تونس، مترجم إلى العربية لا يحتوي على هذه الأكاذيب المضافة^(٢٤). وكانت تلك النبوءات الاسبانية تبحث وتعالج هموم النصارى ومشاكلهم التي كانت متمثلة بواقعهم السياسي والديني، فأما الجانب السياسي فقد دارت نبوءاتهم حول الخطر المحدق بهم من وجهة نظرهم وهم الموريسكيين ومحاولة طردهم من اسبانيا وطي صفحة الاسلام فيها، ونشر المسيحية من جديد.

واما الجانب الديني فقد ركّز على إظهار وتميز وثقل ورفعة الديانة المسيحية، اذ اننا نجد في نبوءاتهم عدة محاور يمكننا تسلط الضوء عليها. فقد تنبأت "بطررد الموريسكي الأخير الذي سوف يُجسّد هزيمة الإسلام وبعث إسبانيا. وتنصُّ تلك النبوءات أيضاً على تدمير مكّة^(٢٥).

الخلاصة

١. للنبوءة جذور موعلة في القدم في الفكر الاسلامي لاسيما فيما يتعلق بالأندلس، ومنها ما ظهر على لسان الرسول الاعظم محمد (ص).
٢. كانت النبوءة ضرورة ملحة بالنسبة للموريسكيين نظرا لما يمرون به من اضطهاد على يد محاكم التفتيش لإعطائها الامل لهم بوجود خلاص لهم من مما يعانونه.
٣. تُسجت تلك النبوءات على غرار كتاب الجفر المنسوب الى الامام علي بن أبي طالب (ع).
٤. تهدف تلك النبوءات الى اعطاء زخم للموريسكي للصمود أكثر بوجهه الاسبان للحفاظ على دينة واستمرارية بقاءه في تلك الارض من خلال الامل المعقود بتلك النبوءات، لاسيما فيما يتعلق بالمنقذ والخلاص من عذاباتهم.
٥. خوف الاسبان الكبير من تلك النبوءات، لما لها من تأثير سحري على الموريسكيين وتحفيزهم على الثورة طبقاً لما تحتويه البعض من تحديد زمان ومكان وقائد الثورة.
٦. ارتبطت تلك النبوءات بقدسية كبيرة لدى الموريسكيين لصدور بعضها عن الرسول محمد (ص) والامام علي بن ابي طالب (ع)، وبعض الصالحين والاولياء .
٧. احتواءها على كثير من الاساطير والخرافات والتي تتلائم مع ما كان يعيشه الموريسكي من انقطاع عن حضارته الاسلامية والعربية، نظر لتشدد الاسبان في فصل الموريسكي عن جذوره الاسلامية.
٨. كان للإسبان نبوءاتهم ايضا فقد وعدوا فيها بالخلاص والانتصار وربما كانت تشترك مع النبوءة الاسلامية في بعض مضامينها.
٩. عاجلت النبوءة الاسبانية الجانب السياسي فقد دارت نبوءاتهم حول الخطر المحدق بهم من وجهة نظرهم وهم الموريسكيين ومحاولة طردهم من اسبانيا وطي صفحة الاسلام فيها، ونشر المسيحية من جديد.
١٠. ركزت النبوءة الاسبانية كذلك على إظهار وتميز وثقل ورفعة الديانة المسيحية، اذ اننا نجد في نبوءاتهم عدة محاور يمكننا تسلط الضوء عليها . اذ انها تنبأت بطرد الموريسكي الأخير الذي سوف يُجسّد هزيمة الإسلام وبعث إسبانيا. وتنص تلك النبوءات أيضاً على تدمير مكّة.

الهوامش

- ١ مجهول، تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق، عبد القادر بويابة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص ٥٦.
- ٢ المصدر نفسه، ص ٥٧.
- ٣ المصدر نفسه، ص ٥٧.
- ٤ بارلت، لوسي لوباز، التراث الإسلامي في الأدب الإسباني، النبوءة في الأدب الأحميادو- الموريسكي للأندلس من خلال مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس، المجلة التاريخية المغربية، ع ٢١ و ٢٢، أفريل ١٩٨١م، ص ٦١. نقلا عن بن سنوسي، هشام، نبوءات الموريسكيين بين الحقيقة التاريخية والمغامرة اللاهوتية مختصر القاسم الحجري نموذجاً، مجلة الحوار المتوسطي، الجزائر، ديسمبر العدد ١٣-١٤، ص ٨٤.
- ٥ كاربخال، مارمول، وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمن، المشروع القومي للترجمة، (مصر، ٢٠١٢م)، ج ١، ص ٢٢٧.
- ٦ اي غفيرايا خوسي مونيوت، تاريخ ثورة الموريسكيين وطردهم من إسبانيا وعواقبه على سائر أقاليم المملكة، ترجمة د. عبد العزيز السعود، منشورات ليتوغراف، (طنجة، ٢٠١٠م)، ص ١٠٣.
- ٧ وقائع ثورة الموريسكيين/ كاربخال ج ١، ص ٢٢٥.
- ٨ أورتادو دي مندوثا، حرب غرناطة، ترجمة إيمان عبد الحليم و سلوى محمود، المركز القومي للترجمة، (القاهرة، ٢٠٠٨م)، ص ٤٧.
- ٩ فضل، صلاح، ملحمة المغازي الموريسكية دراسة في الأدب الشعبي المقارن، دار المعارف، (١٩٨٩م)، ص ١١٥.
- ١٠ حمادي، عبد الله، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس ١٤٩٢-١٦١٦م، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر، ١٩٨٩م)، ص ١٠٧.
- ١١ بن سنوسي، هشام، نبوءات الموريسكيين بين الحقيقة التاريخية والمغامرة اللاهوتية مختصر القاسم الحجري نموذجاً، مجلة الحوار المتوسطي، العدد ١٣-١٤، ديسمبر ٢٠١٦م، ص ٧٨-٧٩.
- ١٢ لوي كاردياك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ترجمة عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية، (تونس، ١٩٨٣م)، ص ٦٢.
- ١٣ أورتودو، حرب غرناطة، ص ٤٧.
- ١٤ لوسي لوبيز بارلت، التراث الاسلامي في الأدب الإسباني، بحث منشور في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية الإسلامية في الأندلس، (بيروت، ١٩٩٩م)، ج ١، ص ٧٧٨.
- ١٥ المرجع نفسه، ج ١، ص ٧٧٨.
- ١٦ لوي كاردياك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ص ٦٣.
- ١٧ المرجع نفسه، ص ٦٣.
- ١٨ المرجع نفسه، ص ١٣٠.
- ١٩ ميكيل دي إيبالشا، الموريسكيون في إسبانيا والمنفى، ترجمة جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة، ٢٠٠٥م)، ص ١٣٧.
- ٢٠ بن سنوسي، نبوءات الموريسكيين بين الحقيقة التاريخية والمغامرة اللاهوتية، ص ٨٠.
- ٢١ كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج ١، ص ٢٢٥.
- ٢٢ لوي كاردياك، ظاهرة التكهن علامة من علامات الهوية الموريسكية، بحث منشور ضمن كتاب تراجيديا طرد الموريسكيين
- من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية الإسلامية منها، منشورات مركز الدراسات والترجمة الموريسكية، (تونس، ٢٠١١م)، ص ١٣٢.
- ٢٣ المرجع نفسه، ص ١٣٤.
- ٢٤ المرجع نفسه، ص ١٣٤، نقلا عن Juan peneia Roma, Los Moriscos espanoles emigrados al Norte de Africa despues de La expulsion ,Barcelone, polycopie,3 volumes.
- ٢٥ لوي كاردياك، ظاهرة التكهن علامة من علامات الهوية الموريسكية، ص ١٣٤.

الباب الثاني:

دراسات في الحضارة الاندلسية الموريسكية

- الفصل الاول: المسلمون الموريسكيون في رحلة مونزر ١٤٩٤ -
١٤٩٥ م
- الفصل الثاني: الطب في الأندلس من خلال وثيقة مخطوطة دراسة
وتحقيق
- الفصل الثالث: وثائق أندلسية دراسة وتحقيق
- الفصل الرابع: الاعياد والأزياء الاسبانية وصداها في المجتمع الاندلسي

الفصل الأول: المسلمون المورييسكيون في رحلة مونزر ١٤٩٤ - ١٤٩٥ م

Muslims moresgues in Jeronimo Munzer trip to Spain and
Portugal 4494-4495

المستخلص:

يهتم هذا البحث بأحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية استنادا الى رحلة مونزر لإسبانيا والبرتغال عام ١٤٩٤ - ١٤٩٥ م، التي تعد من المصادر المهمة في هذه الحقبة، اذ تعد من الشواهد النادرة التي سجلت حياة المورييسكيين في تلك الفترة، نظرا لسكوت المصادر العربية بعد سقوط غرناطة عن ذكر أحوالهم، فجاءت هذه الرحلة مصدراً مهماً من المصادر التي ترسم لنا تاريخ المسلمين آنذاك.

Abstract

This study investigates the social, economic and political conditions of Muslims to Spain and Portugal based on Jeronimo Munzer strip 1494-1495. This trip is considered important sources to when studying this era as it represents one of the rare historical sources that recorded the lives of Moresque's. The recorded the lives of Moresque's. The recoded of this strip has become pivotal historical document that provides some information about the Muslims in the Iberian Peninsula, especially because of the lack of Arabic documents that deal with era after the of Granada.

مقدمة

يعد مونزر واحداً من كتاب الرحلات في العصور الوسطى، لاسيما في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، اذ قدم لنا صورة واضحة عن حال المسلمين إبان تلك الفترة، اسمه خير ونيمو مونزر Jeronimo Munzer، وهو طبيب ألماني، ولد في مدينة فليدكيرش (Vozelberg) feldkirch، التي تقع في الجانب الغربي لأقليم تيرول Tirol الألماني، وفي عام ١٤٦٠ م / أو ١٤٥٨ م، وتوفي عام ١٥٠٨ م. حصل على درجة الدكتوراه في الطب من جامعة بافيا Pavia، ومارس مهنته في مدينة نورمبرغ، ثم غادر إلى إيطاليا هرباً من الطاعون الذي أصابها في عام ١٤٨٤ م، وعاد بعد ذلك إلى نورمبرغ، لكن ظهور الطاعون مرة أخرى أجبره على مغادرة المدينة ثانية عام ١٤٩٤ م مصطحباً معه هذه المرة عدداً من الأصدقاء والأثرياء التجار الذين كانوا يتحدثون الإيطالية والفرنسية هم :

١. انطونيو هرفارت Antonio Herwart من اوجسبورجو (Augsburgo)

٢. جاسبار فيشر Gaspar fischer

٣. نيكولاس فولكنشتاين Nicolas Wolkenstein من نورمبرغ حيث بدأوا الرحلة معاً في الثامن من اغسطس من عام ١٤٩٤ م وبعد عبور سويسرا وجنوب فرنسا وصلوا إلى برينيان perpignan التي تقع بين فرنسا وإسبانيا في السابع من سبتمبر خلال خمسة شهور تقريباً حتى الثامن من فبراير ١٤٩٥ م وقاموا بجولة في شبه جزيرة أيبيريا.

وتعد رحلته واحدة من أهم الرحلات في العصور الوسطى لأنها جاءت بعد سقوط الأندلس بثلاث سنوات، ورغم قصر مدتها الزمنية إلا إن صاحبها قد كتب كل ما لاحظته اذ لم تفتئه شاردة ولا واردة الا وسجلها، فلذلك جاءت كتابته كشاهد عيان دقيق يعكس صورة الحياة اليومية في ذلك الوقت لاسيما ما زودنا به من معلومات مهمة حول حياة المورييسكيين في اسبانيا في السنوات التي تلت سقوط غرناطة. فقد شاهدنا فيها من خلال رحلته حياتهم الاجتماعية وطقوسهم الدينية وظروفهم المعيشية، اذ تمثل تلك الرحلة صورة حقيقية لهم، بعد ان سكنت الى حد ما مصادرنا العربية عن تلك المدة، بسبب ما حصل من أحداث عسكرية أدت إلى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢ م.

وزودتنا تلك الرحلة بالمعلومات المهمة عن المورييسكيين إلا ان الملاحظ على مونزر هو التعصب الواضح للمسيحيين وثناؤه الشديد عليهم حتى انه ليخرج عن موضوعيته أحيانا عند حديثه عنهم، وقد وردت أكثر من مرة تفضله لهم رغم انه قد مدح المسلمين أكثر من مرة في رحلته وعلى سبيل

المثال نجده عندما وصل الى مدينة تدعى اركوس Arcos قرب مدينة قلعة سالم قائلاً عنها ” كان كل من فيها من المسلمين ، ما عدا حاكم القلعة استضافونا في بيت احد المسلمين ، الذي أحسن استقبالنا ، من اجل أموالنا“^(١). فرغم اعترافه ان مضيفه أحسن استقباله في بيته الا انه لا يحسن الظن به ، ويرد إحسانه ذاك الى الطمع باموالهم رغم انه لم يذكر هل اخذ المسلم الأموال لقاء ضيافته ام لا ، والأرجح ان المسلم لم يفعل ولو فعل لذكرها مونز لكي يثبت صحة ادعائه.

وتعصبه واضح في كل الرحلة، فهو يحمده الله كثيراً على قتل المسلمين وانتصار المسيحيين وتنصير المتبقي منهم، وكذلك يمجّد تحويل المساجد الى كنائس ويعدها واحدة من مفاخر ملوكهم في ذلك الوقت.

وايضاً فهو لا يخفي إعجابه بالموريسكيين من جهة أخرى وما خلّفته حضارتهم في شبه الجزيرة الأيبيرية، كذلك كان دائماً ما يقارن بين ما يراه في رحلته هذه وما شاهده في وطنه ليقرب الصورة قدر الإمكان لمن يقرأ رحلته من مواطنيه.

وأخيراً فقد حاولت ان استخلص صورة لحياة الموريسكيين بقدر ما زودنا به مونز عن حياتهم في ذلك الوقت مستفيداً من المعلومات التي أوردها هو عن حياتهم ، محاولاً في بعض الأماكن تتبع ملاحظاته التي تخص المسلمين آنذاك تاريخياً لاسيما في الجانب الاجتماعي ، لإحداث نوع من المقارنة التاريخية بين ماضي الموريسكيين وحضارتهم أيام مونز.

اولاً : الحياة الاجتماعية

١ - الملابس :

عُرف عن المسلمين في الأندلس اهتمامهم الكبير باقتناء الملابس، وعنايتهم بنظافتها، وذكر المقرئ ذلك بقوله ” وأهل الأندلس اشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وفيهم ممن لا يكون عنده الا قوت يومه ، فيطويه صائماً وبيتاع صابوناً يغسل به ثيابه“^(٢). وكان مونز قد ذكر بعض ما يتعلق بلباس المسلمين اذ ذكر في اكثر من مكان في رحلته أنواعاً لما كان المسلمون يرتدونه فذكر لباسهم للون الأبيض لاسيما رجال الدين قائلاً ” وكان رجال الدين يرتدون البياض“^(٣) ونقل أيضاً إن رجال الدين في المرية لاسيما مسجدها كانوا ” يرتدون ملابس بيضاء“^(٤) وربما رمز اللون الأبيض في نظرهم الى النقاء والطهر.

ويبدو أن ” شيوع استخدام الألبسة البيضاء كان تقليداً اتبعه أهل الأندلس منذ وفود زرياب إلى

قرطبة، فانه رأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض منذ ٢٤ يونيو وهو عيد العنصرة^(٥) الى أول أكتوبر اما، بقية العام فيلبسون الثياب الملونة^(٦). ولم يقتصر لبس الأبيض على رجال الدين إنما لبس العامة لاسيما في مناسباتهم الحزينة فكانوا يلبسونه في حزنهم على موتاهم لاسيما في أيام بني أمية وذكر ذلك ابن بسام عندما شاهد غلاما يلبس الأبيض قائلا عنه "على عادة أهل أفقنا في لبس البياض عند الحزن"^(٧).

وهو مخالفة لبني العباس في لبسهم الأسود في المشرق لما كان بينهم من العداوة^(٨). وهذا ما نجده عند مونزر عندما ذكر طريقة دفن الموتى عند المسلمين اللاتي شاهدتهن في غرناطة وهن يرتدين الملابس البيضاء حزنا منهن على فقيدتهن اذ قال: "شاهدنا جنازة رجل مسلم، بالقرب من المقبرة كانت هناك سبع نساء يرتدين ملابس بيضاء، يجلسن بجانب القبر"^(٩).

على ان لباسهن الأبيض في الحزن قد ورد ذكره في شعرهم الذي يوثق لتلك المشاهدة، وهذا ما صرح به الحصري ت (٤٨٨هـ / ١٠٩٥ م)^(١٠) قائلا :-

إذا كانَ البياضُ لباسَ حزنٍ بأندلسٍ فذاك من الصَّوابِ
ألمَ ترني لبستُ بياضَ شيبِي لأنِّي قد حَزِنْتُ على الشَّبَابِ^(١١)

وصور لنا مونزر مشاهداته حول لباس المسلمين في الأندلس وشرحها شرحاً مقتضباً أذ أشار الى العمامة التي يلبسها الرجال لاسيما رجال الدين في غرناطة قائلا: "ورأسهم معصوب بقماش ابيض"^(١٢).

وفي نظرة تأمل حول هذا الموضوع نرى ان أهل الأندلس في تاريخهم الطويل قد تفاوتوا في لبس العمام وتركها حتى الفقهاء منهم فنرى ان ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٨ م) يتحدثنا عن عالم مرسية الأول عزيز بن خطاب (ت ٦٣٦هـ / ١٢٣٨ م)^(١٣) قائلا: "ولقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية، حضرة السلطان في ذلك الأوان، وإليه الإشارة، وقد خطب له بالملك في تلك الجهة، وهو حاسر الرأس، وشبيهه قد غلب على سواد شعره"^(١٤)، وأكد المقرئ "ان أهل الأندلس كانوا لا يعرفون العمامة التي كانت عند أهل المشرق، وإذا رأوا في رأس مشرقي دخل بلادهم شكلاً منها، اظهروا التعجب والاستظراف، ولا يأخذون أنفسهم بتعليمها، لأنهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم"^(١٥). وهذا الحكم من المقرئ يبدو انه لم يختص بكل الأندلس أو ربما في فترات زمنية مختلفة إذ ان في غرب الأندلس كان الأمر مختلفاً معهم إذ يشير المقرئ نفسه الى انه "لا تكاد ترى قاضياً ولا فقيهاً مشاراً اليه الا وهو بعمامة"^(١٦). وفي شرق الأندلس نرى الأمر مختلفا اذ كان الغالب عليهم ترك العمام،

وهو ما نلاحظه على بعض سلاطين غرناطة مثل محمد بن يوسف بن الأحمر (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٣م) مؤسس سلطنة غرناطة والبرميخو (ت ٧٦٣هـ / ١٣٦٢م) سلطان غرناطة الآخر.

وعَدَّ ابن الخطيب لبس العمامة في غرناطة امرأ شاذاً اذ قال ان "العمائم تقل في زي أهل الحضرة إلا ما شُدَّ في شيوخهم وقضاةهم وعلمائهم ، والجند الغربي منهم" ^(١٧). ثم عَقَّبَ مونزر حول لباس المسلمين في ذلك الوقت قائلاً "لم أرَ أي رجل يرتدي جورباً ومن النادر من يلبسها حتى الركبة ، يربطونها بانسوجة في الجزء الخلفي ، حتى يتمكنوا من خلعها بسهولة في أوقات الوضوء والصلاة ، قبل دخولهم المسجد" ^(١٨).

وهذه الملاحظة الدقيقة من مونزر يؤكد لها المقري قبله مشيراً إلى نبذ بعضهم لبس الجوارب قائلاً:

وجرب أهل جربة تلف قوماً أبوا لبس الجوارب والنعال ^(١٩)

اما النساء فقد لبسن السراويل وقد أشار إلى ذلك مونزر قائلاً ان "النساء كن يلبسن سراويل واسعة ومتجعدة من الكتان يربطنها الى الوسط قرب السرة مثل الرهبان" ^(٢٠) والسراويل من الملابس المشتركة بين النساء والرجال والكلمة من أصل فارسي من الكلمة شلوار Sharnweel ^(٢١) وهو ثوب فضفاض يغطي أسفل البدن حتى القدمين ويعرف بنفس الاسم عند الإسبان حيث أطلقوا على السراويل العربية اسم Zarazuetas ^(٢٢). وذكر ابن عذاري (ت بعد سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م) ان عبد الرحمن شنجول بن المنصور (ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م) لما قتل كان يرتدي هذه الملابس قائلاً انه ولما قتل "رُكِّبَ رأسه على جسده وكسى قميصاً وسراويل وسمَّيَ على خشبة باب السدة" ^(٢٣).

وذكر مونزر ان نساء غرناطة كنَّ يلبسن القمصان فوق السراويل قائلاً: "فوق السراويل يلبسن قمصاناً واسعة من الكتان وفوقها رداء من الحرير او الصوف حسب الحالة المادية لكل منهن" ^(٢٤) وهو أيضاً من الملابس المشتركة بين النساء والرجال "إما عن هيئة القميص فله كُمان واسعان للغاية ، يهبطان الى المعصم ، ويتدلَّى القميص إلى منتصف الساقين" ^(٢٥) وكانت بعض النساء لاسيما الجواري يؤثرن الاقمصة الرقيقة الملاصقة للبدن لإبراز مفاتن أجسامهن ويذكر المقري أن جارية مشت بين يدي المعتمد بن عباد وعليها قميص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها ^(٢٦).

وأما الرجال فكان الواحد منهم يلبس قميصاً على بدنه تحت الازار والجبّة او الدَّرَاعَة. ويذكر ابن عذاري ان المستظهر بالله الأموي استخفى في تنور حمام القصر بعد ان تجرد من ثيابه حتى بقي في قميصه ثم خرج وقد اسود قميصه ^(٢٧).

وعن خمار النساء المسلمات قال مونزر إنهن "يخرجن من المنزل يظهرن متدثرات بغطاء أبيض من

القطن او الكتان او الحرير يغطين وجوههن ورؤوسهن بطريقة لا تظهر معها سوى العينين" (٢٨).

والمتبع للتاريخ الأندلسي بصورة خاصة يرى ان الخمار لم تلبسه النساء الأندلسيات بصورة دائمة، بل ان نساء الأندلس سفرن عن وجوههن ولم يرتدين الحجاب وقد أشار ابن الخطيب الى هذه الظاهرة قائلاً "واختلطن بالرجال حاسرات الخمار عن الوجوه" (٢٩). وعن نساء رندة قال ابن الخطيب: "ويسفرن عن الخد المعشوق وينعش قلب المشوق بالطيب المشوق" (٣٠).

ونتيجة للتواجد الإسلامي في الأندلس فقد عرف ايضاً عن الاسبانيات ارتداءهن للحجاب ، وتدل الشواهد التاريخية على هذه العادة اذ تغزل ابن شهيد الأندلسي (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م) بحبيته الاسبانية قائلاً :

وبين المسيحيات لي سامرية	بعيد على الصب الحنفي أن تدنو
مثلثة قد وحد الله حسنهما	فتنى في قلبي بها الوجد والحرز
وطي الخمار الجون حسن كأنما	تجمع فيه البدر والليل والدجن (٣١)

ويؤكد ابن الخطيب ان تلك العادة ما زالت موجودة لعهد اذ قال ان للفقيه أبي بكر بن القمار العذري ، المتوفي سنة (٧١٣هـ / ١٣٢٣م) كانت له جارية نصرانية ، وكانت كعادة المسلمين تضع الخمار على وجهها حتى في المنزل (٣٢).

٢ - مراسيم الدفن

لمراسيم الدفن في الأندلس طقوس اذ يعم لبس اللون الأبيض في هذه المناسبة لأنه عند وقوع وفاة في منزل ما، كان احدا افراد أسرته يخرج مرتديا ملابس الحداد البيضاء على عادة الأندلسيين منذرا لجنائزته والاستعداد للصلاة عليه (٣٣).

ومن خلال تلك الرحلة التي قام بها مونزر نستطيع ان نتعرف على وصف دقيق لهذه المراسيم وذلك خلال مشاهداته المتفرقة في عموم البلاد والأندلسية ففي مقبرة غرناطة التي تقع خارج باب البيرة، وبالتحديد في (٢٤) أكتوبر تاريخ وصوله الى هذه المقبرة يصف لنا هذه المقبرة وصفاً دقيقاً اذ قال: "في الرابع والعشرين من أكتوبر، خرجنا في الصباح من باب البيرة، القريب من محل إقامتنا، توجهنا إلى مقبرة المسلمين وتجوّلنا فيها. كانت كبيرة وموزعة في عدة أماكن، مما يثير الدهشة جزؤها القديم كان مغروساً بالزيتون، بينما الأجزاء الأخرى ليست بها أشجار" (٢٤). وهي الأنسب تمتد تقريبا عند المساحة الممتدة بين بوابة باب البيرة القديم وساحة النصر ALTrenfo وعندما أجريت عمليات

حفر في هذا المكان وجدوا تلك المقبرة وقبوراً كثيرة جداً فيها تعود للمسلمين.

وأشار مونزر كذلك إلى مقابر الأثرياء التي يبدو أنها كانت تتميز عن مقابر العامة بأناقة بنائها وهندستها قائلاً: "معابد الأثرياء كانت مربعة وعلى طريقة الحدائق كانت محاطة بسور من الأحجار الفخمة" (٣٥).

ثم ينتقل إلى مقبرة أخرى "تقع عند سفح الحمراء التي كانت أيضاً واسعة جداً" (٣٦) وهذه المقبرة تقع في حي البيازين إذ وصفها مونزر بقوله "كانت تشغل جزءاً كبيراً من سفح الجبل أعلى المدينة" (٣٧). ثم ذكر مدافن ملوك غرناطة التي تقع بالقرب من هذا الجبل قائلاً "وفي الجزء الأعلى من المقبرة، يوجد برج شاهق، توجد فيه مدافن ملوك غرناطة" (٣٨).

هذا ما سرده مونزر حول مدافن ملوك غرناطة التي تعد اليوم مجهولة المكان رغم مكانة سلاطين غرناطة في ذلك الوقت، وتشير بعض الروايات إلى أن أبا عبد الله الصغير (٩٣٣هـ / ١٥٢٧م) آخر سلاطين غرناطة قد نقلهم معه بعد أن عبر إلى بر العدو المغربي واستمر مونزر في سرد تفاصيل حياة المسلمين في ذلك الوقت وبما يتعلق بمراسيم الدفن ويذكر أن المسلمين كانوا يصلّون على موتاهم وقد صادف مروره بمسجد غرناطة قدوم المسلمين وهم يحملون جنازة لهم قائلاً: "وفي هذه اللحظة وصلت جنازة أحد المسلمين، فقام الإمام بالصلاة أمام الجثمان صلاة طويلة، وفي النهاية حملوا المتوفي ليودعوه ضريحاً خارج أسوار المدينة" (٣٩).

ثم وصف كيفية دفن الميت قائلاً: "أن كل مسلم يدفن في مقبرة خاصة وجديدة. مقابرهم صغيرة إلى حد ما، على قدر الجسد فقط، يشيّدون القبر بأربعة من الحجر، ويغطونها بالآجر، لكي لا تلتصق الأرض بالجثة. ثم يغطون القبر بعد ذلك" (٤٠).

ثم ذكر كيفية توجيه رأس المسلم إلى القبلة أثناء دفنه قائلاً: "المسلمون بالطريقة نفسها يتوجهون إلى الجنوب في عبادتهم لله، ويدفنون موتاهم ويوجهون رأس الميت نحو الاتجاه نفسه" (٤١).

٣- الحمامات :

بنى الأندلسيون الحمامات في كل مكان من شبه جزيرة إيبيريا إذ وُصفوا بأنهم "أشد خلق الله عناية بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده ما يقوته يومه فيطويه صائماً وبيتاع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها" (٤٢). والمعروف أن "الحمامات الخاصة والعامة المنتشرة في المدن والقرى الأندلسية كانت تلقى العناية

الخاصة من حيث الصيانة والنظافة وتأمين الراحة للمستحمين، فالأمراء وأبناء الخاصة بنوا الحمامات في قصورهم ، بينما كان أبناء الطبقة الفقيرة يقصدون الحمامات العامة المنتشرة في الأحياء الشعبية^(٤٣).

وهذه الحمامات الخاصة كان منها حمام قصر الحمراء، الذي أشار اليه مونزر قائلاً: ”في الحمام يوجد حوض من الرخام، كانت النساء والمحظيات يغتسلن فيه عرايا، والملك يشاهدهن من شرفة ذات مشريبات تقع في الجزء الأعلى ، وكان يلقي بتفاحة الى التي تروقه ، إشارة منه الى انه سوف يقضي الليلة معها“^(٤٤). وربما في هذا النص بعض المبالغة من قبل الرحالة لاسيما وهو لم يكن شاهد عيان بل تناقلت ألسن العامة هذه الرواية والعامة بدورها كانت في ذلك الوقت تميل الى القصص الرومانسية وتضفي على الأحداث جانبا خياليا الى حد ما.

وايضا لاحظ مونزر الحمامات المنتشرة في مدينة المرية التي كانت حتى ذلك الوقت ما زالت قائمة ولم يهدمها الأسبان.

وكانت عناية المسلمين بالحمامات عناية كبيرة جداً منطلقين في حبهم للنظافة من تعاليم الدين الإسلامي التي تحثهم على النظافة فأعجب بذلك الرحالة عندما شاهد مياهها الصحية والنظيفة معبراً عن اهتمام المسلمين الكبير بها فهو بعد خروجه من مدينة وادي آش متجهاً إلى غرناطة شاهد الحمامات التي كانت على بعد ميل من وادي آش قائلاً: ”في الحادي والعشرين من أكتوبر (١٤٩٤م) غادرنا وادي آش عبر طرق وعرة وجبلية ،وبعد حوالي ميل مررنا ببعض الحمامات التي تتوفر بها المياه الصحية الصافية. دخلت سرداباً فرأيت كثيراً من الناس يستحمون فيها ، تذوقت المياه فوجدتها حلوة أعجبنى المكان ، الذي أقيم بدقة فائقة، لأن المسلمين كان يهتمون بالحمامات اهتماماً غير عادي“^(٤٥). وامتدح مونزر رجال غرناطة لنظافتهم قائلاً ”كانوا في غاية النظافة“^(٤٦).

وربما كان هذا العجب من رحالتنا بنظافة المسلمين هو ما شاهدته في بلاده أو هي نظرة الأوربيين للنظافة والاغتسال السلبية بصور عامة اذ ان الإسبان وابتداء من فترة حكم الفونسو العالم، تركوا استخدام الحمامات ، واعتبروا هذا التقليد من أسباب التخث^(٤٧). فكانت عادة الاستحمام في أوروبا مستهجنة وايضاً عدت عادة وثنية، وتمارس على انها زندقة أو جريمة كبرى وأخذت جانبا عقائديا واضحا فقد ”أصبحت العفة تقاس بدرجة القذارة“^(٤٨) وفي نص واضح وصريح فان إحدى الراهبات ذكرت في مذكراتها ”أنها الى سن الستين لم يمس الماء منها إلا أناملها عندما كانت تغمسها في ماء الكنيسة المقدس“^(٤٩)، وكان ملك فرنسا لويس الرابع عشر لم يغتسل في حياته قط ، بل كان يكفي بالعطور والدهان^(٥٠). وهكذا كان الأمر حتى ان الملكة ايزابيلا ملكة اسبانيا التي عاصرها

رحالتنا كانت“ تفتخر بأنها لم تغتسل في حياتها إلا مرتين يوم ولادتها سنة [٨٥٤هـ] ١٤١٥م وليلة عرسها [٨٦٣هـ] ١٤٥٩م، وغُسلت حين ماتت سنة [٩٠٩هـ] ١٥٠٤م فتمت لها الغسلة الثالثة، والحقيقة إنها لم تغتسل إلا مرة واحدة وهي ليلة عرسها لان غسلها يوم ولادتها وغسلها يوم موتها ليس من عملها“^(٥١).

٤- الزواج والطلاق

إحدى الممارسات الاجتماعية المهمة التي أشار اليه مونزر في رحلته ومشاهدته في اسبانيا هي طريقة الزواج ومعلوماته عن الطلاق بين المسلمين في البداية ذكر تقدير المسلمين لنسائهم قائلاً: ”يمنع القرآن الأزواج من ضرب زوجاتهم او قتلهن حتى وان لم يطلقوهن“^(٥٢).

ثم يسهب في شرح شروط الزواج قائلاً: ”في عقد القران يتم الاتفاق على شروط معينة تختلف بحسب الحالات لكل زوجة منزل صغير، وعلى العموم كانت تلك المنازل نظيفة جداً، ومزودة الى جانب ذلك، بالزيت والطحين، والخطب، واللوازم الضرورية الاخرى، الصداق كان يتناسب مع مركز المرأة الاجتماعي، يتكون من القلائد والملابس“^(٥٣). ومن ثم ذكر عدد الزوجات اللاتي سمحت بها الشريعة للمسلم قائلاً: ”مباح للمسلمين ان يتزوجوا حتى أربع نساء“^(٥٤). ثم استدرك فيما بعد قائلاً ”كان المسلمون المستقيمون يقنعون بزوجة واحدة، وينحرجون من اتخاذ زوجات عدة“^(٥٥). واطن انه لم يقصد بكلمة المستقيمون انهم صالحون والآخرون الذين يتزوجون بأربع غير صالحين إنما أراد أنهم الرجال الذين في اغلب الأحوال يعيشون حياة مستقرة مع زوجاتهم. وفي مكان اخر عاد وذكر انهم يستطيعون الزواج بسبع نساء^(٥٦). وهو ما يعد جهلاً بالحكم الإسلامي في مثل هذا الموضوع. اذ ان المعروف عن حكم الإسلام في موضوع الزوجات هو ان لا يتعدى أربع زوجات. ثم قارن بين الزواج الإسلامي والمسيحي في بعض جوانبه قائلاً: ”عند المسيحي، لا يسمح بالاقتران إلا بواحدة، ولا يستطيعون تطليقها. صوت الرجل عندهم أعلى منه في شريعتنا“^(٥٧).

ومن ثم فقد فصل له رجل فقيه مسلم شروط الطلاق بسبب الزنا وهو طلاق يختلف بشروطه عن الطلاق للأسباب المذكورة أعلاه فوجهه الاختلاف هو من ناحية الصداق اذ ان في الطلاق السابق تحتفظ المرأة بالصداق“ ما عدا التي تطلق بسبب الزنا، التي تكون عند ذلك مطلقة مجردة فيحتفظ الزوج بالصداق، ولا يمكن للمرأة ان تطالبه بشيء منه اذ ان الزنا يجلب للمرأة عارا كبيرا ويزدرىها الآخرون“^(٥٨). ويقع مونزر بعدة متناقضات حول هذا الموضوع نظراً لتعصبه لشريعته وحقده على المسلمين، ولان هذا الموضوع هو موضوع خلافي بين الديانتين الإسلامية والمسيحية لذلك يسعى

للنيل من أحكام الإسلام في هذا الموضوع فذكر ان المسلمين يطلقون نساءهم "لأنفه الأسباب" (٥٩).

ونلاحظ انه أورد معلومات حول نفس الموضوع قائلاً "لا تستطيع المرأة ان تطلق الزوج إلا اذا كان هناك سبب خطير، مدون في عقد القران" (٦٠)، وهو ما يثبت ان الطلاق ليس أمراً هيناً كما أشار هو من قبل. وكانت معظم عقود الزواج مشروطة بشروط خاصة على الزوج اذا اخل بأحدها كان الطلاق حقاً للمرأة في أي وقت شاءت دون الرجوع الى الإجراءات الكثيرة للإثبات، كأن يشترط الرجل على نفسه ان غاب عن زوجته مدة يتفقان عليها فلها ان تطلق نفسها (٦١).

وأشار كذلك الى مصير الأبناء بعد الطلاق نقلاً عن فقيه سرقسطة قائلاً "اذ كان يوجد ابن وحيد، يحتفظ به الزوج، واذا كانا اثنان، يأخذ كل واحد منهما ابناً، اما اذا كانوا ثلاثة فاثان للزوج وواحد للزوجة... الخ" (٦٢).

وفي الثامن والعشرين من يناير من عام (١٤٩٥م) شاهد مونزر في مدينة سالم Medinaceli وبالتحديد عند مدينة صغيرة تبعد عنها ٣ فراسخ تدعى اركوس Arcos زفافاً إسلامياً وصف احتفالهم بعرسهم قائلاً "راينا هناك كثيراً من المسلمين الذين كانوا يحضرون حفل عرس، واخذوا في الغناء حسب عاداتهم، وبعض الفتيان الرائعات الجمال. يعيشون في قنعة كبيرة، ولا يشربون غير الماء وصحتهم جيدة" (٦٣). وكان من عادة المسلمين في مثل هذه المناسبات ان يحضر المغنون والراقصات وضاربو الدفوف (٦٤).

ثانياً : تجمعاتهم السكانية

بعد ان سقطت آخر الممالك الإسلامية في الأندلس عام (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) رحل من رحل الى خارج غرناطة اما الى المغرب العربي او الى بقية المدن المجاورة او بقي في غرناطة وسموا بعد ذلك بالموريسكيين، وبعد سقوط غرناطة بقليل زار رحالتنا اسبانيا وأعطى صورة واضحة لتجمعات المسلمين هناك وكان ذلك قبل ان يبدأ الضغط على المسلمين للرحيل والتخلي عن ديانتهم، وايضاً قبل ان تبدأ محاكم التفتيش بعملها المشؤوم والسيئ الصيت، وسوف نبدأ مع مونزر في ذكر تجمعاتهم حسب أولوية المدن التي زارها ونبدأ بذكر مدينة :

١ - بلنسية Valencia

ذكر مونزر انه يوجد للمسلمين "حي خاص منفصل مغلق بسور" (٦٥). هذا بالنسبة للمسلمين داخل بلنسية الذين فضلت السلطات الاسبانية جمعهم بحي خاص لمراقبتهم جيداً، اما في خارج

المدينة فقد انتشر المسلمون بصورة واضحة وهو ما أشار اليه بقوله ”سكان القرى والضواحي القريبة من المدينة كلهم تقريباً مسلمون، يعملون بمهارة، في فلاحة الارض“^(٦٦).

٢- لقنت Alicante

وفي طريقة الى مدينة لقنت أشار الرحالة الى تجمعات المسلمين في هذه المدينة مشيراً الى ساحل مدينة لقنت الذي عبّر عنه بانه ”ما هول بالمسلمين“^(٦٧). هذه الكثيرة أهلتهم بان يسيطروا على الزراعة بشكل واضح.

٣- مدينة التث Elche

وفي الثاني عشر من اكتوبر عام ١٤٩٤م وصل مونزر الى مدينة التث التي تقع بين غرناطة وبلنسية وأشار الى تجمعات المسلمين الذين يتشاطرون هذه المدينة مناصفة بينهم وبين المسلمين ، غير ان الرحالة ذكر ان المسيحيين هم أصحاب المدينة بغلبتهم لسكانها الذين يعتاشون على الزراعة^(٦٨).
واشار بعد ذلك الى انه في الثالث عشر من اكتوبر من العام نفسه عبر ”سهلاً فاصلاً ومدناً خاصة بالمسلمين“^(٦٩) وكان ذلك السهل على بعد خمسة فراسخ من مدينة أوريولة (Oriola) Orihuela^(٧٠).

٤- سورباس (Sorbus) Sorbas

وبعد ان دخل الرحالة مملكة غرناطة Granada وفي الطريق اليها وصل الى مدينة صغيرة تسمى سورباس (Sorbus) التي تقع على جبل شاهق على مسافة ستة فراسخ من بيرة ، كان كل سكانها من المسلمين^(٧١).

٥- طبرتش (Tabernas) Tabernas

ذكر مونزر ان جميع من في المدينة هم من المسلمين باستثناء مسيحي واحد نزل عنده^(٧٢) وكانت تلك المدينة تقع بالقرب من سورباس وتبعد عنها نحو خمسة فراسخ^(٧٣).

٦- وادي اش Guadix

هذه المدينة طرد منها أهلها بعد سقوط غرناطة كما صرح مونزر وسكنوا بعد ذلك كما اشار هو في ”القرى التي نسميها الان Villas بصفة عامة كان يسكنها المسلمون الذين يعيشون على القليل من الطعام ولا يشربون الا الماء، يكتبّون بصفة عامة على زراعة الأرض والحقول“^(٧٤).

٧- قلعة (La Pesa) -:

وصلها الرحالة مورنز وذكرها في رحلته قائلاً أنها "كانت تقع على جبل شاهق كل من كان في القلعة مسلمون" (٧٥) ثم يستدرك قائلاً: "ما عدا حاكم القلعة الذي استضافنا" (٧٦).

٨- مدينة غرناطة Granada

وصلها مورنز في الثاني والعشرين من أكتوبر عام ١٤٩٤م وذكر أنها أكبر مدينة تعج بالمسلمين وكانوا في ذلك الوقت ما زلوا يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم وديانتهم قبل أن ينقض عليهم الإسبان ناكثين عهودهم معهم وقد وصفها قائلاً: "في الثاني والعشرين من أكتوبر، بعد الظهر، دخلنا مدينة غرناطة الرائعة، المزدهمة بالسكان مررنا بشارع طويل جداً، بين أعداد لا تحصى من المسلمين" (٧٧). ثم يسهب في ذكر حياتهم وتفصيلها لاسيما وصف مسجدهم الأعظم وطريقة صلاتهم. ثم يردف قائلاً "واعتقد أنه لا يوجد في كل أوروبا ولا في أفريقيا مدينة أكبر من غرناطة" (٧٨)، وقد اقترح أن تسمى هذه المدينة مملكة أكثر من تسميتها مدينة. وفي غرناطة يسهب مونزر في وصف منازل وتجمعات المسلمين وأحوالهم، ففي معرض حديثه عنهم قال: "كان عدد المسلمين الذين كانوا يقومون بتشديد المنازل هناك كثيراً، وايضاً الذين كانوا يعلمون في إصلاح ما تهدم من القلعة أو الممتلكات الملكية الأخرى، فان ملك غرناطة بعد أن تأكد أنه لا يمكنه مقاومة ملك اسبانيا المسيحي، سمح لهم بهدم الكثير من المباني" (٧٩). وكان هؤلاء المسلمون لا يسمح لهم بالمبيت في الحمراء (٨٠)، بعد أن كانوا سادتها، خوفاً من أن يثيروا الشغب داخلها.

وأشار مرة أخرى إلى عملهم قائلاً "في السادس والعشرين من أكتوبر [١٤٩٤م] عندما كنا هناك، رأينا مسلمين كثيرين يزينون ويرمون الصور والأشياء الأخرى بما يتفق مع أسلوبهم" (٨١). ثم صور لنا صلاة المسلمين في مسجد غرناطة الكبير اذ أنه أشار قبل ذلك إلى العدد الكبير من المساجد فيها حتى أنه قد وجد صعوبة في تصديق هذا العدد (٨٢)، وأذهله منظر المصلين الذين وصلوا إلى المسجد الجامع حتى اكتظ بهم المسجد فخرجوا يصلون في الطرقات وأحصاهم في عدد تقريبي مقدراً أعدادهم بين ألفين أو ثلاثة آلاف رجل" (٨٣)، وهو رقم كبير ويشير إلى الوجود الكبير للمسلمين في غرناطة بعد سقوط دولتهم، وايضاً يستنتج من هذا الموقف أن الإسبان لم يتعرضوا للمسلمين لحد هذا الوقت. ثم وصف مونزر حياً من أحياء غرناطة وهي حي البايسين أكبر أحياء المسلمين قائلاً "تقع مدينة البايسين في جهة الشمال، خارج الأسوار القديمة لمدينة غرناطة، بها شوارع ضيقة، حتى أن بيوتها في معظمها تتلاصق في أعلاها، وعموماً فإنه لا يمكن أن يمر حماران يكونان معا في اتجاهين متضادين في الشوارع

الأكثر شهرة، التي ربما يكون عرضها أربعة أو خمسة أذرع^(٨٤).

ثم وصفها وصفاً دقيقاً قائلاً "بيوت المسلمين في معظمها صغيرة، غرفها قليلة، غير نظيفة من الخارج، شديدة النظافة من الداخل، كلها تقريباً مزودة بأنابيب للمياه وأحواض. وكان من المعتاد ان تكون من الأنابيب والمجاري المائية اثنتان، واحدة للمياه الصالحة للشرب، والأخرى للصرف الصحي والفضلات ... الخ. وكان المسلمون يهتمون كثيراً بهذه الأمور، وكانت تنتشر في كل الشوارع قنوات لصرف المياه غير النظيفة. وكانت البيوت التي ليس بها أنابيب، بسبب ضيق المكان، تلقي بفضلاتها خلال الليل في هذه القنوات. وعلى الرغم من أن قنوات الصرف الصحي ليست كثيرة، فإن الرجال كانوا في غاية النظافة"^(٨٥). ثم عقد مونزر مقارنة بين بيوت المسلمين وبيوت المسيحيين قائلاً "في بلاد المسيحيين كان المنزل يشغل مساحة أكثر اتساعاً من المساحة التي تشغلها أربعة أو خمسة بيوت لدى المسلمين في الداخل البيوت متشابكة ومضطربة، حتى تبدو وكأنها أعشاش خطاطيف"^(٨٦).

ثم فسر ما يشاع عن كثرة بيوت غرناطة التي قيل انها بلغت أكثر من مائة الف بيت^(٨٧)، فهو يعزوا هذه الكثرة الى صغر حجم هذه البيوت .

ثم صور لنا محلاتهم التجارية قائلاً "كانت المحلات والبيوت تغلق بأبواب بسيطة من الخشب، ومسامير، وعصي، كما هي العادة في مصر والمغرب، لان كل المسلمين يتفقون في العادات، مثلما يتفقون في الدين والأدوات، والمساكن وبقية الأشياء"^(٨٨). ويستدرك ان تصميم هذه المنازل إنما هي لعامة المسلمين، بينما أثرياء المسلمين بيوتهم خاصة فهي اكبر وأكثر أناقة قائلاً: "كان النبلاء والأثرياء المسلمون يمتلكون في غرناطة بيوتاً فخمة، لها أفنية وحدائق ومياه جارية ووسائل راحة أخرى"^(٨٩).

وقد احصى مونزر عدد من فرَّ الى غرناطة من سكان المدن المجاورة أيام الحصار الاسباني قائلاً "كانت مدينة غرناطة مكتظة بالسكان، فانه في وقت الحصار فرَّ إليها سكان المدن الاخرى المجاورة التي استولى عليها المسيحيون، ولذلك احتشد في المدينة أكثر من مائتي ألف رجل مسلح من أهل المدينة والفارين اليها من المدن الاخرى"^(٩٠).

ثم أشار الى أعداد المسلمين الذين هاجروا الى المغرب قائلاً "بعد الاستيلاء على غرناطة، وخضوعها للمسيحيين أكثر من أربعين ألف رجل من المسلمين عبروا الى المغرب مع ملوكهم"^(٩١). وتناقص عدد سكان غرناطة بعد ذلك وهُجِّروا من المدن وازداد نفوذ الإسبان في المدن الكبيرة وضواحيها اذ قال مونزر انه "شيئاً فشيئاً تم القضاء على مقاومة المسلمين، حتى تخلصوا منهم جميعاً، وسكنت المدن الكبرى والضواحي بالمسيحيين"^(٩٢).

٩ - مدينة لشبونة Lisboa

في اليوم السادس والعشرين من نوفمبر عام (١٤٩٤م) وصل الى لشبونة وكان قد شاهد قرب قلعة عندها بيوتاً للمسلمين هناك قائلاً: - "بجانب أسوار المدينة، أسفل القلعة مساكنهم ومسجد كنافيه" (٩٣).

١٠ - مدريد Madrid

وصل اليها مونزر في السابع عشر من يناير من عام (١٤٩٥م) وبالرغم من ان هذه المدينة سقطت بيد المسلمين بوقت مبكر وكان ذلك سنة (٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) غير ان مونزر الذي وصل اليها عام (١٤٩٥م) حدثنا عن أنه كان هناك "حيان للمسلمين ممتلآن بهم" (٩٤).

١١ - مدينة اراكوس Arcos

تقع في قلعة مدينة سالم Medinaceli وصل الى القلعة في الثامن والعشرين من سنة (١٤٩٥م) وبالتحديد الى "مدينة صغيرة تدعى اراكوس Arcos، كان كل من فيها من المسلمين، الذي أحسن استقبالننا، من اجل أموالنا" (٩٥).

نلاحظ انه رغم كرم هؤلاء المسلمين معه إلا انه يقول ان هذه الاستضافة كانت من اجل المال وهو نوع من التعصب لبني جلدته اذ ان كل الصفات الحسنة يسبغها عليهم وهو ما رأيناه في طول ما كتبه في رحلته عنهم، أما المسلمون فهو يتهمهم اينما وجدهم.

١٢ - قلعة وحسن سرقسطة الجعفرية

في هذه المدينة يوجد رضى المسلمين شاهداها مونزر بنفسه ووصفها قائلاً: "للمسلمين مكان مخصص ومدينة يعيشون فيها، أسفل دير الرهبان، في القسم الجديد من المدينة، في بيوت جميلة ونظيفة، وأماكن للبيع، ومسجد رائع" (٩٦).

ثم يسترسل في وصف عام لتواجد المسلمين قائلاً: "توجد قرى كثيرة وكبيرة يقطنها المسلمون فقط، في بعض الأقاليم حيث يمكن ان يعيش ستون مسلماً في راحة، لا يستطيع ان يعيش في المساحة نفسها إلا خمسة عشر مسيحياً فقط يعتنون جدا بري الأرض وزراعتها، زاهدون في الطعام يخفون ثروات كبيرة" (٩٧).

ثالثاً: حياة المسلمين الدينية ومساجدهم

كان المجتمع الأندلسي أيام حكم العرب المسلمين لإسبانيا حكم قائم على الشريعة الإسلامية والمحافظة على الإسلام كهوية تميزهم عن غيرهم، واحتفظ المسلمون بعاداتهم وتقاليدهم الدينية حتى مع سقوط حكمهم الإسلامي قبل أن تتسلط عليهم محاكم التفتيش سيئة الصيت، فعندما شاهد مونزر جموع المسلمين في إسبانيا والبرتغال نقل ألينا مشاهداته حول مناسكهم وجوامعهم وكيفية أدائهم لمناسكهم. فأول ما شاهدته مونزر من ملاحظات حول المسلمين وأدائهم لشعائهم الدينية موعد صلاة المسلمين فقد أشار إلى أن مواعدها "كل صباح، قبل شروق الشمس بساعتين، في بهجة الصباح وكذلك عند الظهر والمساء"^(٩٨). ويضيف قائلاً: "سمعتهم عند الظهر يؤذنون فوق مآذنتهم، على حسب عاداتهم"^(٩٩). ويفصلها قائلاً: "يصعد رجال الدين إلى المآذن، ويرددون بصوت عالٍ "الله أكبر، وقادر على كل شيء، ومحمد رسول الله"^(١٠٠).

وهو يشير بذلك إلى مقدمة الأذان التي عرفها المسلمون وقد نقلها بمعناها وليست بكلماتها المخصصة بهذا المجال.

ثم استمر بذكر تفاصيل تهيء للمسلمين للصلاة ابتداء بالوضوء وقد أشار إليه حسب وصفه لهم قائلاً: "قبل الصلاة يغسلون أقدامهم، وأيديهم وعيونه والشرح والخصيتين"^(١٠١). وهي إشارة لوضوئهم بالإجمال وحسب ما نقله وحسب ثقافته المسيحية، وكان من عادة المسلمين أن يجعلوا نافورة في الجامع يتوضأ منها المسلمون وقد شاهدها مونزر تتوسط حديقة مسجد المرية قائلاً: "وفي وسطها [حديقة المسجد] توجد نافورة التي على حسب طقوسهم كانوا يغتسلون فيها ثم يدخلون إلى المسجد للصلاة"^(١٠٢). ونتيجة لاندحاشه وتعجبه مما رأى فقد فصل القول بكل ما شاهده من ممارسات المسلمين في المسجد، وربما هو لم يشاهد مسلمين بهذا العدد الكثيف يمارسون صلاتهم، لذلك استمر بسرد تفاصيل أدائهم للصلاة لاسيما في يوم الجمعة، التي كانت بمثابة عيد المسلمين وعطلة كما أشار مونزر^(١٠٣) وفي هذا اليوم اعتاد المسلمون على الذهاب إلى مسجد البياسين الأعظم في غرناطة بأعداد كبيرة جداً قدر عددهم بأكثر من الفين أو ثلاثة آلاف رجل قائلاً "أقربنا من المسجد الأعظم، في وقت الظهر ولأنه كان يوم الجمعة، وهو عيد عند المسلمين، رأيت كثيراً من المؤذنين يعلنون الصلاة من على المآذن، وسارع عدد أكبر من المسلمين بالحضور، وعندما امتلأ المسجد بهم اضطرب كثير منهم إلى البقاء في الخارج، اعتقد أنه كان يوجد أكثر من الفين أو ثلاثة آلاف رجل، ونحن واقفون بجانب الباب، نتابع شعائهم، رأينا إمامهم الأعظم يجلس على مقعد عالٍ يلقي خطبة دينية لمدة نصف ساعة تقريباً. بعد ذلك وبإشارة منه لرجال الدين الآخرين وهم وقوف، كانوا يحنون رؤوسهم،

ويسجدون على الأرض، كما يفعل رهباننا في الاجتماعات [ربما أراد من خلال هذه المقارنة ان يوصل طريقة المسلمين في صلاتهم لأذهان مواطنيه]، مالوا نحو الأرض، ومن جديد وبإشارة أخرى انطلقوا في صلاتهم، وقاموا ووصلوا الصلاة في ورع عظيم، كانوا حفاة الإقدام. وهكذا قاموا وسجدوا على الأرض ثلاث مرات، واخيراً وقفوا وأنهوا الصلاة، ثم مضى كل واحد منهم الى عمله^(١٠٤)، ثم أشار إليهم مرة أخرى قائلاً أنهم يظهر الحزن في أذانهم^(١٠٥)، وهذا الحزن الذي أشار اليه مونزر هو الترتيل في أذانهم. وأشار الى دور الإمام في إمامة المصلين وواجبه قائلاً: "بإشارة من الإمام يحنون أولاً الرأس، يضربون الصدر [ليس ضرب، الصدر بمفهوم الضرب، وإنما هي طريقة التكتف في صلاتهم وذلك بان يضع المسلم يديه على صدره في الصلاة] ثم يسجدون في الأرض ويبتهلون، ثم يقفون من جديد، يعملون هذا ثلاث مرات، ويؤمنون إيماناً مطلقاً إنهم بعملهم هذا ستغفر خطاياهم وذنوبهم".^(١٠٦) ثم يعترف على مضض ورغم تعصبه الدينية قائلاً: "في الحقيقة إنهم مخلصون في توقير الله حسب عاداتهم"^(١٠٧).

وذكر ان رجال الدين كانوا "يرتدون البياض"^(١٠٨)، وكذلك أشار الى مساجد المسلمين ومشاهدها الكثيرة وقد اورد معلومات كثيرة عنها فعلى امتداد رحلته في اسبانيا والبرتغال، كان يذكر مساجد المسلمين وإعجابه الكبير بها وبزخرفتها وعمرانها، ومن ثم ذكر ما حوّل منها الى كنائس بناءً على الأوامر التي صدرت بتحويلها، فعند ذكره لمسجد المرية قال: "المسجد تحول الى كاتدرائية المرية كان واحداً من أكثر المساجد جمالاً في كل مملكة غرناطة"^(١٠٩) ثم استمر في وصفه قائلاً: "كان هذا المسجد عجباً وعظيماً، انه رائع جداً يستند الى أكثر من ثمانين عموداً على عهد المسلمين، كان يوقد فيه أكثر من ألف مصباح طول اليوم. زرنا غرف الزيت المهداة الى المسجد، والغرفة السرية التي كانت مخصصة للإمام"^(١١٠) وهو بذلك ومن خلال إشارته الى أعمدة المسجد الثمانين فهو يشير الى كبر حجم المسجد، ثم ووصف الحدائق التي كانت فيه قائلاً: "في وسط المسجد توجد حديقة واسعة مربعة الشكل، مغروسة بأشجار الليمون وبالأشجار الاخرى أرضها مغطاة بالرخام، وفي وسطها توجد نافورة، التي على حسب طقوسهم، كانوا يغتسلون فيها ثم يدخلون الى المسجد للصلاة، المسجد جميل جدا طوله مائة وثلاث عشرة خطوة، وعرضه اثنتان وسبعون"^(١١١) ثم ذكر ان هذا "المسجد تحول الى كنيسة مكرسة للسيدة مريم العذراء، ومقر اسقفي لحوالي عشرين راهباً"^(١١٢).

وبعد وصوله الى مدينة وادي اش شاهد جمال مسجدها وهو هذه المرة سداسي الأضلاع بحسب ما نقل قائلاً: "مسجدها جميل جدا، سداسي الأضلاع، به سبعون عموداً كاملة، وفي وسطه حديقة جميلة تنوسطها نافورة للوضوء حسب التقاليد الإسلامية"^(١١٣).

ومن بعد ذلك أشار الى تحوله الى كنيسة على أيدي الإسبان بعد سقوط سلطته غرناطة قائلاً: “هذا المسجد تحول اليوم الى كنيسة مكرسة للسيدة مريم العذراء، بها أسقف واثنان عشر كاهناً”^(١١٤).

وعند وصوله الى غرناطة في (٢٢) أكتوبر سنة (١٤٩٤ م) أذهله كثرة مساجدها وانتشارها في المدينة التي كان عددها بحسب ما أحصاه هو أكثر من مائتين مسجد صغير^(١١٥). وبعد ان تجول في غرناطة هاله عدد المساجد فيها فبعد صعوده مئذنة احد جوامع اليباسين قال: “ومن هناك أحصيت عدداً من المساجد وكان من الصعب علينا تصديق هذا العدد”^(١١٦).

وقد كان قاصداً مسجد غرناطة الكبير تشده الرغبة في ذلك، ويبدو انه كان قد سمع حول فخامة هذا المسجد وروعة بنائه ما جعله يرغب بشدة في زيارته حتى انه أطلق عليه مسجد غرناطة الأعظم وهذه التسمية كانت شائعة عند أهل غرناطة ونراه قاصداً له وراعياً فيه قائلاً عنه “في زيارة مسجد غرناطة الأعظم وللدخول كان علينا ان نخلع أحذيتنا، اذ في هذا الوقت سقطت الامطار، وكان الشوارع مغطاة بالوحل”^(١١٧).

ثم أشار الى أثاث المسجد بعد دخوله قائلاً: “كانت كل أراضي المسجد مغطاة بحصائر لطيفة من الاسل الأبيض”^(١١٨). ومن ثم بعد ذلك ذكر طول المسجد وعرضه قائلاً: “عرض المسجد ست وسبعون خطوة وطوله مائة وثلاث عشرة وفي وسطه فناء به نافورة للوضوء، وتسعة أروقة، في كل رواق يوجد ثلاثة عشر عموداً ضخماً، وأربعة عشر عقداً، بالإضافة الى الأعمدة الجانبية”^(١١٩).

وبعد ان انتقل الى الحمراء وشاهد عظمة قصورها وحدائقها أشار الى مسجد هناك وصفه بالعظيم قائلاً: “يوجد في الحمراء أيضاً مسجد عظيم”^(١٢٠). ثم ذكر بعد ذلك انه حوّل الى كنيسة قائلاً: “كرس [هذا المسجد] ألان للسيدة مريم العذراء ومقرّاً للرئيس الأساقفة”^(١٢١). وفي حي اليباسين أيضاً أبدى مونزر إعجابه بمسجد من مساجدها وهو اصغر من مسجد غرناطة الأعظم ولكنه حسب قوله أكثر جمالاً منه فقال: “يوجد مسجد جميل به مئة وثمانين عموداً، مساحته اصغر من مسجد غرناطة الأعظم، ولكنه أكثر من جمالاً به حدائق جميلة غنية بالزيتون”^(١٢٢). وأثناء توجهه نحو المدينة وعلى قمة الجبل وأمام الحمراء شاهد “مسجداً آخر، جميلاً، ولكنه ليس كبيراً... رأينا في حديقته شجرة زيتون هائلة، اكبر من شجرة البلوط، محملة بالزيتون”^(١٢٣). وبعد ذلك أشار وحسب ما ترتب على سقوط غرناطة الى ان هذا المسجد حول الى كنيسة قائلاً: “استولى عليه الأسقف من المسلمين بأمر الملك وحوله الى كنيسة مكرسة لسان خوسية ومريم العذراء ووقفه على الاكليروس”^(١٢٤). وفي مدينة مالقة التي وصلها في التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٤٩٤ م شاهد هناك مسجداً كبيراً وفيه قال “ومسجد

عظيم به مائة وثلاثة عشر عموداً كاملاً”^(١٢٥)، تحول فيما بعد الى مركز أسقفى^(١٢٦).

أما مدينة اشبيلية التي وصلها في الرابع من نوفمبر من عام (١٤٩٤م) فشاهد مسجدها الأعظم وقد حول الى كنيسة قائلاً: “صعدت الى أعلى برج من كنيسة السيدة مريم العذراء التي كانت المسجد الأعظم على عهد المسلمين”.^(١٢٧) وكذلك “من بين الآثار التي توجد بها من العهد الإسلامي، مسجد ضخم، لا تزال حديقته وثلثاه باقين الى الآن، كان طول المسجد مائتين وخمسين خطوة وعرضه مائة وتسعون، طول الحديقة اليوم مائة وأربعون خطوة بقياسنا. يوجد في وسطها نافورة جميلة جداً. كان المسلمون يستحمون فيها”^(١٢٨). وهو وصف دقيق لحجم المسجد واتساعه والآثار الأخرى ومنها النافورة التي كانت تستخدم للوضوء أثناء الصلاة التي عبر عنها بالاستحمام جهلاً منه بآداب الوضوء للصلاة.

وفي البرتغال وتحديدًا في مدينة لشبونة كان هناك مسجد للمسلمين يقع بجانب أسوار المدينة أشار اليه مونزر في مشاهدته لجغرافية المدينة^(١٢٩).

وآخر ما ذكر من مساجد المسلمين هو مسجد سرقسطة وقد حول الى كنيسة وصفها قائلاً: “الكنيسة واسعة جميلة ومشيدة في غاية الكمال ... كانت فيما مضى مسجداً للمسلمين”^(١٣٠) ثم أشار الى مسجد آخر قديم حول ايضاً الى مصلى قائلاً: “واليوم يوجد في الرواق مسجد قديم يوقره المسلمون توقيراً عظيماً. الآن أصبح مصلى مكرساً للسيدة مريم”^(١٣١).

من خلال هذا العرض لمشاهدة مونزر في شبه جزيرة ايبيريا حول المساجد نلاحظ انها كانت، تقريباً، مصممة بنفس الأسلوب حيث الأعمدة توحد تصميمها وتختلف فقط من حيث الكبر والصغر بالنسبة للمسجد، وتوجد الحداثق المحيطة بالمساجد التي ما ان يذكر المسجد يذكر حداثقه التابعة له، وايضاً الأمر المهم في المسجد هو النافورات التي كانت توفر الماء للمصلين لغرض الوضوء فلا يخلو مسجد منها نظراً لأهمية الوضوء في الصلاة، وكان المسجد يضاء بواسطة المصابيح التي تزين المساجد^(١٣٢)، اذ شاهد مونزر نواقيس غنمها المسلمون من المسيحيين قاموا بثقبها في مواضع كثيرة وعملوا في تجويفها دوائر كثيرة بشمعدانات صغيرة، يضعون فيها مصابيح صغيرة، حتى انه كان في ناقوس واحد فقط ثلثائة مصباح صغير، وفي المساء يوقد ألفان أو أكثر من المصابيح الصغيرة، واهم تلك المصابيح مصباحان كبيران مضاءان أمام المذبح، مصنوعان من زجاج ملون، جلبها المسلمون من مكة^(١٣٣).

وأشار الى ان مساجد المسلمين تخلو من أي صور وتماثيل معزياً ذلك الى تحريمها من قبل

المسلمين قائلاً ” لا توجد في مساجدهم أية صور وتماثيل، التي تحرمها شريعة محمد “^(١٣٤)، ثم يعقد مقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة كما هو حاله في رحلته اذ يحاول دائماً المقارنة بين الديانتين المسيحية والإسلامية لكن هذه المرة أشرك الديانة اليهودية معها فبعد ان ذكر تحريم الإسلام للتماثيل والصور أردف قائلاً ” كما حرمتها الشريعة الموسوية “^(١٣٥)، في إشارة منه الى تحريم اليهودية للصور والتماثيل، ثم ذكر توافق حكم المسيحيين الايجابي بالنسبة لإباحتهم للرسم ونحت التماثيل معللاً ذلك بأنه بمثابة الكتابة الدينية ومتحدثاً عن نفسه وأبناء دينه ” نحن نبيع الصور والرسوم، لأنها تكون مثل الكتابات الدينية “^(١٣٦).

ويظهر من خلال مشاهدات مونزر حول المساجد ان المسلمين يعتنون اعتناء كبيراً بمساجدهم ونظافتها بحسب ما أملى عليهم دينهم من الاهتمام بالنظافة اذ توجد منشآت صحية متكاملة بالقرب من المساجد ابتداء من أماكن الوضوء وحتى المرافق الصحية اذ انه عند حديثه عن مسجد غرناطة الأعظم ذكر هذه المنشأة بقوله: ” خارج هذا المسجد يوجد بناء في وسطه حوض طويل جداً من الرخام طوله عشرون خطوة، يغتسل فيه المسلمون قبل دخول المسجد، حول البناء توجد مباني صغيرة مزودة بأنابيب لصرف المياه، كانت لها فتحة على سطح الأرض في طول ذراع وعرض شبر يمضي الماء الجاري تحتها، يوجد كذلك حوض صغير للتبول. كل هذا شيد بعناية ودقة مما يثير الإعجاب ويوجد ايضاً بئر جميل لماء الشرب “^(١٣٧).

بقي ان نذكر ان مباني تلك الفخامة وتلك الإمكانيات الكبيرة في الإتقان قد أثارت تساؤلاً غير مباشر من قبل مونزر وهو طريقة تمويل هذه المساجد، فذكر انه يتم الإنفاق عليها من أوقاف تلك الساجد اذ انه عبّر عن تلك النفقات بانها نفقات ” غير عادية “^(١٣٨) لكثرة الإنفاق على المساجد.

وذكر هذا أولاً بخصوص مسجد المرية السالف الذكر، وما أوقف له من أراضي زراعية خُصص ريعها للإنفاق على المسجد ويفهم من خلال كلامه هذا ان المسجد بعد ان حول الى كنيسة صادر الإسبان الأراضي الوقفية التابعة له ايضاً. فصارت إيرادات المسجد بالأمس إيرادات للكنيسة اليوم وحدد مقدار تلك الإيرادات وعائديتها بقوله: ” على عهد المسلمين كان له [مسجد المرية] إيراد سنوي من ممتلكاته من الحقول والبساتين، يبلغ ستاً وستين ألف دوقية، الان أصبحت بالكامل للكنيسة “^(١٣٩) ثم ذكر ان هناك مساجد ايضاً تُجمع إيراداتها - بعد ان حولت الى كنائس - لصالح الأسقف قائلاً حول هذا الموضوع ” بالمرية ايضاً مساجد أخرى كثيرة صغيرة التي إيراداتها بالكامل، يحصلها الان الأسقف والاكليروس كما تجمع إيرادات الكاتدرائية “^(١٤٠).

رابعاً : النشاط الاقتصادي

يعد حكم المسلمين للأندلس طول ثمانية قرون نقطة تحول بتاريخ اسبانيا لاسيما الاقتصادية منها، اذ عُرف عن العرب بحضارتهم المتقدمة أنهم استطاعوا الانتقال بإسبانيا من عصر التخلف والانحطاط الى عصر الحضارة والرقى فكانت الأندلس الإسلامية بوابة أوروبا الاقتصادية اذ مثلت صادراتها مصدراً مهماً لاوروبا في ذلك الوقت ولأهل الأندلس بكل مكوناتهم الدينية. اذ مثلت الزراعة واحدة من أهم ما اشتهر به العرب فيها، اذ ادخلوا بعض المحاصيل الزراعية التي لم يكن يعرفها أهل الأندلس من النصارى مثل القطن وقصب السكر الحمضيات والليمون والبطيخ وغيرها^(١٤١). واهتموا بالموارد المائية ونظموا عملية السقي بأسلوب مبتكر أعجب به الإسبان. ولاحظ مونزر بعضاً من النشاط الاقتصادي الذي مارسه المسلمون في اسبانيا وطبقاتهم الاقتصادية وسجل إعجابه بهم على الرغم من انه دائم الانتقاص منهم مركزاً على إبراز فضل الإسبان في كل المجالات فعند مروره بحصن (Ginestar) (Genser) الذي يقع على شاطئ نهر ايبرو Ebro في أكتوبر من سنة (١٤٩٤م) شاهد على ضفتي النهر "قرى كثيرة للمسلمين الذين كان الأمراء يعاملونهم معاملة طيبة، لأنهم كانوا عمالاً نشطين في الزراعة"^(١٤٢). وهو بالفعل ما اشتهر عن الفلاحين المسلمين، اذ كان غنى أصحاب الأرض يتوقف على ان تكون الأرض يعمل فيها المسلمون. اذ انتشر مثل اسباني في هذا المجال "من ليس لديه مسلمون، ليس لديه ذهب"^(١٤٣).

وفي غرناطة التي تشتهر بالبساتين الكثيرة تجده يقف موقف المتعجب والمتحير من جمالها نفى ان يكون هناك بساتين بجمالها. وهو على عكس ما نراه في باقي رحلته اذ عندما يشير الى جانب من مشاهداته في اسبانيا نراه يقارنه مع ما رآه ببقية البلاد الأوربية الاخرى لاسيما ايطاليا، ثم نراه بعد ذلك يثني ثناءً كثيراً على تنسيق الحدائق التي اعتنى بها المسلمون اذ قال متعجباً "أوه يا لجمال هذه الحدائق عندما كانت تحت أيدي المسلمين الذين كانوا ماهرين في تنسيق البساتين والفاكهة"^(١٤٤).

وفي إشارة منه الى أفضلية المسلمين المطلقة ومهارتهم في الزراعة عمن سواهم قال "تأملت هذه البساتين التي لا توجد اكثر منها جمالاً كان المسلمون عاشقين جداً للبساتين، كما كانوا ماهرين في زراعتها وريها، حتى انه لا يوجد أفضل منها"^(١٤٥). وذكر ان يوجد خارج أسوار الحمراء "على قمة الجبل يمتلك الملك بستاناً فاخراً وشهيراً حقاً، به نافورات وأحواض، وجدول جميلة، من إنشاء المسلمين، ولا يوجد أجمل منها"^(١٤٦).

وقد اشتهر المسلمون الأندلسيون بزراعة العنب، وكان العنب يعد من أشهر صادراتهم في ذلك

الوقت ”وكانت السفن المحملة بالزبيب المجفف والمعد إعداداً طيباً بواسطة المسلمين تبحر الى اوروبا حتى انجلترا، وفرنسا والمانيا وايطاليا دول اخرى“^(١٤٧).

وفي مدينة لقنت Alicante لاحظ مونزر انها كانت تنتج ”زبيب العنب في واد على الساحل مأهول بالمسلمين، بكميات كبيرة، ينتج منه في كل عام من عشرة الى خمسة عشر الف ثنتاين Centenarios ويصدر الى كل دول اوروبا“^(١٤٨) ثم يعقب ”ينتج زبيب العنب في أماكن أخرى بين بلنسية ولقنت، لكن زبيب لقنت كان الأكثر شهرة“^(١٤٩).

واشتهرت ايضا غرناطة بإنتاج العنب اذ كان أهلها ”يعدون كميات كبيرة من زبيب العنب“^(١٥٠). وقد شرح مونزر طريقة عمل الزبيب بحسب ما شاهده في مدينة لقنت اذ قال ”يعدون الزبيب بالطريقة الآتية في أغسطس، عندما تكون عناقيد العنب قد نضجت، يعد المسلمون ماء ساخناً لعناقيد الكرم والشجيرات الاخرى، حيث يتركونه فيها لمدة ثمانية أيام، وفي النهاية، يقومون بغليه في غلاية كبيرة وبواسطة مصفاة كبيرة من الحديد المثقوب يضعون العناقيد في الماء المغلي، كل العنب الفاسد يسحب بواسطة هذا الماء ولا يبقى في العنقود ثم يخرجونها ويضعونها لتجف في الشمس لمدة ثمانية أو عشرة أيام على حصيرة من الاسل، وأخيراً يضعون العنب في انيه أو سلال من الحلفاء، وبذلك يكون قد أعد للبيع“^(١٥١).

اما معاصر الزيت المنتشرة في اسبانيا فقد شاهد احداها مونزر في ربض المسلمين في مدينة سرقسطة، اذ وصفها قائلاً: ”في ربض المسلمين توجد معصرة فخمة وضخمة للزيت، انه عمل هائل، يارسونه بهذه الطريقة: لديهم رحي كبيرة يجرها حصان أو بغل في دورات عاصرة الزيتون، كما يفعلون مع الاسليخ La Gualda في إرفورت Erfurt. بعد ان يجمعوا عشرة او اثنتي عشرة سلة من الحلفاء، المملوءة بالزيتون، يضعون الواحدة فوق الاخرى أسفل المعصرة، يعصرونه، ويضيفون اليه باستمرار ماء ساخناً، الذي ينظف الزيت، الذي يصب في اناء معلق تحت المعصرة، انه عمل الدواب“^(١٥٢).

وترتب على اشتغال المسلمون بالفلاحة دفع الضريبة للإسبان، وقد أشار مونزر في اكثر من مكان الى ان المسلمين كانوا يدفعون ضرائبهم باستمرار وانتظام وبكثرة اذ ذكر ذلك قائلاً: ”ويحصلون منهم [أي الإسبان] على ضرائب كثيرة“^(١٥٣).

ويبدو ان هذه الضريبة قد شملت جميع المسلمين بدون استثناء وهو ما ذكره مونزر بقوله ”وكل المسلمين يدفعون الضريبة الى سادتهم“^(١٥٤).

ويبدو ان الإسبان كانوا يعولون على تلك الضريبة اذ ان المسلمين كانوا ماهرين بالزراعة وترتب على

ذلك وفرة بالمحاصيل الزراعية التي يحصل منها الإسبان على ضرائبهم التي تصل الى ربع المحصول، ولاحظ مونزر هذه الحالة في اراغوان قائلاً: "فان مملكة اراجون بها الكثير من المسلمين أنهم نشيطون جداً في فلاحه الأرض، النبلاء يحصلون منهم على ضرائب عالية، عبارة عن ربع المحصول غير المغارم الاخرى" (١٥٥).

جاءت تلك الخبرة لدى المسلمين في زراعة الأرض نتيجة لاهتمامهم الكبير بالأراضي الزراعية اذ كانت تعد المصدر الرئيس في معيشتهم طوال ثمانية قرون من زراعة الأراضي في اسبانيا وايضا اهتمامهم الكبير بتنظيم قنوات الري ويقال "إن أساليب الري في اسبانيا الإسلامية قد انتشرت ووصلت الى رويسون (١٥٦) في منتصف العصور الوسطى" (١٥٧) وبالجملة فإن "نظام الري صغيره وكبيره لا يزال يحمل في منشأته وفي اللغة القشتالية طابع العهد الإسلامي" (١٥٨)، وعلى هذا الأساس فقد بنى الإسبان قنوات ريهم على نمط قنوات الري الإسلامية، اذ شاهد مونزر ان الإسبان قد بنوا ثلاثة أديرة قائلاً: "اعطاهم الملك موقعاً مناسباً في المدينة، به بيوتات جميلة وحنائق رائعة ومجار مائية وقنوات، كلها على النمط الإسلامي، القسم الأكبر من هذه البيوت كانت له آبار وقنوات للسما العذب، وأحواض من الحجر والجص والمواد الاخرى للسباحة، فان المسلمين ماهرون جداً في إنشاء المجاري المائية" (١٥٩).

خامساً : الجانب العمراني

أكثر ما لوحظ على العرب أثناء وجودهم في الأندلس هو اهتمامهم الكبير بالجانب العمراني فقد انشؤوا الحصون والقلاع لطبيعية حياتهم التي عاشوها جنباً الى جنب مع عدوهم الاسباني، وبنوا كذلك قصورهم التي عُدت في ذلك الوقت ضرب من الجمال بالنسبة لجيرانهم الأوربيين، التي اهتموا بها وزخرفوها بما ينسجم مع حضارتهم الراقية آنذاك، اذ لاحظ مونزر في رحلته ولاسيما بعد وصوله الى مدينة المرية في الثامن عشر في أكتوبر عام ١٤٩٤ م ان كل ما يوجد في هذه المدينة هو مدعاة لدعايات اذ يقول حول ذلك "وعندما اقتربنا من المدينة مضينا نتأمل بساكنيتها الجميلة، واسوارها، وحماماتها، وأبراجها، وقنواتها المنشأة على النمط الإسلامي، التي لا يوجد أجمل منها" (١٦٠). وكذلك اهتم المسلمون بأسوار مدنهم اذ لاحظ مونزر أنها أسوار كانت مبنية بإحكام لاسيما أسوار مدينة طليطلة قائلاً: "يا لها من أسوار قوية جداً، من إنشاء المسلمين، وكم هي حصينة بالطبيعة والفن" (١٦١).

وكذلك أعجب بأسوار سرقسطة اشد الإعجاب اذ نراه يقول فيها "أسوار المدينة حصينة وفي غاية المناعة، مبنية من الأحجار والطين، تثير الدهشة، أسسها المسلمون في عصرهم" (١٦٢).

أما القصور التي شاهدها مونزر في رحلته فهي أولاً تحفة المسلمين في الأندلس وأعجوبة الدنيا آنذاك قصر الحمراء الذين وصفه بإسهاب كأنها يصف قصرًا من الجنة قائلاً: "رأينا هناك قصوراً لا

تعد، أرضها مغطاة بالرخام الناصع البياض، وحدائق غناء تزينها أشجار الليمون والرياحين، وحوض ماء، وأسرة من الرخام على الجوانب، وأربع عشرة غرفة مليئة بالسلاح، مثل الرماح، والأقواس، والسيوف، والدروع والسهام، غرف نوم فاخرة وحجرات، في كل قصر، أحواض كثيرة من الرخام الناصع الأبيض، الكثير منها كان أكبر من التي توجد من مقربة من سان اوجستين، تفيض بالمياه، غرفة حمام مقببة فخمة جداً أوه لا يوجد أجمل منها في وسط أحد الأبهاء حوض كبير من الرخام، يستند على ثلاثة عشر اسداً منحوتة أيضاً من رخام ناصع البياض، تمج المياه من أفواها عن طريق الانابيب. توجد لوحات كثيرة من الرخام طولها خمسة عشر قدماً وعرضها سبع أو ثمان، وأخرى مربعة، من عشرة أو احد عشر قدماً لا اعتقد انه يوجد شيء مثل ذلك في كل اوروبا^(١٦٣).

ونراه بعد ذلك يفصل الكثير من معالم هذه القصور التي وقف منها موقف المتعجب لم يرَ في كل اوروبا نظيراً لتلك القصور حسب ما أورده هنا غير انه في النص المتقدم يتكلم عن ثلاثة عشر أسداً في فناء الأسود مع ان المعروف والمشهور والموجود هو اثنا عشر أسداً وليس كما ذكر، وهو ما وقع فيه من أخطاء في هذا الموضوع، والكلام عن قصر الحمراء كلام كثير نكتفي بما أوردنا في أعلاه.

أما عن قصر اشبيلية الذي أنشئ على يد الملك الفونسو Alfousو العاشر أو العالم فقد ذكره قائلاً: ”هذا القصر هائل ولا يقل في اتساعه عن قلعة الحمراء. أسس على نفس النمط بأفنيته وغرفة، وحجراته ومعارف مياهه مزين بالذهب والعاج والرخام الجيد“^(١٦٤)، وهذا القصر هو في الأساس قصر المعتمد بن عباد^(١٦٥)، وسع وبني من قبل ملوك الإسبان، الذي عرف بالكازار Alcazar الذي كان المدجنون أساساً في بنائه^(١٦٦).

وكذلك فقد شاهد مونزر قلعة وحصن سرقسطة ”قلعة حصينه وقديمة أقامها المسلمون، أصلحها وجدها حالياً الملك فرناندو“^(١٦٧)

وكان مما شاهده مونزر في رحلته تلك ”مستشفى البهاق وبيت المهد وبيت المجانين، التي كان المسلمون قد أقاموها“^(١٦٨)، والأندلسيون والمغاربة يستعملون كلمة بيمارستان للأمراض العصبية فقط^(١٦٩). والبيمارستان كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض (وستان) بمعنى مكان أو دار المرضى، ثم اختصرت^(١٧٠). في الاستعمال فصارت بيمارستان، وهو ما شاع بالأندلس بهذا المفهوم اذ ان البيمارستان الموجود في غرناطة كان للأمراض العصبية، والعرب كانوا اصحاب الفضل في إدخال المستشفى الى اسبانيا وفيما بعد اخذ هؤلاء الإسبان فكرة بناء المستشفيات من العرب^(١٧١).

سادساً : الأحوال السياسية

عاشت شبه الجزيرة ايبيريا تحت سيطرة المسلمين زهاء ثمانية قرون وطول تلك الفترة كانت الأراضي الإسلامية في تناقص مستمر نتيجة لنشاط حركة (الاسترداد) من قبل الإسبان وصولاً الى ان انتهت الأندلس الى حدود ما يسمى الأندلس الصغرى وظهور سلطنة غرناطة التي لم تستمر أكثر من مائتين وخمسين سنة، جرى في أواخر أيام حكم ملوكها تسلمها عن طريق السلطان أبي عبد الله الصغير بموجب معاهدة عقدها مع ملكي اسبانيا فرناندو وايزابيلا.

في البداية ذكر لنا مونزر أحداث تلك الفترة حسب معاصرين لها اذ ذكر ان فرناندو عمل على انتزاع غرناطة بشتى الطرق اذ تمكن " في خلال عشرة أعوام من إخضاع كل غرناطة، قسم منها بالقوة، والقسم الآخر بالاستسلام وقسم بالاتفاقيات، وقسم بالذهب والفضة التي رشاها كثيراً من حكام القلاع المسلمين، بطريقة جعلتهم يسلمونها اليه، ويفرون الى المغرب " (١٧٢). وبعد ذلك ذكر مأساة هؤلاء وما جرى عليهم اذ ان الإسبان " بدأوا في قطع الإمدادات عنهم، فماتوا في الطريق نتيجة للجوع الشديد " (١٧٣).

وكانت خطة ملك قشتالة تقضي باحتلال المدن والقرى القريبة من غرناطة كبداية لإسقاطها اذ شرح لهم كيفية ذلك بقوله: " استدعى ملك قشتالة اليه النبلاء والأمرءاء، ووضع على الأرض بساطاً، ووضع في وسطه صينية من الفضة قد ملئت ذهباً، قائلاً من يتمكن من الوصول الى الصينية دون ان يسطأ البساط، أعطيته ما تحويه من ذهب، ولما لم يتمكن احد من ان يفعل ما عرضه الملك بدأ الملك في طي البساط قليلاً قليلاً، ودفع بالصينية خارج البساط، واخذ الذهب، وقال المدن القريبة والضواحي تكون البساط وغرناطة هي الصينية التي يوجد بها الذهب ومضى ملك قشتالة في الاستيلاء على تلك المدن، وأخيراً سقطت غرناطة بين يديه " (١٧٤).

وقد ذكر مونزر الكثير من التفاصيل حول احتلاله لغرناطة نتجنب ذكرها لطولها ونكتفي بان جهود ملك اسبانيا قد تكلفت بالنصر دخل غرناطة منتصراً في ٦ يناير من عام ١٤٩٢م بعد حصار طويل ذكره مونز باختصار قائلاً: " بعد ان اشتد الحصار على غرناطة من شهر مايو حتى أول يناير، أنهكهم الجوع، حتى صاروا يأكلون البغال والكلاب، والخيل والفئران والحيوانات الأخرى، أخيراً وفي اليوم السادس من يناير من عام ١٤٩٢م دخل الملك فرناندو منتصراً وأعلن ملكاً على غرناطة " (١٧٥).

غير ان مجموعة من المسلمين لم تستسلم وحاولت الانقضاض على الملك وجيشه الا أن تلك المحاولة باءت بالفشل، اذ يذكر مونزر انه " وعند الفجر قامت جماعة من اكثر من مائتي ألف مسلم

بمحاولة لصد الجيش الملكي الذي لم يكن تعداده عندئذ يتعدى أربعين ألف رجل، لكن أقول القمر غير المتوقع اعتبره المسلمون فألاً سيئاً، الى جانب انخفاض روحهم المعنوية، فعادوا القهقري وانتهى الأمر بالاستسلام^(١٧٦).

ويبدو ان عدد المسلمين فيه نوع من المبالغة من قبل مونزر أو من روى عنه في محاولة لإظهار مدى قوة الإسبان أو التسديد الإلهي لانتصارهم .

وقام الإسبان من اجل التشديد على المسلمين عند حصارهم لغرناطة أكثر وأكثر ببناء مدينة تقابل غرناطة أسموها سانتافي santa fe أي الإيمان المقدس^(١٧٧) وبناء هذا المدينة ما هو إلا إتباع سياسة عربية إسلامية في مثل هذه الظروف.

وأشار مونزر كذلك الى الهجوم “على الحامة، وطردها منها المسلمين، واستولى عليها”^(١٧٨).

وكذلك فقد ذكر سقوط قلعة موكلين El Castillo de Moclin اذ ذكر ان الجانب الاسباني قد استخدم القذائف النارية في هذه المعركة مشيراً الى فرناندو ومهاجمة هذه القلعة قائلاً: “هاجم قلعة موكلين بمجموعة كبيرة من الرجال ومن المحاربين الماهرين ونجحوا في تحطيم أسوارها بالكبش والمنجنيق وبمهراس، حيث القوا على برج عالٍ صخرة ضخمة مليئة بمسحوق. ستة عشر رجلاً من المسلمين جاءوا مع ضوء الفجر الى المكان الذي سقطت فيه الصخرة، لكن أصابهم الرعب عند رؤية القذيفة والمسحوق يغطي الأرض، وعندما ألقيت شعلة فوقهم أحدثت انفجاراً كبيراً أحرقت المسلمين الذين قاموا بتسليم الحصن الى الملك. وعندئذ أدرك المسلمون إنهم قد وصلوا الى نهاية المطاف بخصوص ممتلكاتهم في اوروبا، لأنهم قد فقدوا الأمان”^(١٧٩).

على ان هذا السلاح كان العرب قد سبق به الإسبان اذ استخدمه المسلمون في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي في معركة قرية اشكر^(١٨٠)، سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) حتى ذكره ابن الخطيب فيما بعد اذ قال: “ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط، كره محمّة طاقة البرج المنيع من معقله فعاثت عياث الصواعق السماوية”^(١٨١). وقد ذكر مونزر ان في قصر الحمراء ” يوجد خمسمائة فارس، يسمون زناتة Jinetes، يمتطون خيولاً أصيل، ويتنمون الى نظام الكونت ويقدمون له الطاعة”^(١٨٢).

وقد نقل العبادي نص من المؤرخ الاسباني ايلالا Ayala المعاصر لابن الخطيب قوله ان ملوك قشتالة اتخذوا فرقا خاصة من الفرسان يجاربون على طريقة الزناتين الحقيقية الحركة وكانوا يعرفون باسم Jinetes ويلاحظ ان هذا الاسم مشتق من لفظ Zente أي زناتة^(١٨٣) وقد اقتبس الأسبان هذا الفن الحربي اضطراراً منهم لنجاعة هذه الطريقة في الحرب، وهو يقوم على سرعة الحركة، سرعة الكر والفر^(١٨٤).

وذكر مونزر الأحداث المتسارعة بعد ذلك وبعد "مرور أربعة أشهر منذ ذلك في شهر يونيو تأمر - سرّاً- أربعون ألفاً أرادوا قتل المسيحيين عن آخرهم، واكتشفت هذه المؤامرة بسبب وشاية احد المسلمين واكتشفت هذه المؤامرة وكان قد سمح للمسلمين بان يحيا حياة حرة ويهارسوا شعائرهم لمدة ثلاث سنوات، فان هذه المدة انتهت في يناير. وشيئاً فشيئاً تم القضاء على مقاومة المسلمين، حتى تخلصوا منهم جميعاً وسكنت المدن الكبرى والضواحي بالمسيحيين" (١٨٥).

وتحدث ايضاً عن محاولات بعض المسلمين لاغتيال ملك الإسبان كرد فعل على ما قام به من جرائم بحقهم الا ان منفذ هذه العملية التبس عليه الأمر اذ قام باغتيال شخص غيره اذ قال ان " احد المسلمين الذي غادر مالقة ، ودخل في صفوف الملك ، وقام بطعن دون الفارو دي برتغال طعنة كبيرة ، ظناً منه انه الملك. وكان دون الفارو قد ارتد عن دينه في مدريد ، وأمر أخاه فرنادو بذبح ملك البرتغال. المسلم مُزّق اربا صغيرة على يد المسيحيين" (١٨٦).

وترتب على ذلك سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس ان عُذّب المسلمون وأسر آخرون، وهاجرت مجموعات أخرى الى خارج الحدود وتحديدًا الى الشمال الإفريقي.

اذ يذكر مونزر ان ملك الأسبان كان قد عفا عن المسلمين من القتل واكتفى ببيعهم كأسرى قائلاً: " عندما افتتح المسلمون مدينة مالقه، منذ نحو سبعمائة عام، قاموا بقتل المسيحيين حتى آخرهم، اقسام الملك ان يصنع في المسلمين نفس هذا العمل، لكن رحمته وإنسانيته منعتة من ذلك ، وقرر بيعهم كأسرى" (١٨٧). وواضح على مونزر الانحياز التام للجانب الاسباني في ذكر تلك الأحداث التي تقلل من شأن المسلمين وإنسانيته، وترفع من شأن الإسبان وإنسانيته.

ثم ان الملك أمر بعد ذلك بذبح كل المسلمين نتيجة لحادثة ذكرها مونزر لا نعلم مدى صحتها قائلاً: "توجد قلعة استولى عليها الملك عنوة ، تقع في وادٍ جيد السقيا، على بعد قمة فراسخ من مالقة ، ولما طلب الملك الأسرى ، الذين كان المسلمون قد أودعهم السجون من قبل . لم يقدم له المسلمون غير جثثهم. فأمر الملك بقتل كل المسلمين. وقبل ذلك كان الملك عندما يحاصر إحدى المدن ، يأمر بعدم قتل الأسرى ولكنه بعد هذا الأمر كان يأمر بذبحهم جميعاً، عندما يدخل منتصراً وكان المسلمون الخائفون يصيحون نسمع صوت النواقيس والأجراس" (١٨٨).

غير ان هذه المعاملة للمسلمين قد تغيرت على ما يبدو، اذ ذكر مونزر ان الملك منح الأسرى حق اللجوء الى غرناطة قائلاً: " ثم وصلنا في اليوم الثالث الى أوسونا (Usuna/Ursana) مدينة ماركيز قادس. رأينا هناك أكثر من ثلاثمائة مسلم مكبلين في الأصفاة. كذلك كانت مرشانة (Marechena)

(Marchena وميرينا Mairena) وهي قلاع قوية لنفس الماركيز، مليئة بالأسرى ... منح الملك الأسرى حق اللجوء الى غرناطة التي استولى عليها منذ ثلاث سنوات، حاصلين على حريتهم لهذا كان المسيحيون يراقبون الحدود بحذر شديد لمراقبة الأسرى الذين تحرروا من أسرهم، وكانوا يتجهون الى غرناطة طلباً للحرية^(١٨٩). وواضح من النص أعلاه ان غرناطة أصبحت مأوى للمسلمين الذين كانوا يبحثون عن حريتهم. وفي مالقة اختلف الأمر كلياً مع المسلمين اذ ان الملك بعد حصاره لها عمل مذبحه باهلها، وباع آخرين حسب ما ذكره مونزر اذ ان الملك حاصرها لمدة ”ثلاثة شهور كاملة اتخذ موقعا بين الأرض والبحر، ومنع عنها كل الإمدادات فقل فيها الطعام حتى ان حارس السور كان يُعطى أوقيتين من الخبز في اليوم واضطر الفقراء الى عمل خبر من نشارة الخشب وقشر النخيل، عندما تكون أطرافها لينة، وأخيرا خرج خمسة آلاف مسلم مع نسائهم، عبر شاطئ البحر، في طريق الجبال البحرية الشمالية، التي تضررت كثيراً منهم، لكن جيش الملك فرناندو تصدى لهم ومنعهم، وقتل الكثير منهم، ومنع الآخرين من الهرب الى المدينة. وفي النهاية استسلموا للملك الذي باع خمسة آلاف رجل منهم مقابل ثلاثين دوقه لكل واحد، وكان أي واحد منهم يمكنه ان يفتدي نفسه مقابل ثلاثين دوقه أخرى“^(١٩٠) في إشارة منه الى غنى هؤلاء الأسرى المسلمين. ونتيجة لتلك الأحداث المتسارعة التي صبّت الويلات على المسلمين، فان المسلمين بعد معاهدة الاستسلام وخسارتهم مملكتهم الإسلامية أصبحوا ما بين أسير وقتيل، وآخرين فروا الى المغرب العربي مع ملكهم الصغير بحسب ما ذكر مونزر قائلاً: “بعد الاستيلاء على غرناطة، وأخضعوها للمسيحيين اكثر من أربعين الف رجل من المسلمين عبروا الى المغرب مع ملكهم وهلك ايضاً كثيراً منهم من الجوع في فترة الحصار، واضطر آخرون الى الفرار“^(١٩١)، غير ان عدداً كبيراً من هؤلاء المسلمين بقي في غرناطة وذكر مونزر ذلك قائلاً: “بقي عدد كبير في غرناطة“^(١٩٢).

وبعد ان أطلق الأسبان بعض أسراهم من المسلمين كان هؤلاء يعيشون أوضاع اقتصادية صعبة جداً اذ ذكر مونزر ان هؤلاء التجأوا الى الكدية بجوار مساجد المسلمين اذ ذكر انه ”يوجد كثير من المسلمين يطلبون الإحسان الذين كانوا أسرى للمسيحيين والآن أطلق سراحهم“^(١٩٣). وكانوا عادة يطلبون الإحسان أمام مساجد المسلمين ولا سيما في أيام الجمع حيث تزدحم تلك المساجد بالمصلين^(١٩٤).

النتائج

١. استمرار المسلمين في ممارسة طقوسهم الدينية ومعتقداتهم دون ان يتعرض لهم الإسبان.
٢. الحياة العامة للمسلمين من عادات وتقاليدها الاجتماعية كانت امتدادا لزمان المسلمين أثناء حكمهم للأندلس ولم تتغير.
٣. تحويل بعض المساجد الى كنائس، واحتفاظ المسلمين ببعض الأعراس.
٤. إعجاب مونزر الكبير بالمباني والمنشآت الإسلامية ومقارنتها بباقي البلدان الأوروبية ولا سيما ألمانيا وتفوق المسلمين في هذا المضمار.
٥. لم يقيم الإسبان بهدم الحمامات العامة بالرغم من نظرتهم السلبية تجاه الحمامات والنظافة باعتبارها عادات وثنية.
٦. عدم إنصاف المؤلف للمسلمين في رحلته وثنا المتكرر على المسلمين على طول الرحلة.
٧. أمدتنا الرحلة بمعلومات مهمة حول أماكن تواجد المسلمين في شبه جزيرة أيبيريا، وكثافتهم السكانية في كل مدينة يزورها مونزر، وحسب تواجدهم هناك.
٨. أشار مونزر الى الروح الثورية عند الموريسكيين وتحينهم للفرصة كلما سمحت لهم الظروف بالثورة.
٩. أشار مونزر بفخر الى ما يقوم به الإسبان من مذابح بحق المسلمين.
١٠. وقع الرحالة بإخطاء يتعلق بعضها بإحكام الشريعة الإسلامية، نتيجة لجهلة بالتشريعات الإسلامية.
١١. تعكس الرحلة صور من الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للموريسكيين.
١٢. تأثر الإسبان بحضارة العرب وهو ما ذكره مونزر بصورة غير مباشرة في رحلته.

الهوامش:

١. مونزر، خيرونيمو، رحلة الى اسبانيا والبرتغال ١٤٩٤ - ١٤٩٥ م، تعريب أحمد محمد الطوخي، مركز الاسكندرية للكتاب، (مصر، ٢٠١٠م)، ص ٢٠٦.
٢. احمد بن محمد بن احمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣٢م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٨م)، ج ٣، ص ٢٢٣.
٣. مونزر، رحلة الى اسبانيا والبرتغال، ص ١١٤.
٤. المصدر نفسه، ص ١١٤.
٥. عيد العنصرة: يوم مشهور ببلاد الأندلس، وهو موسم للنصارى كالميلاد ونحوه، وهو اليوم الرابع والعشرون من حزيران فيه ولد يحيى بن زكريا عليه السلام. ينظر حول ذلك ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، بلا)، ج ٧، ص ٢٢٧.
٦. سحر، عبد العزيز سالم، ملابس الرجال في العصر الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، ع ٢٧، (مدريد، ١٩٩٥م)، ص ١٧٢.
٧. ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، (تونس، ١٩٧٩م)، ج ١، ص ٥٠٦.
٨. ابن دحية، ابو الخطاب عمر بن حسن، (ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م)، المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق ابراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع، (بيروت، ١٩٥٥م)، ص ٨١.
٩. مونزر، رحلة الى اسبانيا والبرتغال، ص ٩.
١٠. علي بن عبد الغني الفهري الحصري، أبو الحسن، شاعر مشهور، له القصيدة التي مطلعها: يا ليل الصب متى غده كان ضريباً، من أهل القيروان، انتقل إلى الأندلس ومات في طنجة. اتصل ببعض الملوك ومدح المعتمد بن عباد بقصائده توفي سنة (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م). ينظر ترجمته، الاصبهاني، محمد بن محمد صفى الدين، (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق أذرتاش أذرنوش، الدار التونسية للنشر، (تونس، ١٩٧١م)، ج ٢، ص ١٦٣.
١١. ابن دحية، المطرب في أشعار أهل المغرب، ص ٨١.
١٢. مونزر، رحلة إلى اسبانيا والبرتغال، ص ١١٤.
١٣. عزيز بن خطاب: هو عزيز بن عبد الملك بن خطاب القيسي، سرقسطي الأصل، كان زاهداً عابداً ناشراً للعلم، حتى امتحن برياسة بلده مرسية فلم تحمد سيرته، قتل سنة ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م. ينظر ترجمته، المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، (٦٣٤ - ٧٠٣هـ / ١٢٣٧ - ١٣٠٣م)، كتاب الذيل والتكملة لكتاب الموصل والصلة، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، (لبنان، ١٩٦٥م)، ج ٥، ص ١٤٤.
١٤. المقرئ، نفح الطيب، ج ٣، ص ٢٢٢.
١٥. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٢٣.
١٦. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٢٣.
١٧. محمد بن عبد الله بن سعيد السليمانى اللوشي الغرناطي، (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط ١، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٧٣م)، ج ١، ص ٢٢٦؛ للمحة البديرة في الدولة النصرانية، تحقيق، محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، (بيروت، ٢٠٠٩م)، ص ٦٤.
١٨. رحلة الى اسبانيا والبرتغال، ص ١١٤.

١٩. نفخ الطيب، ج ٤، ص ١٧.
٢٠. رحلة الى اسبانيا والبرتغال، ص ١١٥.
٢١. رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة، أكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧١م). ص ١٦٩ و ١٧٢.
٢٢. المرجع نفسه، ص ١٦٩.
٢٣. احمد بن محمد المراكشي، (توفي بعد سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ط ٢، مكتبة الثقافة، (بيروت، ١٩٨٠م).
٢٤. رحلة الى اسبانيا والبرتغال، ص ١١٥.
٢٥. دوزي، المعجم المفصل، ص ٣٠٠.
٢٦. نفخ الطيب، ج ٤، ص ١٢٤.
٢٧. ابن عذاري البيان المغربي، ج ٣، ص ١٣٩.
٢٨. رحلة الى اسبانيا والبرتغال، ص ١١٥.
٢٩. خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس، تحقيق، احمد مختار العبادي، دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (الامارت، بيروت، ٢٠٠٣م). ص ٥٠.
٣٠. المصدر نفسه، ص ٥٦.
٣١. ابن بسام، الذخيرة، ج ١، ص ٧٠٨.
٣٢. الإحاطة، ج ٣، ص ٩٢.
٣٣. مسعد، سامية مصطفى، صور من المجتمع الأندلسي رؤية ٢٠٠٩م من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (مصر، بلات)، ص ٨٧.
٣٤. مونزر، رحلة الى اسبانيا والبرتغال، ص ١١٥.
٣٥. المصدر نفسه، ص ٩٣.
٣٦. المصدر نفسه، ص ٩٤.
٣٧. المصدر نفسه، ص ٩٤.
٣٨. المصدر نفسه، ص ١١٥.
٣٩. المصدر نفسه، ص ٩٦.
٤٠. المصدر نفسه، ص ٨٧.
٤١. المصدر نفسه، ص ٩٤.
٤٢. المقري، نفخ الطيب، ج ١، ص ٢٢٣.
٤٣. يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٢م)، ص ١١١.
٤٤. مونزر، رحلة الى اسبانيا والبرتغال، ص ١١٥.
٤٥. المصدر نفسه، ص ٨٥.
٤٦. المصدر نفسه، ص ٩٩.
٤٧. آريه، راشيل، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة، اوس ناصر عبد العزيز، رسالة دبلوم، (غير منشور)، كلية

- اللغات ، جامعة بغداد، ٢٠٠٠م، ص ٥١.
٤٨. هونكة زيفريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة، فاروق ببيضون، المكتبة التجارية، (بيروت، ١٩٦٥م)، ص ٥٤.
٤٩. عبود، انسام غضبان، الموريسكيون في غرناطة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م - ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م، دراسة في أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٠م، ص ٨٦.
٥٠. كيب، جوزيف مايك، مدنية العرب في الأندلس، ترجمة تقي الدين الهلالي، مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٥٠م)، ص ٧٣.
٥١. المرجع نفسه، ص ٦٠٩.
٥٢. رحلة الى اسبانيا والبرتغال، ص ٢١٢.
٥٣. المصدر نفسه، ص ١١٥.
٥٤. المصدر نفسه، ص ١١٥.
٥٥. المصدر نفسه، ص ١١٥.
٥٦. المصدر نفسه، ص ٢١٢.
٥٧. المصدر نفسه، ص ٢١٢.
٥٨. المصدر نفسه، ص ٢١٢.
٥٩. المصدر نفسه، ص ١١٥.
٦٠. المصدر نفسه، ص ١١٥.
٦١. سامية مصطفى محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، مكتبة الثقافية الدينية، (مصر، ٢٠٠٣م)، ص ٧٨.
٦٢. رحلة الى اسبانيا والبرتغال، ص ١١٢.
٦٣. المصدر نفسه، ص ٢٠٦.
٦٤. الونشريسي، ابو عباس احمد بن يحيى، (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨م)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الباحثين، بإشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٨١) ج ٣، ص ٢٥.
٦٥. رحلة الى اسبانيا والبرتغال، ص ٦٥.
٦٦. المصدر نفسه، ص ٦٥.
٦٧. المصدر نفسه، ص ٦٦.
٦٨. المصدر نفسه، ص ٦٨.
٦٩. المصدر نفسه، ص ٦٨.
٧٠. المصدر نفسه، ص ٦٨.
٧١. المصدر نفسه، ص ٧٤.
٧٢. المصدر نفسه، ص ٧٥.
٧٣. المصدر نفسه، ص ٧٥.
٧٤. المصدر نفسه، ص ٨٤.

٧٥. المصدر نفسه، ص ٨٥.
٧٦. المصدر نفسه، ص ٨٥.
٧٧. المصدر نفسه، ص ٨٥.
٧٨. المصدر نفسه، ص ٩٢.
٧٩. المصدر نفسه، ص ٩٢.
٨٠. المصدر نفسه، ص ٩٢.
٨١. المصدر نفسه، ص ٩٣.
٨٢. المصدر نفسه، ص ٩٥.
٨٣. المصدر نفسه، ص ٩٥.
٨٤. المصدر نفسه، ص ٩٩.
٨٥. المصدر نفسه، ص ٩٩-١٠٠.
٨٦. المصدر نفسه، ص ١٠٠.
٨٧. المصدر نفسه، ص ١٠٠.
٨٨. المصدر نفسه، ص ١٠٠.
٨٩. المصدر نفسه، ص ١٠٠.
٩٠. المصدر نفسه، ص ١٠١.
٩١. المصدر نفسه، ص ١٠١.
٩٢. المصدر نفسه، ص ١٠١.
٩٣. المصدر نفسه، ص ١٠٤.
٩٤. المصدر نفسه، ص ١٩٤.
٩٥. المصدر نفسه، ص ٢٠٦.
٩٦. المصدر نفسه، ص ٩٢.
٩٧. المصدر نفسه، ص ٢١٤.
٩٨. المصدر نفسه، ص ١١٤.
٩٩. المصدر نفسه، ص ٧٤.
١٠٠. المصدر نفسه، ص ١١٤.
١٠١. المصدر نفسه، ص ١١٤.
١٠٢. المصدر نفسه، ص ٧٦.
١٠٣. المصدر نفسه، ص ١١٢.
١٠٤. المصدر نفسه، ص ٩٥.
١٠٥. المصدر نفسه، ص ١١٤.
١٠٦. المصدر نفسه، ص ١١٤.
١٠٧. المصدر نفسه، ص ١١٤.

- ١٠٨ . المصدر نفسه، ص ١١٤ .
١٠٩ . المصدر نفسه، ص ٧٦ .
١١٠ . المصدر نفسه، ص ٧٦ .
١١١ . المصدر نفسه، ص ٧٧ .
١١٢ . المصدر نفسه، ص ٧٧ .
١١٣ . المصدر نفسه، ص ٨٤ .
١١٤ . المصدر نفسه، ص ٨٤ .
١١٥ . المصدر نفسه، ص ٨٦ .
١١٦ . المصدر نفسه، ص ٩٥ .
١١٧ . المصدر نفسه، ص ٨٥ .
١١٨ . المصدر نفسه، ص ٨٥ .
١١٩ . المصدر نفسه، ص ٨٦ .
١٢٠ . المصدر نفسه، ص ٩٣ .
١٢١ . المصدر نفسه، ص ٩٣ .
١٢٢ . المصدر نفسه، ص ٩٥ .
١٢٣ . المصدر نفسه، ص ٩٥ .
١٢٤ . المصدر نفسه، ص ٩٥ .
١٢٥ . المصدر نفسه، ص ١٢٣ .
١٢٦ . المصدر نفسه، ص ٨٥ .
١٢٧ . المصدر نفسه، ص ١٣٠ .
١٢٨ . المصدر نفسه، ص ١٣١ .
١٢٩ . المصدر نفسه، ص ١٤٢ .
١٣٠ . المصدر نفسه، ص ٢٠٩ .
١٣١ . المصدر نفسه، ص ٢٠٩ .
١٣٢ . المصدر نفسه، ص ٨٦ .
١٣٣ . المصدر نفسه، ص ٧٩ .
١٣٤ . المصدر نفسه، ص ٨٦ .
١٣٥ . المصدر نفسه، ص ٨٦ .
١٣٦ . المصدر نفسه، ص ٨٦ .
١٣٧ . المصدر نفسه، ص ٨٦ .
١٣٨ . المصدر نفسه، ص ٨٦ .
١٣٩ . المصدر نفسه، ص ٧٩ .
١٤٠ . المصدر نفسه، ص ٧٩ .

١٤١. الونشريسي، المعيار المغرب، ج ١٠، ص ٢٩٨.
١٤٢. مونزر، رحلة إلى اسبانيا والبرتغال، ص ٤٧.
١٤٣. المصدر نفسه، ص ٢١٣.
١٤٤. المصدر نفسه، ص ٨٢.
١٤٥. المصدر نفسه، ص ٩٧.
١٤٦. المصدر نفسه، ص ٩٣.
١٤٧. المصدر نفسه، ص ٦٠.
١٤٨. المصدر نفسه، ص ٦٦.
١٤٩. المصدر نفسه، ص ٦٧.
١٥٠. المصدر نفسه، ص ٩٧.
١٥١. المصدر نفسه، ص ٦٧.
١٥٢. المصدر نفسه، ص ٢١٣.
١٥٣. المصدر نفسه، ص ٤٧.
١٥٤. المصدر نفسه، ص ٨٤.
١٥٥. المصدر نفسه، ص ٢١٣.
١٥٦. روسيون: Rousillon مقاطعة من مقاطعات فرنسا الجنوبية عند الجانب الشرقي من جبال البرانس. ينظر، غابرييلي، فرانثيسكو، الإسلام في عالم البحر المتوسط، بحث منشور في مجلة عالم المعرفة تراث الإسلام، تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة، حسين مؤنس، ط ٢، مطابع الوطن، (الكويت، ١٩٨٨م)، ج ١، ص ٣٠٨.
١٥٧. المرجع نفسه، ج ١، ص ١١٨.
١٥٨. بنحادة، سعيد، الماء والإنسان في الأندلس خلال القرن ٧ و ٨ هـ / ١٣ و ١٤ م أسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات، دار الطليعة، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص ٤٦.
١٥٩. رحلة إلى اسبانيا والبرتغال، ص ٨٠.
١٦٠. المصدر نفسه، ص ٧٥.
١٦١. المصدر نفسه، ص ١٨٤.
١٦٢. المصدر نفسه، ص ٢١٠.
١٦٣. المصدر نفسه، ص ٩٠.
١٦٤. المصدر نفسه، ص ١٣٤-١٣٥.
١٦٥. الغزال، احمد بن المهدي، (ت ١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م)، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٨٠م)، ص ٧٥.
166. *Amador de los Rios, Inscripciones Arabes de sevilla por don rodigo Amador de los Rios don Jose Amador de los Rios, Madrid Imprenta dto for Tanet Calle de la libertad NL M29 1875, P.74 .*
١٦٧. مونزر، رحلة إلى اسبانيا والبرتغال، ص ٢١١.
١٦٨. المصدر نفسه، ص ١١٨.

١٦٩. فراج، عز الدين، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، دار الفكر، (بيروت، د.ت)، ص ١٦٨.
١٧٠. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة، (ت ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، (بيروت، بلات)، ص ٤٧.
١٧١. فيرنيت، خوان، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، ترجمة: نهاد رضا، دار اشبيلية، (دمشق، ١٩٩٧م)، ص ٣٧٨.
١٧٢. رحلة إلى اسبانيا والبرتغال، ص ١٠٤.
١٧٣. المصدر نفسه، ص ١٠٤.
١٧٤. المصدر نفسه، ص ١٠٤.
١٧٥. المصدر نفسه، ص ١٠٩.
١٧٦. المصدر نفسه، ص ١٠٩.
١٧٧. المصدر نفسه، ص ١٠٩.
١٧٨. المصدر نفسه، ص ١١٠.
١٧٩. المصدر نفسه، ١١٩-١٢٠.
١٨٠. اشكر: هي إحدى قرى مدينة بسطة الأندلسية. ينظر ترجمتها ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٣١.
١٨١. أبن الخطيب، الإحاطة في اخبار غرناطة، ج ١، ص ٢٠٩؛ اللمحة البدرية، ص ٧٢.
١٨٢. رحلة إلى اسبانيا والبرتغال، ص ٩١.
١٨٣. العبادي، أحمد مختار، فترة مضطربة من تاريخ غرناطة، مجلة المعهد للدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٧، ٨ (١٩٥٩-١٩٦٠)، ص ٤٩.
١٨٤. العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، مطبعة سامي، (مصر، ٢٠٠٣م)، ص ٢٣٨.
١٨٥. رحلة إلى اسبانيا والبرتغال، ص ١٠١.
١٨٦. المصدر نفسه، ص ١٢٦.
١٨٧. المصدر نفسه، ص ١٢٦.
١٨٨. المصدر نفس، ص ١٢٧.
١٨٩. المصدر نفس، ص ١٢٩.
١٩٠. المصدر نفس، ص ١٢٦.
١٩١. المصدر نفسه، ص ١٠١.
١٩٢. المصدر نفسه، ص ١٠١.
١٩٣. المصدر نفسه، ص ٩٦.
١٩٤. ينظر، المصدر نفسه، ص ٩٥-٩٦.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- الاصبهاني، محمد بن محمد صفى الدين، (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).
- ١. خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق أذرتاش أذرنوش، الدار التونسية للنشر، (تونس، ١٩٧١م).
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة، (ت ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م).
- ٢. عيون الإنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت).
- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتري، (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م).
- ٣. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، (تونس، ١٩٧٩).
- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن، (ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م).
- ٤. المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم اليباري وآخرون، دار العلم للجميع، (بيروت، ١٩٥٥م).
- ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السليمانى اللوشي الغرناطي، (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).
- ٥. الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط ١، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٧٣م).
- ٦. اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط ٢، دار الأفق الجديدة، (بيروت، ١٩٧٨م).
- ٧. خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس، تحقيق، أحمد مختار العبادي، دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (الامارات، بيروت، ٢٠٠٣م).
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).
- ٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، بلات).
- الغزال، أحمد بن المهدي، (ت ١١٩١هـ / ١٧٧٧م).
- ٩. نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٨٠م).
- المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، (ت ٦٣٤-٧٠٣هـ / ١٢٣٧-١٣٠٣م).
- ١٠. كتاب الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، (لبنان، ١٩٦٥م).
- المراكشي، أحمد بن محمد المراكشي، (ت بعد سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م).
- ١١. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ط ٢، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٨٠م).
- المقرئ، أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني، (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣٢م).
- ١٢. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق، إحسان

- عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٨م).
- مونزر، خيرونيمو.
- ١٣. رحلة الى اسبانيا والبرتغال ١٤٩٤ - ١٤٩٥م، تعريب أحمد محمد الطوخي، مركز الإسكندرية للكتاب، (مصر، ٢٠١٠م).
- الونشريسي، عباس احمد بن يحيى، (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨م).
- ١٤. المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الباحثين، بإشراف محمد الحججي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٨١).

ثانياً: المراجع

- بنحمادة، سعيد.
- ١. الماء والإنسان في الأندلس خلال القرن ٧ و ٨ هـ / ١٣ و ١٤م، أسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات، دار الطليعة، (بيروت، ٢٠٠٧م).
- رينهات، دوزي.
- ٢. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة، أكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧١م).
- يوسف شكري فرحات.
- ٣. غرناطة في ظل بني الأحمر، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٢م).
- هونكة، زيغريد.
- ٤. شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة، فاروق بيضون، المكتبة التجارية، (بيروت، ١٩٦٥م).
- كيب، جوزيف مايك.
- ٥. مدنية العرب في الأندلس، ترجمة، تقي الدين الهلالي، مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٥٠م).
- محمد، سامية مصطفى.
- ٦. الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، مكتبة الثقافية الدينية، (مصر، ٢٠٠٣م).
- ٧. صور من المجتمع الأندلسي رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (مصر، ٢٠٠٩م).
- فراج، عز الدين.
- ٨. فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، دار الفكر، (بيروت، د.ت).
- فيرنيت، خوان.
- ٩. فضل الأندلس على ثقافة الغرب، ترجمة، نهاد رضا، دار اشبيلية، (دمشق، ١٩٩٧م).
- العبادي، احمد مختار.
- ١٠. صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، مطبعة سامي، (مصر، ٢٠٠٣م).

المراجع الأجنبية

- Amador de los Rios.
- 1. Inscripciones Arabes de sevilla por don rodigo Amador de los Rios don Jose Amador de los Rios، Madrid Imprenta dto for Tanet Calle de la libertad NL M29 1875.

المجلات

- سحر، عبد العزيز سالم.
- ١. ملايس الرجال في العصر الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، ع ٢٧، (مدريد، ١٩٩٥ م).
- غابرييلي، فرانثيسكو.
- ٢. الإسلام في عالم البحر المتوسط، بحث منشور في مجلة عالم المعرفة تراث الإسلام، تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة، حسين مؤنس، ط ٢، مطابع الوطن، (الكويت، ١٩٨٨ م).
- العبادي، احمد مختار.
- ٣. فترة مضطربة من تاريخ غرناطة، مجلة المعهد للدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٨، ٧ (مدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠).

الاطاريح والرسائل الجامعية

- آريه، راشيل.
- ١. تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة، اوس ناصر عبد العزيز، رسالة دبلوم، (غير منشور)، كلية اللغات، جامعة بغداد، ٢٠٠٠ م.
- عبود، أنسام غضبان.
- ٢. الموريسكيون في غرناطة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م - ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م، دراسة في أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٠ م.

الفصل الثاني: الطب في الأندلس من خلال وثيقة مخطوطة دراسة وتحقيق

المستخلص:

تنصب الدراسة في هذا البحث على وثيقة طبية مخطوطة مؤرخة في شهر ربيع الاول من عام ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م أطلع عليها الباحث في إحدى مكتبات اسبانيا وهي أشبه بما تكون إجازة لممارسة مهنة الطب وفق شروط وضعها الاندلسيون كشرط لممارسة تلك المهنة الجليلة القدر وهي شهادة بخبرة ومهارة وحذاقة الطبيب أبو الحسن علي بن محمد بن مسلم من أهل غرناطة في ممارسة اختصاصه كطبيب عالج حالات مرضية مختلفة، بشهادة الشهود، الذين شهدوا له ووثق شهادتهم الحكم الشرعي في حي البيازين في غرناطة المدعو محمد بن يحيى الحاج. وقد ذكر كاتب الوثيقة في مقدمة ديباجته تعريف مختصر بالطبيب، وركّز على تسليط الضوء على معرفته بتداوي الامراض مُعدّداً الامراض التي يحسن علاجها والتي منها جبر الكسور ومعالجة عرق الانسى وداء الشوكة وغيرها مما ذكر في المتن، ثم يذكر عدداً من الشهود المرضى الذين تعالجوا على يديه وعددهم اربعة وثلاثون شخصاً باسمائهم الكاملة والقباهم ليعرفهم الناس ثم يذكر الغرض من التداوي فيذكر علة مراجعتهم اياه، بذكر نوع المرض ثم شهادتهم بشفائهم على يديه، وشاهدين له بالحذاقة في ممارسة الصنعة، وشهادتهم هذه تعضد حسن براعته في الطب. وأورد شهادة بعضهم بعجز أطباء آخرين عن معالجة بعض الامراض وتصدي هذا الطبيب لعلاجهم ونجاحه في استطبائهم. وهذه الخطوة هي نوع من انواع اشاعة الاطمئنان لدى الناس ووثوقهم به وبمثابة اعطاء اجازة بممارسة مهنته بعد هذا الكم الهائل من الذين شهدوا له بحذاقته الطبية، وكأننا يعد اختبار من نوع اخر، لان المشهود فيه اعطى تطبيقاً عملياً في أثبات براعته في مجال اختصاصه. ويذكر كاتب الوثيقة وأسمه هو يحيى النيار والذي شهد كذلك بما شهد به الشهود المذكورين في الوثيقة من حذاقة الطبيب، وكتب كاتب آخر على جانب الوثيقة تأكيداً على مزاوله واستمرار الطبيب في معالجة مرضاه، وتحث الوثيقة وكاتب السطور الجانبية في الوثيقة وهو محمد

البسطي على الاخذ بيد الطبيب للأجر والثواب. ويبدو ان هذا الكاتب قد اضاف كتابته على تلك الوثيقة بعد مدة من كتابة لأنه يخبر عن الطبيب انه مازال يمارس مهنة الطب ومستمرا على ذلك.

Abstract

The present study examines a medical manuscript dated in Rabi'I 902 HA (1497 AD), which the researcher reviewed in a Spanish Library. The manuscript is a kind of a legal permit to practice medicine based on certain the criteria put forward by the Andalusians to practice this important profession. The manuscript seems more like a certificate of expertise for the medical practitioner, Abu al-Hassan Ali bin Muhammed bin Muslim of Granada. The Manuscript includes the names of the witnesses who testified to his expertise in treating different medical conditions. These testimonies were legally registered by the notary public of al-Bayazeen Quarter in Granada, who was known as Muhammed bin Yahya al-Haj. The writer included in the prelude of the manuscript a brief introduction of the medical practitioner, focusing on his knowledge of treating a number of diseases. The manuscript listed the diseases this practitioner was good at treating, which included fractures, sciatica and chickenpox along with some other diseases. The document also registered testimonies made by 43 of his patients, whose names were mentioned in full in order to solidify his reputation. Some of the testimonies highlighted the inabilities of other medical practitioners in treating some diseases, which were successfully treated by this person. This is considered as a form of guarantee to reassure the public of his knowledge and as an official granting of permit to practice this profession. This document introduces a form of practical test embodied by the previous patients' testimonies. The writers of the manuscript, whose name was Yahya al-Nayar, also made a testimony as to how professional this medical practitioner was. The name of the second writer (Muhammad al-Basti), who wrote the side paragraphs, was also written at the bottom of manuscript. It seems that the second writer added his part in the manuscript after the first parts had been written, as he registered that this medical practitioner had, and still was practicing the profession

المقدمة

أولى الاندلسيون اهتماماً كبيراً في الطب على مدى العصور، وكان لهم دوراً بارزاً في هذا العلم، حتى دان الطب الحديث للمسلمين الاوائل بنظرياته وادويته وآلاته الجراحية لاسيما ما خلفه الزهراوي في كتابه المشهور التصريف لمن عجز عن التأليف، وتذكر بعض مصادر تاريخ الطب ان اول من اشتهر بالطب في الاندلس أحمد بن أبان وهو من أهل قرطبة عاش في أيام الامير محمد ابن عبد الرحمن الاوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٧-٨٨٦م)،^(١) وفي أيام هذا الامير ورد من المشرق رجل أسمه الحراني جلب معه أدوية كان يحتفظ بسر تركيبها وحده ويبيعها بأسعار باهظة، ولم تذكر مصادر التاريخ انه نفع أحدا بعلمه أو ترك تأليفاً ينتفع به.^(٢) كذلك كان للنصارى حظ في هذا التاريخ اذ عاش في هذا العهد أيضاً طبيين أحدهما اسمه جواد النصراني الذي تسبب اليه بعض مجربات الادوية^(٣) والثاني هو خالد بن يزيد بن رومان النصراني الذي يظهر أنه كان يزاول الجراحة وجبر الكسور في العظام فضلاً عن عمله بالادوية النباتية^(٤) ولم تك غرناطة بمعزل عن العالم الاسلامي كبغداد ودمشق والقاهرة والقيروان وفاس، فقد كانت الصلاة الفكرية والعلمية مستمرة بين مختلف أقطار العالم الاسلامي ينتقل بين ربوعها العلماء والطلاب والمؤلفات والمذاهب والافكار.

وفي ميدان الطب ظهرت المؤلفات الطبية والتي وجدت طريقها الى الاندلس فاستفاد منها الاندلسيون، ومن تلك المؤلفات كتب أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (٣٢٠هـ - ٩٣٢م) وصلت الاندلس في وقت مبكر واستفاد منها كبار مشاهير الاندلس، كابي القاسم الزهراوي، في كتاب التصريف. وكذلك القول في مؤلفات أبي جعفر أحمد ابن الجزار النصراني (٣٩٠هـ / ١٠٠٩م) فقد اطلع الزهراوي أيضاً على معظم مؤلفاته^(٥).

أولاً :- أهم الاطباء الذين ظهروا في الاندلس:

١. ابن الوليد المذحجي :- هو عبد الله بن محمد بن عبد الله المذحجي من أهل قرطبة ورث الطب عن ابيه وجده، عاش في أيام الامير عبد الرحمن الداخل وحرص على علاجه وحفظ صحته^(٦)

٢. جواد النصراني :- أحد أطباء الاندلس المشهورين له ينسب اللعوق، وهو دواء مكون من أدوية مختلفة حسب الحاجة ممزوجة بسكر أو عسل أو غيره، وقد اشتهرت هذه الكلمة عند أطباء العصور الوسطى وعرفها الاوربيين بشكل (LOOK)^(٧)

٣. أبن جلجل :- أبو داود بن حسان الأندلسي يعد من أشهر أطباء الاندلس على الاطلاق، له عدة مؤلفات ولد في قرطبة (٣٢٩هـ / ٩٤٠م)، وتوفي فيها بعد عام (٣٧٧هـ / ٩٨٧م).^(٨)

٤. **الزهرراوي** :- أبو القاسم خلف بن عباس الزهرراوي، والذي يعرف باللاتينية (Abulcasia)، وهو من أهل الفضل والدين والعلم نشأ بقرطبة، ودرس الطب على يد علمائها وبرع فيه حتى أصبح طبيب الحكم الثاني أبْن عبد الرحمن الناصر توفي عام (٤٠٤هـ) أو سنة (٤٢٧هـ)، من أشهر مؤلفاته كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف^(٩).

٥. **أبو جعفر الغافقي** :- هو أبو جعفر أحمد بن محمد أبْن السيد الغافقي، من أهل قرطبة، له مؤلفات عدة، يعد من الأطباء البارزين في الاندلس. توفي عام (٥٦٠هـ / ١١٦٥م).^(١٠)

٦. **أبْن حسان** :- أبو جعفر أحمد الغرناطي، من أهل غرناطة له عدة مؤلفات، ذكره أبْن أبي أصيبعة في طبقاته، توفي في القرن الثاني عشر الميلادي.^(١١)

٧. **أبْن خلصون** :- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن خلصون من أطباء الاندلس المعدودين، وممن كان لهم باع في الطب وكتب كتاب في الطب يدعى كتاب الاغذية وحفظ الصحة، ولد بغرناطة وتوفي في سنة (٧٠١هـ / ١٣٠٢م).^(١٢)

٨. **أبْن خاتمة الانصاري** :- أحمد بن علي بن خاتمة الانصاري، شاعر وطبيب واديب، من أهل غرناطة عاصر لسان الدين بن الخطيب له كتاب في الطب يسمى تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، توفي سنة (٧٧٠هـ / ١٣٦٨م).^(١٣)

٩. **أبْن الخطيب الغرناطي** :- محمد بن عبد الله الخطيب، الوزير والشاعر والكاتب والطبيب والفيلسوف، من أشهر شخصيات الاندلس لقب بذي الوزارتين، قتل في المغرب في مدينة فاس سنة (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).^(١٤)

ثانياً:- المؤلفات التي ألُفت في مجال الطب :

١. طبقات الأطباء والحكام لابن جليجل الفه سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م.^(١٥)
٢. الادوية المفردة لابي جعفر الغافقي.^(١٦)
٣. كتاب الكليات في الطب لابن رشد القرطبي توفي سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م^(١٧)
٤. كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لابي القاسم الزهرراوي.^(١٨)
٥. كتاب الفصول في الطب لابن ميمون القرطبي، توفي سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م.^(١٩)
٦. كتاب عمل من طب لمن حب للسان الدين ابن الخطيب الغرناطي.^(٢٠)
٧. كتاب الاغذية وحفظ الصحة لابن خلصون.^(٢١)

٨. تحفة المتسول وراحة المتأمل لابي عبد الله محمد بن أبي الحسن الشاقوسي^(٢٢).

ثالثاً:- الشروط التي يجب توفرها في الطبيب

اهتم الاندلسيون بمهنة الطب أهتماماً كبيراً فوضعوا شروطاً ومنها :

١ . منع ممارسة الطب أو الجراحة للذين ليس لديهم خبرة أو كفاءة في ذلك.

٢ . منع تدريس الطب بغير علم وتجربة في الاختصاص.

٣ . منع الطبيب من أخذ الدم من الشخص الا باذنه.

٤ . إقتصار عملية تحضير الادوية على الاطباء الصيادلة او الخبراء^(٢٣).

رابعاً : صفات الطبيب

اما الطبيب فقد اشترطوا فيه عدة صفات اذا ما اجتمعت في متعلم الطب عندها يصبح طبيباً ناجحاً نافعاً للمجتمع والانسانية عارفاً، عالماً بكل مايجري في جسد الانسان في صحته وسقمه محافظاً على مهنة محترماً مبادئها وقواعدها والاسس القائمة عليها^(٢٤) واهم هذه الشروط :-

١ . أن يحب الطبيب الله المحبة الصحيحة وينصرف اليه بجميع عقله، وازالة الجهل عن نفسه، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢٥).

٢ . تحمل المشاق والمذلة في الطب والتملق في طلب العلم للاستاذ، اذ قيل أن التملق في طلب العلم عز لا ذلة^(٢٦).

٣ . ينبغي أن ينظر فيما أفنى الطبيب أيام زمانه.

٤ . على الطبيب أن ينظر فيما إذا جالس العلماء والمتكلمين وهل أخذ منهم ويعرف هل هو ممن يقرأ الكتب ويفهمها ولا سيما اذا كانت كتب الفلاسفة وكذلك كتب الادب والعلوم النافعة^(٢٧).

٥ . حث المتعلم على التعمق في الطب فينبغي أن ينظر الى فصول السنة واثار كل منهما على الصحة والتغيرات التي تعرض لها^(٢٨).

٦ . عند تعلمه عليه ان يلازم الطبيب في البيمارستان الذي يجتمع فيه حذاق الاطباء بحيث يتعلم منهم ويتدرب على العلاج بين أيديهم^(٢٩).

خامساً:- البيمارستانات^(٣٠) في الاندلس

اهتم الأندلسيون بإنشاء البيمارستانات اذ أنشأها المسلمون في غرناطة وقرطبة واشبيلية، وغيرها وكانت محل استقطاب المرضى بكافة أعمارهم وأمراضهم، وقد اشار لويون الى ان افضل المستشفيات

وارقاها هي تلك التي انشئت في الاندلس^(٣١) وقد شيد في عهد السلطان الغرناطي محمد الخامس الغني بالله ويسمى ببيارستان غرناطة الشهير ما بين سنة (٧٦٦-٧٦٨ هـ / ١٣٦٥-١٣٦٧ م). وربما كان هذا المستشفى اول ما بني في الاندلس في مثل هذا المجال والاختصاص للمستشفى " وهذا ما يمكن استجلاؤه في حجر الاساس الذي يقول ان الملك بهذا المبنى قد نفذ عملاً خيراً غير مسبوق منذ دخول الاسلام الى هذه البلاد".^(٣٢)

سادساً:- الطب عند المسلمين واثره على أوروبا

تطَّلَعَ الأوروبيون الى العرب وحضارتهم في الاندلس على انهم اصحاب اليد الطولى في مشعل الحضارة وتسارعوا للاخذ من ذلك المعين النقي، اذ كانت الكنيسة متسلطة على المجتمعات الغربية وكانت تحول بينهم وبين العلوم التي يخالف تعاليمهم الكنسية، لذلك نشطت حركة الترجمة من العربية الى اللاتينية لمحاولة ادخال علوم العربية لاسيما في الطب للاستفادة منها، فرسالة الكندي عن الأدوية المركبة أو اختيارات يعقوب أبو يوسف ابن اسحق الكندي (١٨٥-٢٥٢ هـ / ٨٠١-٨٦٤ م) للأدوية المجربة وهي الأقرباذين ترجمت من قبل جيرارد الكيرموني وطبعت الترجمة اللاتينية تحت اسم. ((De Medicinarum Compositarum Gradibus)) ويقال أن الذي ترجمها ارنالدوس فيلانوفانوس والذي يعد أول محاولة لتقدير الادوية المركبة Posology على أساس رياضي،^(٣٣) وقد قام كل من اليهودي في عهد شارل الاول (١٢٦٦-١٢٨٥ م) على ترجمة كتاب الحاوي في الطب للرازي، كما قام موسى البارومي وهو يهودي بترجمة عدد من الكتب العربية في الطب الى اللغات الاوربية.^(٣٤) وكان لتلك الترجمة أثرها الواضح في تقدم علم الطب الاسباني ومن خلفها بقية أوروبا، وقد أخذ الاسبان من العرب بعض المصطلحات التي تخص الطب، نظراً لتفوق العرب في هذا المجال، والتي منها :-

حب الرأس	Abbarraz
الحكيم	Aliaquim
أفيون	Anfien
الشكوش	Achague
الخمرة	Aljombra ^(٣٥)

سابعاً:- قراءة في الوثيقة المخطوطة

تنصب الدراسة في هذا البحث على وثيقة طبية مخطوطة مؤرخة في شهر ربيع الاول من عام ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م اطلع عليها الباحث في إحدى مكتبات اسبانيا وهي أشبه بما تكون إجازة لممارسة مهنة الطب وفق شروط وضعها الاندلسيون كشرط لممارسة تلك المهنة الجليلة القدر وسنحاول في البداية ان نعطي وصفاً دقيقاً للمخطوطة من خلال وصفها الخارجي ومن ثم دراستها وتحقيقها. وفي البداية سنتناول فيها ما يلي:

١. وصف عام للوثيقة:-

الوثيقة مستطيلة الشكل متساوية الاضلاع من أعلى شبه مخروطية الشكل من أسفل لوجود قص في طرفيها، وفي يمين الصفحة خرم بسيط يتخللها طي بسيط للوثيقة في المنتصف تقريباً منع من قراءة بعض كلماتها. الوثيقة تبتدي بالبسملة والصلاة على الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه واله وصحبه وسلم، وهي شهادة بخبرة ومهارة وحذاقة الطبيب أبو الحسن علي بن محمد ابن مسلم - من أهل غرناطة حسب اجازة شيخ من حي البيازين الواردة في المخطوطة - في ممارسة اختصاصه كطبيب عالج حالات مرضية مختلفة، بشهادة الشهود الموثقة شهادتهم في الوثيقة، التي شهد عليها ووثق شهادة الشهود بالحكم الشرعي في حي البيازين في غرناطة المدعو محمد بن يحيى بن الحاج، في شهر ربيع الاول من عام ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م، أي بعد خمس سنوات من سقوط غرناطة، والطبيب أعلاه لا توجد حوله اي معلومات في المصادر التاريخية التي وصلت الينا، لما الت اليه المصادر في تلك الفترة من حرق وطمس للتاريخ من قبل الاسبان. لذا تعد المعلومات حول تلك الحقبة شحيحة مقارنة بالحقب السابقة في الاندلس. وقد ذكر كاتب الوثيقة في مقدمة ديباجته تعريف مختصر بالطبيب، معتمداً على معرفته الشخصية به فاهمل التعريف به بشكل مفصلاً، وركز على تسليط الضوء على معرفته بتداوي الامراض معدداً الامراض التي يحسن علاجها، ثم يذكر عدداً من الشهود المرضى الذين تعالجوا على يديه وعددهم اربعة وثلاثون شخصاً بأسمائهم الكاملة والقباهم ليعرفهم الناس ثم يذكر الغرض من التداوي فيذكر علة مراجعتهم اياه، بذكر نوع المرض ثم شهادتهم بشفائهم على يديه، شاكرين الله تعالى على شفائهم على يديه وشاهدين له بالحذاقة في ممارسة الصنعة، ثم ذكر على لسان هؤلاء عدد المرضى الذين كانوا يترددون على هذا الطبيب من خلال مشاهدة الشهود لمحل جلوسه واعداد أولئك وامراضهم وشهدوا لهم بشفائهم ايضاً، وشهادتهم هذه تعضد حسن براعته في الطب. ولم يكتف بهذا بل أورد شهادة بعضهم بعجز أطباء

آخرين عن معالجة بعض الامراض وتصدي هذا الطبيب لعلاجهم ونجاحه في استطبائهم. وهذه الخطوة هي نوع من انواع اشاعة الاطمئنان لدى الناس ووثوقهم به وبمثابة اعطاء اجازة بممارسة مهنته بعد هذا الكم الهائل من الذين شهدوا له بحذاقته الطبية، وكأنها يعد اختباراً من نوع اخر، لان المشهود فيه اعطى تطبيقاً عملياً في إثبات براعته في مجال اختصاصه. ويذكر كاتب الوثيقة أسمه هو يحيى النيار والذي شهد كذلك بما شهد به الشهود المذكورين في الوثيقة من حذاقة الطبيب، وكتب كاتب آخر على جانب الوثيقة تأكيداً على مزاولة واستمرار الطبيب في معالجة مرضاه، وتحث الوثيقة وكاتب السطور الجانبية في الوثيقة وهو محمد البسطي على الاخذ بيد الطبيب للاجر والثواب. ويبدو ان هذا الكاتب قد اضاف كتابته على تلك الوثيقة بعد مدة من كتابة لانه يخبر عن الطبيب انه مازال يمارس مهنة الطب ومستمر على ذلك.

٢:- متن الوثيقة المخطوطة

أ. أسم الطبيب: أبو الحسن علي بن محمد بن سالم.

ب. أسماء الذين عولجوا من قبل الطبيب وهم كُثر ذكرتهم الوثيقة المخطوطة.

ج. أسم الحَكَم الشرعي بحي البيازين: محمد بن يحيى بن الحاج.

د. اسماء الشهود الموقعين: محمد واحمد

هـ. اسم كاتب الوثيقة : يحيى النيار.

و. الامراض التي عالجها

• **معالجة الجروح:** هي صناعة ينظر بها في "التعريف لاحوال بدن الانسان من جهة ما يعرض لظاهرة من أنواع التفرق في مواضيع مخصوصة وما يلزمه، وغايته إعادة العضو الى الحالة الطبيعية الخاصة به".^(٣٦) وعرفت الجراحة عند اطباء العرب في بداية امرها بـ (صناعة اليد).^(٣٧) وكان الحلاقون والحجامون في البداية يقومون بعمليات جراحية مثل الكي، والفصد، والبتير وتتم تحت إشراف الاطباء، والذين يستندون الى المعلومات التي ذكرتها كتب الطب. وقد اطلقت كلمة صناعة اليد على الجراحة بوصفها أنها تمارس باليد.^(٣٨) ويعد أبو بكر محمد بن مروان بن زهر المتوفى سنة (٤٣٢هـ/ ١٠٣٧م) من أوائل الذين جمعوا بين الطب والجراحة في الاندلس.^(٣٩)

• **جبر الكسور:-** وهي من الاختصاصات المهمة والخطرة في الوقت نفسه وقد حذر منها الاطباء المتمرسين غيرهم من الاطباء المبتدئين، اذ يذكر الزهراوي هذا النوع من الاختصاص قائلاً: "الجبر بهذا الباب ايضا كثيراً ما يحتاج اليه في صناعة الطب، ويجبر الكسر والفك الحادثين في العظام

اعلموا يابني انه قد يدعى هذا الباب الجهال من الاطباء والعوام ومن لم يتصفح قط للقدمات فيه كتاباً ولا قرأ منه حرفاً ولهذه العلة صار هذا الفن من العلم في بلدنا معدوماً واني لم ألق فيه قط محسناً البتة وانما استفدت منه ما استفدت لطول قراءتي لكتب الاوائل وحرصني على فهمها حتى استخرجت علم ذلك منها".^(٤٠)

• **عرق النسا :- Sciatica** هو أسم للمرض والألم الذي يكون في مفصل الورك ويمتد وحشي الساق وربما أتصل بالقدم، وأما النسا فهو أسم العرق بنفسه، بالتحريك والقصر، عرق من الورك الى الكعب.^(٤١) وعالجه المسلمون قديماً بان "يفصد من الجانب الوحشي عند الكعب، إما تحته، وإما فوقه من الورك إلى الكعب ويلف بلفافة أو بعصابة قوية، والأولى أن يستحم قبله، والأصوب أن يفصد طولاً، وإن خفي، فصد من شعبة ما بين الخنصر والبنصر، ومنفعة فصد عرق النسا في وجع عرق النسا عظيمة".^(٤٢) وكان طبيبنا الموصى به يعالج هذا المرض الذي يعد من الامراض الصعبة العلاج اذ تذكر الوثيقة انه استطاع أن يعالج عدد من الحالات التي وثقت بالوثيقة، وكما اشارت له.

• **كسر ورد الفك :-** النوع الاخر من الامراض التي كان يعالجها الطبيب أبو الحسن علي بن محمد هو مايتعلق بفك الانسان من خلع وكسر وقد قسم الخلع الى قسمين خلع بسيط وخلع تام وقد شرحهما الزهراوي بقوله "قلما يخلع الفك الا في النذرة، وتخلعهما يكون على أحد وجهين، إما أن يزولا عن مواضعهما زولاً يسيراً فيسترخيا قليلاً، وإما أن ينخلعا تخلعاً تاماً كاملاً، حتى يسترخيا الى نحو الصدر، حتى يسيل لعاب العليل، ولا يستطيع إمساكه، ولا يطيق أن يطبق فكه، ويتلجلج لسانه بالكلام".^(٤٣) وعلاجه يكون باحدى طريقتين حسب انواعه اعلاه، فالنوع الاول وهو البسيط فيكون علاجه بسيط اذ انه "يرجع في أكثر الاحوال من ذاته بأيسر شيء"^(٤٤) وأما ان كان الخلع كاملاً "فينبغي أن يستعجل رده بسرعة ولا يؤخر البتة، وهو أن يمسك خادماً رأس العليل، ويدخل الطبيب إبهام يده الواحدة في أصل الفك في داخل فمه، إن كان الفك من الجهة الواحدة، أو يدخل إبهامه جميعاً إن كان الفك من الجهتين، وسائر أصابع يديه من خارج يسوي بها، ويأمر العليل أن يرخي فكه، ويطلقها للذهاب الى كل ناحية، والطبيب يسوي الفك حتى يرجع الى موضعة".^(٤٥)

واما اذا ترتب على كسر الفك سقوط الاسنان فتعالج بطريقة دقيقة جداً اذ استخدم الزهراوي في علاج هذا المرض الخيوط الفضية والذهبية إذ يقول "إذا عرض للاضراس القدمية تزعزع وتحرك عن ضربة أو سقطت ولا يستطيع العليل العض على شيء يؤكل وعالجتها بالادوية القابضة ولم ينجح فيها العلاج فالحيلة فيها أن تشد بخيط ذهب أو فضة، والذهب أفضل من

الفضة لأن الفضة تتزنجر وتعفن بعد أيام والذهب باق على حاله ابداً لا يعرض له ذلك، ويكون الخيط متوسطاً في الرقة والغلظ على قدر ما يسع بين الاضراس وصورة التشبيك أن تأخذ الخيط وتدخل انثناء بين الضرسين الصحيحين ثم تنسج بطرفي الخيط بين الاضراس المتحركة واحدة كانت او اكثر حتى تصل بالنسج للضرس الصحيح من الجهة الاخرى ثم نعيد النسج الى الجهة التي بدأت منها وتشد يدك برفق وحكمة حتى لا تتحرك البتة ويكون شدك الخيط عند اصول الاضراس لئلا يفلت، ثم يقطع الخيط الفاصل بالمقص وتجمعها وتفتلها بالجفت وتخفيها بين الضرس الصحيح والضرس المتحرك لئلا تؤذي اللسان، ثم تترك هكذا مشددة ما بقيت، فإن انحلت أو انقطعت شددتها بخيط آخر فيستمتع بها هكذا الدهر كله" (٤٦).

- **دا الشوكة:-** يعد مرض أبو شوكة أو كما هو معروف باسم جدري الماء، بأنه من الأمراض الفيروسية التي تصيب الجلد، وهو من الأمراض التي يتصيب الكبار والصغار على حدٍ سواء، لكنه ينتشر بين الأطفال أكثر، وخصوصاً الأطفال في عمر الحضانة، والفيروس المسبب للإصابة هو أحد أنواع فيروسات الحمض النووي المزدوج الذي يؤثر على الأطفال وكبار السن، واسمه الفيروس النطاقي الحماقي، وينتقل بطرق عدة أهمها الجهاز التنفسي، ويراافق هذا المرض بالكثير من الأعراض. (٤٧) وهو من الامراض التي عالجها الطبيب المعدة له هذه الوثيقة للشهادة بمهارته في معالجة مختلف الامراض، بعد ان عجز عن علاجها الحجامون بنص الوثيقة، والحجامون كانوا منتشرين في الاندلس، أكثر مهمتهم كانت في عمل حجامة بالفصد لانها كانت وحسب أطبائهم تقوي نواحي الجلد لاسيما من البدن. (٤٨) "والمحاجم قد تكون من القرون ومن الخشب ومن النحاس، ومن الزجاج، والحجامة تكون على وجهين، أحدهما بالشرط وإخراج الدم، والاخر الحجامة بلا شرط، وهذه الحجامة التي بلا شرط تكون على وجهين، إما ان تكون بغير نار وإما أن تكون بغير نار." (٤٩)

- **التواء أعصاب اليد :-** عالج طبيبنا المعرف به هذا النوع من الامراض التي عادة ما يصاحبها ورم في موضع الالتواء اذ يقول الزهراوي عن هذا النوع "كما يعرض تورم في الشريان والوريد، كذلك يعرض الورم في العصب إذا حدث فيه أو حدث عن تعب مفرط أو نحوه، ويكون أكثر ذلك في مواضع المعصمين أو العقب، كل موضع يتحرك فيه المفصل وهو ورم جاسٍ يشبه لونه سائر الجسد، ويكون في أكثر الاحوال من غير وجع، وإذا ضُغَط بشدة أحس فيه العليل بشدة، ولا يكون الورم مجتمعاً في عمق الجسد، بل يكون تحت الجلد وهو متحرك الى كل جهة، وليس يذهب الى قدام ولا الى خلف. فما كان منها في المفاصل فلا ينبغي أن يتعرض له بالحديد، فانه ربما أحدث زمانه، وما كان منها في الرأس أو في الجبهة فشق الجلد بمبضع، فان كان الورم صغيراً،

فامسكه بمنقاش، واقطعة من الاصل، وان كان كبيراً فعلقه بصنارة واسلخه ثم انزعه، واجمع الجراح بالخياطة، وعالجه حتى يبرأ إن شاء الله تعالى".^(٥٠)

ج. منهجية الوثيقة :- الوثيقة المحققة بين ايدينا هي شهادة بخبرة ومهارة الطبيب أبو الحسن علي بن محمد بن مسلم في ممارسة اختصاصه كطبيب عالج حالات مرضية مختلفة، بشهادة الشهود الموثقة شهاداتهم طيا في الوثيقة، التي شهد عليها ووثق شهادة الشهود محمد الحكم الشرعي في حي البيازين في غرناطة، في شهر ربيع الاول من عام ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م، أي بعد خمس سنوات من سقوط غرناطة، والطبيب أعلاه لا توجد حوله اي معلومات في المصادر التاريخية التي وصلت الينا، لما الت اليه المصادر في تلك الفترة من حرق وطمس للتاريخ من قبل الاسبان. لذا تعد المعلومات حول تلك الحقبة شحيحة مقارنة بالحق السابقة في الاندلس. وقد ذكر كاتب الوثيقة في مقدمة ديباجته تعريف مختصر بالطبيب، معتمداً على معرفته الشخصية به فاهمل التعريف به بشكل مفصلا، وركّز على تسليط الضوء على معرفته بتداوي الامراض معدداً الامراض التي يحسن علاجها، ثم يورد عدداً من الذين تعالجوا على يديه واورد شهوداً عددهم اربعة وثلاثون شخصاً باسمائهم والغرض من التداوي فيذكر علة مراجعتهم اياه، بذكر نوع المرض ثم شهادتهم بشفائهم على يديه، شاكرين الله تعالى على شفائهم على يديه وشاهدين له بالحداقة في ممارسة الصنعة، ثم ذكر على لسان هؤلاء عدد الذين كانوا يترددون على هذا الطبيب وشهدوا له بشفائهم ايضا، وهذا يعضد من شهادتهم بحسن براعته في الطب. ولم يكتف بهذا بل أورد شهادة بعضهم بعجز أطباء آخرين عن معالجة بعض الامراض وتصدي هذا الطبيب لعلاجهم ونجاحه في معالجتهم.

ثامنا:- تحقيق نص الوثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليماً شهوده الموضوعه أسمائهم عقب تار[يخ]^(٥١) —ه يشهدون بمعرفة أبي الحسن علي بن محمد بن مسلم بعينه واسمه معرفة تامة. كافية وانه عارف بمعالجة الجراحات وتدويتها وجبر الكسور واحكام صناعتها ورد الفك ورم ما انفلت منها وعرق الانسى وتديير ادويته. ودا الشوكة وإصلاح أضمدته وذلك كله بتوفيق الله لما أظهر على يديه من حكمته مستمراً على مرور الدهور والايام والشهور والاعوام فيستدل بذلك كله على كفايته وحسن براعته[ه] [و]^(٥٢) من علم ما ذكر ويعرف من ذكر على نحو ما وصف قيدت بذلك شهادته مسؤلة منه في أوایل شهر ربيع الاول من عام اثنين وتسعمائة عرفنا الله خيريه وبركاته بمنه.

- ١) محمد بن محمد البلجي يشهد بانه وقع من ^(٥٣) وانكسر صلبه وانقطع في محزومه واصابه مسمار بكتفه عاجله المشهود فيه المذكور فعافاه الله من ذلك على يديه بحول الله تعالى.
- ٢) وعثمان بن محمد الجيلود يشهد بانه أصابه جرح بيده فعاجله المشهود فيه المذكور وراه يعالج جملة من المعذورين فشفاه الله واياهم على يديه بحوله وقدرته.
- ٣) ومحمد بن أحمد الدجوم عاجله المشهود فيه المذكور من ضربة ^(٥٤) في رجله حتى برى على يديه بحول الله تعالى.
- ٤) وسعد بن أحمد ^(٥٥) بأن شاباً من جيرانه كان له جرح كبير ^(٥٦) فعاجله المشهود فيه ^(٥٧) وعافاه الله على يديه وعينه يعالج [أكثر] ^(٥٨) من ثلاثين معذوراً وشفاهم الله تعالى.
- ٥) وقاسم بن علي بن ^(٥٩) يشهد بأن بنته أصابها خلط جامد بذراعها أشرفت منه على الهلاك ورفع يده منها من كان يداويها وعالجها المشهود فيه فبرئت بحول الله على يديه.
- ٦) ومحمد بن عثمان بن ^(٦٠) يشهد بأنه وقع من على الحمار وانجرح بسبب الوقعة جرحاً كبيراً وعاجله المشهود فيه فبري بحول الله.
- ٧) ومحمد بن أحمد القلنطاذه بانه أصابه جرح في رأسه وعاجله المشهود فيه المذكور فشفاه الله على يديه.
- ٨) وأحمد بن محمد الخط ^(٦١) أصابه خلط بجبينه وانكسرت رجل أمه ورجل حافده ^(٦٢) له وعالجهم المشهود فيه ولبنت من جيرانه كا ^(٦٣) فيها جرح وبذراعها كسر فشفا الله الجميع بقدرته ^(وعلی) ^(٦٤) يديه.
- ٩) ^(٦٥) بن علي المؤذن بأن أبنه وقع من قامته وارتجع يده ^(٦٦) فعاجله المشهود فيه المذكور فبري من ذلك بحول الله تعالى.
- ١٠) وعلي بن أحمد ^(٦٧) يشهد أيضاً بأن حافدة له وقعت وانكسرت رجلها فعالجها المشهود فيه وبريت بحول الله تعالى على يديه.
- ١١) ومحمد بن يوسف السمار بأن أبنه انكسرت رجله وعاجله المشهود فيه فشفاه الله على يديه.
- ١٢) وحسن بن سعيد (يشهد بانه وقع) ^(٦٨) من ظهر حماره وانكسرت له ضلعاً ^(وَعَالِجُهُ) ^(٦٩) المشهود فيه فبري بحول الله.
- ١٣) ومحمد بن علي ^(٧٠) بأن المشهود فيه عالج زوجة له من خلط بيدها ^(٧١) برجلها فعافاها الله على يديه.
- ١٤) وعلي بن ^(٧٢) عبد الله بن محمد الجنان بأن حافده انكسرت رجله وارتجع يده وكتفه وعاجله المشهود فيه فبري بحول الله تعالى وقدرته.
- ١٥) ومحمد بن أحمد الكوثر التوت أعصاب يده اليمنى وعاجله المشهود فيه المذكور فبري بحول الله.

- (١٦) ومحمد بن أحمد العربي تكسرت يده ورده المشهود فيه المذكور وعالجه فبرى على أحسن حال على يديه.
- (١٧) ويوسف بن محمد الحمي تكسرت يد ابنه في موضعين فرده المشهود فيه المذكور وعالجه حتى بري بحول الله.
- (١٨) وسعيد بن علي بن زيد كان له بيده دا الشوكة وعالجه بعض الحجامين بغرناطة أياماً فلم يقدر على تدويته وأعرضوا عنه فعالجه المشهود فيه فبري على يديه بحول الله وقوته.
- (١٩) ومحمد بن علي البجاري يشهد بان زوجته أصابها عرق الانسى فعالجها المشهود فيه وبرئت بحول الله وعينه يعالج أزيد من ستين معذوراً عافاهم الله على يديه.
- (٢٠) ومحمد بن محمد الحرا^(٧٣) أصابته حبة في يده ولأخت له ومريض ابنه من^(٧٤) فعمل الخمسة وعالجهم فبروا على يديه بحول الله وراه يعالج جملة من المعذورين عافاهم الله على يديه.
- (٢١) وأحمد بن محمد^(٧٥) عاين المشهود فيه المذكور يعالج ثلاثة أناس أصابهم كسر بروا على يديه بحول الله.
- (٢٢) وعلي بن محمد بن أبي الجيش عاين المشهود فيه يعالج أزيد من ثلاثة معذورين منهم من كان محروقاً ومنهم من كان بكسر فك شفاهم الله على يديه.
- (٢٣) وعلي بن محمد الاطيس يشهد كشهادة الشاهد قبله.
- (٢٤) وعلي بن إبراهيم الرقصو يشهد أيضاً كذلك.
- (٢٥) وأحمد بن منصور العز يشهد أيضاً كذلك.
- (٢٦) وعلي بن عبد الله الكتاني عاين المشهود فيه يعالج أزيد من خمسين معذوراً عافاهم الله (على)^(٧٦) يديه.
- (٢٧) ومحمد بن محمد الرقبوخ عاين أناس معذورين منهم^(٧٧) أزيد من ثلاثين منهم من كان مجروحاً ومنهم من كان بكسر وفك وارتجاع شفاهم الله على يديه.
- (٢٨) ويوسف بن محمد بن أبي الجيش يشهد كشهادة الشاهد قبله.
- (٢٩) وأحمد بن علي القرموني يشهد أيضاً كذلك.
- (٣٠) وسعيد بن يوسف المروحي يشهد أيضاً كذلك.
- (٣١) وقاسم بن علي حنضان يشهد كذلك أيضاً.
- (٣٢) ومحمد بن محمد القجاني يشهد كذلك أيضاً.
- (٣٣) وأبراهيم بن علي الدعوص يشهد أيضاً.
- (٣٤) وأحمد بن علي المرج يشهد بان المشهود فيه عالج حافدا له من كسر في فك وبري على يديه باذن الله.

إعلم بإداء الشهود فوقه على حسب ذيلهم الثابت في الحُكم الشرعي بالبيازين محمد^(٧٨) بن يحيى ابن
الحاج وفقه الله تعالى والسلام الكريم على من يقف عليه.

اعلم بإعمال الاعلام فوقه على حسب^(٧٩) وفقه الله.

واحمد وفقه الله

محمد ...

(اسفل هذه الاسماء تواقيعهم)

الحمد لله وكاتبه يحيى النيار يشهد له بما يشهد المذكورين فوقه وانه من اهل المعرفة فيما ذكر فوقه
والسلام على من يقف عليه ورحمة الله وبركاته.

(وكتبت كتابة جانبية على يمين الوثيقة جاء فيها)

الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله من الرجل المشهود في عرضه استمرت
صناعته وما زلنا نسمع الثناء عليه على السنة من احتاج الى العلاج والزمنا من عرفه سيما بهذه
الصناعة فيطلب بمن يقف على منها والاخذ بيده ومشاركته وله في ذلك الاجر والثواب وكتب
محمد البسطي كان الله تعالى له والسلام على من يقف عليه.

نتائج البحث

أهتم الأندلسيون بالطب ونال اهتماماً واسعاً من قبل الخلفاء والملوك والسلاطين ونتيجة لهذا الاهتمام فقد تطور تطوراً واضحاً على أيدي الأطباء من العرب والمسلمين الذين أضافوا له الشيء الكثير فاصبح علماً متكاملًا من حيث التشخيص والعلاج. وبلغ ذروته في الازدهار والابداع على يد الزهراوي الذي يعد من ابرز اطباء العالم في عهد الدولة العربية الاسلامية في الاندلس، ومن خلال الوثيقة المخطوطة التي هي موضع الدراسة والتي عكست بعض اوجه الطب في الاندلس نستطيع ان نحدد أهم ما تناولته الوثيقة وكما يلي:

١. وضحت الوثيقة مدى اهتمام الاندلسيين بالطب والأطباء وحرصهم على معالجة مرضاهم عند امهر الاطباء.
٢. الحرص على ان يكون المشتغل بالطب من ذوي الخبرة والممارسة الفعلية وانعكس ذلك من خلال الشهود المعالج لهم فهم من شهدوا له بالكفاءة.
٣. تعد هذه الوثيقة بمثابة شهادة ممارسة مهنته يسمح بموجبها للطبيب بممارسة مهنته.
٤. حرصهم على ذكر الامراض التي تم معالجتها من قبل الطبيب المشهود فيه.
٥. ركزت الوثيقة على اسماء المرضى وذكر امراضهم التي عولجوا منها.
٦. وذكرت الوثيقة شهود المرضى كذلك ومعايتهم للحالات التي شاهدوها عند الطبيب والتي عالجها بنجاح واعداد هؤلاء المرضى.
٧. انتقدت الوثيقة ضمناً الحجاجون في الاندلس وعدم قدرتهم على معالجة المرضى لعدم اهليتهم لممارسة الطب.
٨. لوحظ من خلال الوثيقة كثرة ما يعالجه هذا الطبيب من أمراض مختلفة ذكرت في الوثيقة.
٩. حرص الاندلسيين على أهلية الاطباء من خلال تصديق هذه الاجازة من القضاة في حي البيازين وغيره.

الهوامش

١. ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الاندلسي، (ت٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار، (القاهرة، ١٩٥٥م)، ص٩٣؛ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس بن القاسم، (ت١٦٨هـ/ ١٢٨٩م)، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق، نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٦٠م)، ج٣، ص٦٥.
٢. ابن جلجل، طبقات الاطباء والحكماء، ج٣، ص٩٤.
٣. المصدر نفسه، ج٣، ص٦٦-٦٧.
٤. المصدر نفسه، ج٣، ص٦٥.
٥. الخطابي، محمد العربي، الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية، دراسة وتراجم ونصوص، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، ١٩٨٨م)، ص١٥-١٦.
٦. عيسى، أحمد، معجم الاطباء، دار الرائد العربية، ط٢، (بيروت، ١٩٨٢م)، ص٥٠٨.
٧. ابن جلجل، طبقات الاطباء، ص٩٣-٩٤.
٨. ينظر المقرئ، أحمد بن محمد بن أحمد التلمساني، (١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، ١٩٨٨م)، ج٣، ص١٧٥.
٩. ينظر الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر، (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٠م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس، تحقيق محمد بن تاووت الطنجي، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٢م)، ص٢٠٨-٢٠٩.
١٠. ينظر المقرئ، نفح الطيب، ج٢، ص٦٩١، ج٣، ص١٨٥.
١١. ابن جلجل، طبقات الاطباء والحكماء، ص٥٣٥.
١٢. ابن الخطيب، محمد بن عبد الله الغرناطي، (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول، تحقيق مريا كشيون فأنكز بنيتو، جامعة سلمنقة، (سلمنقة، ١٩٨٤م)، ص٥٠.
١٣. ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٧٣م)، ج١، ص٢٤٧-٢٦٧.
١٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة بولاق، (مصر، ١٢٨٤م)، ج٧، ص٣٤١-٣٤٢.
١٥. ابن جلجل، طبقات الاطباء، كتاب المؤلف.
١٦. ينظر المقرئ، نفح الطيب، ج٢، ص٦٩١، ج٣، ص١٨٥.
١٧. ينظر الخطابي، الطب والاطباء، ج١، ص٣٢١-٤٠٩.
١٨. المرجع نفسه، ج١، ص١١٣ و٢٧٤.
١٩. المرجع نفسه، ج١، ص٢٦٦.
٢٠. المرجع نفسه، ج٢، ص١٩١ و٢٣٨.
٢١. ابن الخطيب، الاحاطة، ج٣، ص٢٥٦ و٢٨٨.

٢٢. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٧٩ و ١٧٧.
٢٣. نور الدين، زرهوني، الطب والخدمات الطبية في الاندلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، مؤسسة شبان الجامعة، (الاسكندرية، ٢٠٠٦م)، ص ٤٧.
٢٤. الشمري، نهاد نعمة مجيد الحسن، تاريخ الطب في قرطبة الاسلامية من سنة ٩٢هـ / ٧١١م - ٦٣٣هـ / ١٢٣٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م، ص ٥٦.
٢٥. الزهراوي، إسحاق بن علي، أدب الطبيب، مخطوطة محفوظة في مكتبة مركز أحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، برقم ٩، ورقة ٩.
٢٦. الاصم، محمد بن عبد الله، رسالة في مختصر الطب، مخطوطة محفوظة في دار المخطوطات العراقية، برقم ٢٩٤٨٩، ورقة ٢.
٢٧. الرازي، ابو بكر محمد بن زكريا (ت ٣٢٠هـ / ٩٢٥م).
٢٨. المنصوري في الطب، تحقيق حازم البكري، منشورات معهد المخطوطات العربية للتربية والثقافة والعلوم، (الكويت، ١٩٨٧م)، ص ٢٩.
٢٩. الزهراوي، أدب الطبيب، ورقة ٨.
٣٠. أبن ماسوية، يوحنا الدمشقي، (ت ٢٤٣هـ)، النواذر الطبية، (القاهرة، ١٩٣٤م)، ص ٣٢.
٣١. البيهارستان :- هي كلمة فارسية مكونة من مقطعين (بيهار) وتعني مريض و (ستان) أي مكان، وتعني مكان المرضى. ينظر: أبن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد الافريقي، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق يوسف الخياط، دار لسان العرب، (بيروت، بلا ت)، مادة بيارستان.
٣٢. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي، (القاهرة، ١٩٦٩م)، ص ٤٩٣.
٣٣. موراليز، الفاريز دي واويست، جيرون، البيهارستانات والمستشفيات، ترجمة هبة قاسم، بحث منشور ضمن كتاب أبن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر، مكتبة الاسكندرية، (القاهرة، ٢٠٠٧م)، ص ٢٨٦.
٣٤. الاهواني، أحمد فؤاد، الكندي فيلسوف العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (مصر، بلا ت)، ص ٢٣١.
٣٥. السمك، عبد الكريم بن أبراهيم، الطب والاطباء في الحضارة الاسلامية قراءة في كتاب عيون الانباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، مجلة أحوال المعرفة، ع ٦٧، السنة ١٩، ٢٠١٤م، ص ٥٧.
٣٦. ينظر حولها الدراجي، عدنان خلف سرهيد، التأثير الحضاري المتبادل بين الاندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية، مطبعة حمير، (مصر، ٢٠١٧م)، ص ٣٩٦.
٣٧. أبن القف، أمين الدولة أبي الفرج أبن موفق الدين بن يعقوب، (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م). العمدة في الجراحة، حيدر آباد الدكن، (الهند، ١٣٥٦هـ)، ج ١، ص ٤.
٣٨. الجرجاني، علي بن محمد الحسيني، (٨١٦هـ / ١٤١٣م)، التعريفات، (مصر، ١٩٣٨م)، ص ١١٨.
٣٩. فراج، عز الدين، فضل العلماء المسلمين على الحضارة الاوربية، دار الفكر العربي، (بيروت، ١٩٧٨م)، ص ٢٤٣.
٤٠. أبن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٤٢٥.

٤١. الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس، (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م)، التصريف لمن عجز عن التأليف، مخطوطة محفوظة في متبة مركز أحياء التراث العلمي والعربي في جامعة بغداد تحت رقم (٢٢) ن ق ٢، ورقة ٥٤٤.
٤٢. أبْن الحشاء، أحمد بن محمد ابن الحسن، (ت ٦٤٧ هـ)، مفيد العلوم ومبهد المهوم، وهو تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوري للرازي، نشره وصححاه عن بعض النسخ المخطوطة جورج س. كولان وهـ. ب.ج. رنو، (مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية الجزء الحادي عشر، رباط الفتح، المطبعة الاقتصادية، المغرب الأقصى، ١٩٤١ م)، ص ٩٨.
٤٣. أبْن سينا، أبو علي الحسين بن علي بن سينا، (ت ٥٤٢ هـ)، القانون في الطب، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٩ م)، ص ٢٩٧.
٤٤. الزهراوي، التصريف، ص ٦٨٧.
٤٥. المصدر نفسه، ص ٦٨٧.
٤٦. المصدر نفسه، ص ٦٨٧.
٤٧. المصدر نفسه، ص ٢٩١.

<https://weziwezi.com>

El Kitab al-tibb al-gaštali al-malūki García Sánchez y C. Alvarez de Morales CIENCIAS DE LA NATURALEZA EN AL-ANDALUS ,VII Editados, CONSEJO SUPERIOR DE INVESTIGACIONES CIENTÍFICAS ESCUELA DE ESTUDIOS ÁRABES, GRANADA, 2004,p.75.

٤٨. الزهراوي، التصريف، ص ٤٢٤.
٤٩. الزهراوي، التصريف، ص ٢٥٥-٢٥٦.
٥٠. طي في الوثيقة افقد الكلمة حرفين وضعنا ما يناسب المعنى.
٥١. خرم في الوثيقة افقد الكلمة حرفين وضعنا ما يناسب المعنى.
٥٢. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٥٣. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٥٤. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٥٥. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٥٦. كلمة اقتضاها السياق العام للجمله.
٥٧. كلمة اقتضاها السياق العام للجمله من خلال نظيراتها في فقرة الشهود السابقين والاحقين لوجود طي في أصل الكتاب.
٥٨. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٥٩. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٦٠. كلمة ناقصة لوجود طي في أصل الكتاب.

٦١. كلمة اقتضاها السياق العام للجمله لوجود طي في أصل الكتاب.
٦٢. كلمة اقتضاها السياق العام للجمله لوجود طي في أصل الكتاب.
٣٦. كلمة اقتضاها السياق العام للجمله لوجود طي في أصل الكتاب.
٦٤. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٦٥. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٦٦. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٦٧. جمله اقتضاها السياق العام لوجود طي في الوثيقة.
٦٨. مقدار كلمة مبهمه نتيجة لتلف بالوثيقة وضعت هذه الكلمة لمناسبتها السياق العام.
٦٩. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٧٠. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٧١. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٧٢. الكلمة مبتوره بسبب تلف بالوثيقة أصابها نتيجة طيها.
٧٣. كلمتان مبهمتان لم نتعرف عليهما.
٧٤. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٧٥. كلمة تناسب السياق العام للوثيقة لوجود تلف بطرفها.
٧٦. كلمة مبهمه لم نتعرف عليها.
٧٧. توقيع غير مقروء لهذا الاسم.
٧٨. تواقع باسم محمد واحمد.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس بن القاسم، (ت ١٦٨هـ / ١٢٨٩م).
١. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق، نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٦٠م).
- الاصم، محمد بن عبد الله.
٢. رسالة في مختصر الطب، مخطوطة محفوظة في دار المخطوطات العراقية.
- الاهواني، أحمد فؤاد.
٣. الكندي فيلسوف العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (مصر، بلا ت).
- الجرجاني، علي بن محمد الحسيني، (٨١٦هـ / ١٤١٣م).
٤. التعريفات، (مصر، ١٩٣٨م).
- ابن جليل، أبو داود سليمان بن حسان الاندلسي، (ت ٣٧٧هـ / ٩٨٧م).
٥. طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار، (القاهرة، ١٩٥٥م).
- أبن الحشاء، أحمد بن محمد ابن الحسن، (ت ٦٤٧هـ).
٦. مفيد العلوم ومبيد الهموم، وهو تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوري للرازي، نشره وصححه عن بعض النسخ المخطوطة جورج س. كولان و هـ. ب. ج. رنو، (مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية الجزء الحادي عشر، رباط الفتح، المطبعة الاقتصادية، المغرب الأقصى، ١٩٤١م).
- الخطابي، محمد العربي.
٧. الطب والأطباء في الاندلس الاسلامية، دراسة وتراجم ونصوص، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، ١٩٨٨م).
- ابن الخطيب، محمد بن عبد الله الغرناطي، (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).
٨. الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٧٣م).
٩. كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول، تحقيق مريا كنثييون فأنكر بنيتو، جامعة سلمنقة، (سلمنقة، ١٩٨٤م).
- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر، (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٠م).
١٠. جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٢م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م).
١١. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة بولاق، (مصر، ١٢٨٤م).
- الدراجي، عدنان خلف سرهيد.
١٢. التأثير الحضاري المتبادل بين الاندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية، مطبعة حميثرا، (مصر، ٢٠١٧م).
- الرازي، ابو بكر محمد بن زكريا (ت ٣٢٠هـ / ٩٢٥م).
١٣. المنصوري في الطب، تحقيق حازم البكري، منشورات معهد المخطوطات العربية للتربية والثقافة والعلوم، (الكويت، ١٩٨٧م).
- الزهراوي إسحاق بن علي، ابو القاسم خلف بن عباس (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م).
١٤. أدب الطبيب، مخطوطة محفوظة في مكتبة مركز أحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد.

١٥. التصريف لمن عجز عن التأليف، مخطوطة محفوظة في متبة مركز أحياء التراث العلمي والعربي في جامعة بغداد تحت رقم (٢٢).
- السمك، عبد الكريم بن أبراهيم.
١٦. الطب والاطباء في الحضارة الاسلامية قراءة في كتاب عيون الانباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، مجلة أحوال المعرفة، ع ٦٧، السنة ١٩، ٢٠١٤ م.
- ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي بن سينا، ت (٤٢٨هـ).
١٧. القانون في الطب، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٩م).
- الشمري، نهاد نعمة مجيد الحسن.
١٨. تاريخ الطب في قرطبة الاسلامية من سنة ٩٢هـ/ ٧١١م - ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م.
- عيسى، أحمد.
١٩. معجم الاطباء، دار الراشد العربية، ط ٢، (بيروت، ١٩٨٢م).
- فراج، عز الدين.
٢٠. فضل العلماء المسلمين على الحضارة الاوربية، دار الفكر العربي، (بيروت، ١٩٧٨م).
- ابن القف، أمين الدولة أبي الفرج أبن موفق الدين بن يعقوب، (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).
٢١. العمدة في الجراحة، حيدر آباد الدكن، (الهند، ١٣٥٦هـ).
- لوبون، غوستاف.
٢٢. حضارة العرب، ترجمة عادل زعتر، مطبعة عيسى الحلبي، (القاهرة، ١٩٦٩م).
- ابن ماسوية، يوحنا الدمشقي، (ت ٢٤٣هـ).
٢٣. النوادر الطبية، (القاهرة، ١٩٣٤م).
- المقرئ، أحمد بن محمد بن أحمد التلمساني، (١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م).
٢٤. نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين أبن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، ١٩٨٨م).
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد الافريقي، (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).
٢٥. لسان العرب، تحقيق يوسف الخياط، دار لسان العرب، (بيروت، بلات)، مادة بيمارستان.
- موراليز، الفاريز دي وايرويس.
26. جيرون، البيمارستانات والمستشفيات، ترجمة هبة قاسم، بحث منشور ضمن كتاب أبن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر، مكتبة الاسكندرية، (القاهرة، ٢٠٠٧م).
- نور الدين، زهوني.
٢٧. الطب والخدمات الطبية في الاندلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، مؤسسة شبان الجامعة، (الاسكندرية، ٢٠٠٦م).

28. <https://weziwezi.com>

29. El Kitab al-tibb al-gaštali al-malūki García Sánchez y C. Alvarez de Morales CIENCIAS DE LA NATURALEZA EN AL-ANDALUS ,VII Editados, CONSEJO SUPERIOR DE INVESTIGACIONES CIENTÍFICAS ESCUELA DE ESTUDIOS ÁRABES, GRANADA, 2004.

الفصل الثالث: وثائق أندلسية دراسة وتحقيق

المستخلص:

يهتم هذا البحث بدراسة وتحقيق بعض الوثائق ذات المواضيع المختلفة، والتي توثق لحقبة زمنية محددة في سلطنة غرناطة وما بعدها، الوثائق تبين للباحثين معرفة صيغة كتابة العقود، واللغة الدراجة في ذلك الوقت فضلا عن معرفة الاحوال الاقتصادية المتعلقة بالوثائق في تلك الفترة، وتعد من المصادر المهمة في هذا الجانب لانها كتبت من قبل شهود عيان.

Abstract

Interested in this research study and achieve some of the threads of various documents, which document a specific period of time in the Kingdom of Granada and Beyond, documents the researchers found knowledge formula writing contracts, and language bike at that time as well as knowledge of economic conditions related to documents in that period, and is one of the sources important in this aspect because it was written by eyewitnesses

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على خير عباد الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله وسلم) وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الاخيار.

بين ايدينا مجموعة من الوثائق التي تنتمي الى الحقبة الاخيرة من تواجد المسلمين الاندلسيين في شبه جزيرة ايبيريا، الوثائق عبارة عن خليط منوع من المواضيع تتراوح بين بيع وشراء ووثيقة عن تبادل مودة بين مسلم ونصراني اسباني، تلك الوثائق وغيرها أستطعت الحصول عليها أثناء زيارتي المتكررة الى اسبانيا.

تعد كتابة العقود واحده من اهم الامور التي أهتم المسلمون بكتابتها اهتماماً كبيراً جداً انطلاقاً من اهتمامهم بتنظيم الحياة العامة للمسلمين وتنظيم حياتهم بصورة دقيقة، لانها تحفظ حقوق الافراد من كل جحود أو انكار، وقد استرسل السرخسي (ت ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) في وصف اهميتها اذ اشار الى عدة اوجه منها :

اولاً:- التحرز عن العقود الفاسدة: لان المتعاملين ربما لا يهتديان الى الاسباب المفسدة ليتحرزا عنها، فيحملها الكاتب على ذلك إذا رجعا إليه ليكتب .

الثاني :- قطع المنازعة: فان الكتاب يصير حكماً بين المتعاملين، ويرجعان إليه عند المنازعة، فيكون سبباً لتسكين الفتنة، ولا يجحد أحدهما حق صاحبه، مخافة أن يخرج الكتاب، ويشهد عليه بذلك ، فيفتضح في الناس .

الثالث :- صيانة الاموال: حيث أمر الله تعالى بصيانتها ونهى عن إضاعتها فقال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) .^(١)

رابعاً:- رفع الارتياح: فقد يشته على المتعاملين إذا تطاول الزمان مقدار البدل، ومقدار الاجل، فاذا رجعا الى الكتاب لا يبقى لواحد منهما ريبة، وكذلك بعد موتها تقع الريبة لوارث كل واحد منهما بناءً على ما ظهر من عادة أكثر الناس في أنهم لا يؤدون الامانة على وجهها^(٢).

وقد خصه الله تعالى بكتابه العزيز بعده ايات قرآنية، تبين اهمية حفظ تلك الوثائق على مر الزمن حتى يرجع اليها المتكاتبون فيما بعد، ومنها ققوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ

كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ
وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ
الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴿٣﴾.

واكد الله تعالى حول موضوع الشهود ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ (٤).
وقوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا ذُوَيْ عَدْلِ مِنْكُمْ﴾ (٥).

وهذا التأكيد من قبل الله تعالى ما هو الا لتأكيد اهمية التوثيق في هذه المواضع. وحرص العلماء
ان تتوفر في العقد عدة امور منها ما يخص الكتّاب ومنها ما يخص الشهود، أما في خص الكتاب فقد
أشترطوا فيه عدة أمور، اذ صرح الغرناطي (ت ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) حول هذا الموضوع قائلاً: "يعتبر
في الموثق عشر خصال، متى عرى عن واحدة منها لم يجز أن يكتبها وهي أن يكون مسلماً عادلاً مجتنباً
للمعاصي سميعاً بصيراً متكلماً يقظاً عالماً بفقهِ الوثائق سالماً من اللحن وأن تصدر عنه بخط بين يقرأ
بسرعة و سهولة، بالفاظ بينة غير محتملة ولا مجهولة" (٦).

واما ما يخص الشهود فقد روعي في ادائها احد عشر شرطاً "تعتبر في الشاهد حين اداء شهادته
وحين كتب شهادته ان شهد على خطه، وحين الشهادة على شهادته، فمن عري عن واحد منها لم تجز
شهادته وهي: أن يكون عدلاً بالغاً حراً يقظاناً، ولا يكون عدواً للمشهود عليه ولا يكون بينه وبين
المشهود له أبوة ولا صهر ولا يكون في عياله ولا في حجره أو مدياناً له واختلف هل من شروطه أن
يكون مالكا أمر نفسه؟ والا يكون عدو الوصي المشهود عليه أو لآخيه؟" (٧).

وفيمما يخص الوثيقة فقد اشترطوا فيها ان تكون "بالفاظ بيّنة، غير محتملة ولا مجهولة، لان الالفاظ
قوالب المعاني ومنها اقتناصها، وهي المكاشفة عنها" (٨).

الوثائق كتبت بالخط الاندلسي المميز والذي يختلف عن الخط المشرقي أختلافاً يجعل معه
من الصعب علينا أن نقراء ما لبس علينا نتيجة لخصوصية ذلك الخط، ومن أوجه هذا الاختلاف
بين الخطين ما ذكره الداني (٣٧١-٤٤٤ هـ) بقوله: "قال أبو عمرو: أهل المشرق ينقطون الفاء بواحدة
من فوق والقاف باثنتين من فوقها، وأهل المغرب ينقطون الفاء بواحدة من تحتها والقاف بواحدة من
فوقها، وكلهم أراد الفرق بينهما بذلك" (٩). ومن الفروق أيضاً الالف وهذا الفرق نجد التنقيص عليه
عند الشريشي في شرحه لعبارة الحريري صاحب المقامات قائلاً: "عانقته عناق الالف للام يريد صورة
للأم، يريد صورة لام ألف بالخط الكوفي وهما بذلك الخط متعانقان متلازمان من الاعلى الى الاسفل، اما
بخط المغاربة فلا معانقة بينهما الا في الطرفين، وربما وقعت في بعض هذا الخط كالصليب وفي بعضه لا

التقاء بينهما البتة"^(١٠). ولا سيما وانها كتبت من قبل اشخاص غير معنيين بالخط، وعادة ما كانوا يكتبونها من غير مراعاة ضوابط الكتابة، اذ خلت الكلمات من النقاط وربما سقطت بعض الاحرف من غير قصد من الكاتب. فضلا عن هذا أن بعض الكلمات كتبت بلهجة أهل الاندلس التي تكلم عنها ابن الخطيب قائلا: - "وألستهم فصيحة عربية يتخللها غرب كثير وتغلب عليهم الامالة"^(١١) وهو ما يجعل من الصعوبة نوعا ما ان نتعرف على كلامهم، حتى ان بعضهم قد عاب على اهل الاندلس تلك الطريقة في الكلام قائلا: - "فما يُرتجى من قوم تغيرت سنتهم وأقوالهم وتبدلت سيرهم واحوالهم ... لا فرق عندهم بين الفلك والفلق ولا بين الملك والملق، والخيل والخنق، والشرك والشرق، والدرك والدق"^(١٢). وهو دليل على ان اللغة العربية قد اصابها هذا الوهن في اللهجة الدارجة في غرناطة في تلك الفترة ربما بسبب مجاورتهم للاسبان، مما انعكس سلباً على تلك الوثائق لانها كتبت بهذه الظروف التي مرت بها اللغة، وجعل من الصعوبة نوعاً ما من التعرف على بعض الكلمات لاسيما الاعلام الجغرافية والالقباب وبعض الكلمات الدارجة التي ذكرتها تلك الوثائق. والاهم من هذا هو ورود شخصيات اسبانية تعمس علينا التعرف عليهم بسبب تلك المشكلة. يضاف الى ذلك عدم تشابه رسوم الحروف اذ تختلف الخطوط من وثيقة الى اخرى، لتباين شخوص كاتبها، فظلا عن انها كتبت بفترات زمنية متفاوتة.

وتأتي اهمية هذه الوثائق اذ انها تعد شاهد حي يوثق الحدث لحظة وقوعه، وكتبت بلهجة أهل الاندلس الدارجة لتكون وثيقة لا تقبل الشك والتزوير لا بتعادها عن الالهواء والميولات الشخصية اذ ان التاريخ الذي وصل الينا كتبه بعضهم بميولات واهواء ورغبات شخصية يتناغم مع توجه المؤرخ وخلفيته الفكرية والاجتماعية والدينية والسياسية، وهذه الوثائق عاشت مع المجتمع آنذاك فسجلها اصحابها كما هي من غير زيادة ولا نقصان، وفصلاً عن هذا فقد قيدت بحضور شهود عدول شهدوا على صحتها، وايضا فقد سلطت الضوء على عقود أهل غرناطة الشرعية في البيع والشراء ونوعية هذه العقود فتذكر فيها الشخصيات المتعاقدة ولقبه ذاكراً في بعض الاحيان مهنة هولاء فمنهم القاضي والقائد والفقيه ... وغيرهم، فضلاً عن المكان المباع اذا كان دار او بستان أو غير ذلك وما يحده من اماكن فتذكر في العقد حدود هذه العقار المباع من كل الاتجاهات، وايضا فقد سلطت هذه الوثائق الضوء على العملة الغرناطية المتداولة في ذلك الوقت فتذكر تفاصيل العملة منها تعاملهم بدنانير الذهب ودنانير الفضة، فصل القول بها أبْن الخطيب قائلاً: - "وصرفهم فضة خالصةً وذهبٌ إيريزٌ طيب محفوظ ودرهمٌ مربع الشكل من وزن المهدي القائم بدولة الموحدين في الأوقية منه سبعون درهماً يختلف الكتب فيه. فعلى عهدنا في شق " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وفي شق آخر " لا غالب

إلا الله غرناطة". ونصفه وهو القيراط في شق "الحمد لله رب العالمين" وفي شق وما النصر إلا من عند الله. ونصفه وهو الربع في شق "هدى الله هو الهدى". وفي شق العاقبة للتقوى. ودينارهم في الأوقية منه ستة دنانير وثلثا دينار وفي الدينار الواحد ثمن أوقية وخمس ثمن أوقية وفي شق منه قل اللهم مالك الملك بيدك الخير ويستدير به قوله تعالى "إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم". وفي شق الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن نصر أيد الله أمره. ويستدير به شعار هؤلاء الأمراء لا غالب إلا الله. ولتاريخ تمام هذا الكتاب في وجه "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون". ويستدير به لا غالب إلا الله. وفي وجه الأمير عبد الله الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر أيد الله وأعانه، ويستدير بربع بمدينة غرناطة حرسها الله^(١٤).

ومن خلال بعض الوثائق التي حققها لوثينا نرى أنها تذكر ان الدينار الذهبي يعادل سبعة ونصف من الدنانير الفضية، والدينار الذهبي يساوي خمس وسبعون درهماً فضياً وكان الدرهم هو وحدة العملة الفضية المتداولة، ودينار الفضة يساوي عشرة دراهم فضية^(١٥) وهي التي ذكرت في الوثائق التي بين أيدينا بقولهم دنانير من الفضة العشرية، وعليه يستنتج لوثينا المعادلة الآتية :-
دينار ذهبي واحد = ٧,٥ من الدنانير الفضية = ٧٥ درهماً فضياً^(١٦).

و"أما أوزان تلك العملات فقد كانت الدنانير تزن ٤,٦٠ جرامات، أما نصف الدينار فكان يزن ٢,٣٥ جراماً، مع وجود بعض القطع الصغيرة من الذهب المسماة الدنانير الصغيرة (الدينارينز) وكانت مربعة الشكل وأوزان ضئيلة لم تتجاوز ٠,٢٠ جراماً، أما الدراهم فكان يصدر درهماً ونصف درهم وربيع درهم وثمان درهم بأوزان ١,٥٠، ٠,٧٥، ٠,٥٥، ٠,٢٦، جراماً على التوالي، وكل هذه العملات كانت تحافظ على الشكل المربع الدرهم الموحدين ولكن بتغيرات في الكتابة لتواكب عصر الاصدار"^(١٧).

وبقي ان نقول أن الباحث أستفاد من كتاب وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي لمحققه سيكو دي لوثينا، صاحب الفضل في جمع تلك الوثائق وتحقيقها.

وتأتي تلك الاستفادة من ان معظم الوثائق تأتي على نسق واحد في كتابة عقود البيع والشراء أذ انها تكون ذات صيغة واحدة تعد شرعية أي أن عملية البيع والشراء لا تتم الا بتلك الصيغة المعدة سلفاً لمثل هذه المعاملات فبقارن الباحث بينها وبين ما توفر لديه من وثائق، ومن خلال تلك المقارنة استطاع الباحث قراءة ما أبهم عليه من كلمات في تلك الوثائق نظراً لتمامها كما أسلفنا. وقد رتب الباحث تلك

الوثائق ترتيباً تاريخياً إذ أن تلك العقود كانت تذييل بتاريخ لكتابة العقود. وقام الباحث كذلك بترقيم كل سطر من المخطوطة وفق عدد الكلمات في المخطوطة. كذلك عرفنا بعض الاعلام الجغرافية من مدن واماكُن ذكرتها الوثائق معولين على شهرة تلك الاماكن من جهة وورودها بالمعاجم الجغرافية من جهة اخرى، او تعريفها من خلال الوثيقة نفسها بما حملته من وصف مقتضب لتلك الاماكن، واعتمادنا على الوثائق هنا جاء بعد ان لم نتمكن من ايجاد تلك الاعلام بالمعاجم الجغرافية. وضمن البحث نماذج لتلك الوثائق للاطلاع عليها من قبل الباحثين لمعرفة نوعية الخط المستعمل وكيفية صياغة تلك العقود.

الوثائق

الوثيقة الاولى

وصف عام للوثيقة:

١. تبدء الوثيقة: بالبسملة والصلاة على الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم).
٢. كتبت الوثيقة: بالخط الاندلسي.
٣. تتكون الوثيقة: من إثني عشر سطرا.
٤. نوع الوثيقة: عقد بيع وشراء دار.
٥. المشتري: أبو جعفر أحمد بن سعيد الاشكاز.
٦. البائع: عائشة بنت أبو عثمان سعد الحيني.
٧. الموقع: ربض البيازين في غرناطة.
٨. المبلغ: ثلاثون دينار ذهب نقداً.
٩. التاريخ: السابع من جمادى الثانية من عام ٨٣٦هـ / ٢٨ - يناير - ١٤٣٣م.
١٠. تنتهي بامضاءات غير مقروءة.

التحقيق:

١. بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وسلم.
٢. أشتري أبو جعفر أحمد بن سعيد الاشكاز من عائشة أبنة

٣. أبي عثمان (عثمان) ^(١٨) سعد الحنيني جميع الدار الكائنة بالكدية ^(١٩) من
٤. ربض البيازين ^(٢٠) خارج غرناطة المحروسة قبليها ^(٢١) وجوفيها ^(٢٢) وغريها
٥. الطريق وشرقيها الرابطة ^(٢٣) بحقوقها كافة ومنافعها
٦. عامة اشترأ تاماً بثمن عدته ثلاثون دينرا ^(٢٤) من الذهب بالصرف
٧. المعتاد قبضتها البائعة بجملتها وصارت بيدها وابراته منها
٨. اتم ابرا وبذلك خلص للمشتري تملك مشتراه خلوصاً تاماً على
٩. السنة في ذلك والمرجع بالدرك ^(٢٥) وبعد النظر والتقليب
١٠. والرضا وعرفا قدره واشهدا به من عرفهما بحال صحة وجواز
١١. في السابع لشهر جمادى الثانية عام ستة وثلاثون وثمان
١٢. مائه (امضاء غير مقروءة).

الوثيقة الثانية:

وصف عام للوثيقة:

١. تبدء الوثيقة بالبسملة والصلاة على الرسول محمد واله.
٢. كتبت الوثيقة بالخط الاندلسي.
٣. تتكون الوثيقة من عشرين سطراً.
٤. نوع الوثيقة: عقد بيع وشراء دار.
٥. المشتري: أبو عبد الله محمد بن علي العراش.
٦. البائع: عائشة بنت محمد بن أبي شامه.
٧. الموقع: غرناطة.
٨. الثمن: تسعة عشر دينارا من الذهب.
٩. التاريخ: الثاني لذي القعدة عام ٨٥٣هـ / ١٦ - ديسمبر - ١٤٤٩ م.
١٠. تنتهي بامضاء غير مقروءة.

التحقيق:

١. بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وعلى اله وسلم
٢. أشتري أبو عبد الله محمد بن علي العراش من عائشة
٣. بنت محمد بن أبي شامة جميع المصرية^(٢٦) الكائنة بقرب
٤. مسجد البصيلي من السند^(٢٧) من غرناطة المحروسة قبلها
٥. بطزالة جوفها العشاب شرقيها الجرف والزقاق
٦. غربيها الزقاق وطزالة بحقوقها وحرمةا ومدخلها
٧. ومخرجها وكافة منافعها اشترا تاما بثمن قدره
٨. تسعة عشر دينرا من الذهب بالصرف المعتاد قبضتها
٩. البائعة وصارت بيدها وبراته منها أتم ابرا وبذلك
١٠. خلص للمشتري تملك المبيع خلوصاً تاماً على السنة
١١. في ذلك والمرجع بالدرك وبعد النظر والتقليب (والرضا)^(٢٨)
١٢. والعلم بانها للبناء والاصلاح بشق وبق مجرفة (مركونة)^(٢٩)
١٣. مطمرة المرحاض ومرحاضها مشترك مع العشاب و(الحائط)^(٣٠)
١٤. الذي بالجهة القبلية مشترك مع طزالة وبين المصرية
١٥. المبيعة وبين مسكن طزالة لما قناة لماء الغرس فرضيها
١٦. المشتري كذلك والتزمها وعرفا قدره واشهدا به من
١٧. عرفها بحال صحة وجواز في الثاني لذي القعدة عام
١٨. ثلاثة وخمسين وثمان مائه وبالمصرية المبيعة ارى بقرب من
١٩. طزالة وبمسكن طزالة ارى يضر بها فرضيها كذلك والتزمها
٢٠. وفي تاريخه والاشهاد. (امضاء غير مقروء).

الوثيقة الثالثة:

وصف عام للوثيقة:

١. تبدأ الوثيقة بالبسملة والصلاة على الرسول محمد واله.
٢. كتبت الوثيقة بالخط الاندلسي.
٣. تتكون الوثيقة من اربع فقرات ثلاث منها في الصفحة الاولى والرابعة بظهرها.

الفقرة الاولى من الوثيقة في الصفحة الاولى.

١. تتكون من احدى عشر سطراً.
٢. نوع الوثيقة: عقد بيع وشراء بور.
٣. المشتري: أبو عبد الله محمد بن سعيد مهدي.
٤. البائع: أبراهيم بن أبي القاسم التونسي.
٥. الموقع: الربيط في غرناطة.
٦. الثمن: خمسون دينار من الفضة والدنانير العشرية منجماً والباقي تدفع على دفعات.
٧. التاريخ: السابع عشر من ذي الحجة من عام ٨٨٧هـ / ٢٦ - يناير ١٤٨٣ م.
٨. تنتهي بامضاءات غير مقروءة.

التحقيق:

١. بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد واله
٢. أشتري المكرم ابو عبد الله محمد بن سعيد مهدي من المقدم
٣. ابراهيم ابن أبي القاسم التونسي جميع البور الكائن بالربيط^(٣١) من خارج غرناطة
٤. المحروسة قبلية الحمى وجوفية الشاقي وشرقية المجر وغربية الحمى بحقوقه وحرمة
٥. ومدخله ومخرجه وكافة منابعه اشترى تاماً بثمن قدره خمسون دينرا
٦. من الفضة والدنانير العشرية من السكة الجديدة قبض البائع منها ومن صفتها

٧. عشرين دينرا و ابرا المشتري من ذلك أتم ابرا والباقي تدفع عند انقضا شهر (من) ^(٣٢) تاريخه
٨. وبذلك خلص للمشتري تملك مشتراه خلوصا تاما على السنة في ذلك
٩. والمرجع بالدرك وبعد النظر والتقليب والرضا وعرفا قدره واشهدا به
١٠. من عرفهما بحال صحة وجواز في السابع عشر لشهر ذي الحجة متمم عام سبعة
١١. وثمانين وثمان مائة امضاءات غير مقروءة.

الفقرة الثانية من الوثيقة في الصفحة الاولى.

١. تتكون الفقرة من خمسة أسطر.
٢. قبض مبلغ من المال من قبل البائع وقدره خمسة عشر دينارا من الفضة والدنانير العشرية.
٣. التاريخ: الثاني عشر من ذي الحجة لعام ٨٨٧هـ / ٢١ - يناير - ١٤٨٣ م.
٤. تنتهي بتواقيع غير مقروءة.

التحقيق الخاص بهذه الفقرة:

١. الحمد لله قبض البائع المذكور اعلاه من المشتري المذكور اعلاه
٢. من الثمن المذكور فيه خمسة عشر دينرا من الفضة والدنانير
٣. العشرية من السكة الجديدة وصارت بيده و ابرا من ذلك اتم
٤. ابراء وعرف قدره وشهد عليه بذلك من عرفه بحال صحة وجواز في الثاني
٥. والعشرين لذي الحجة متمم عام سبعة وثمانين وثمان مائة .تواقيع غير مقروءة.

الفقرة الثالثة من الوثيقة في الصفحة الاولى.

١. تتكون الفقرة من خمسة أسطر.
٢. قبض البائع دفعة أخرى من المبلغ المتبقي على المشتري وقدره سبعة دنانير ونصف من الفضة والدنانير العشرية.
٣. التاريخ: التاسع عشر لمحرم للعام الهجري ٨٨٨هـ / ٢٦ - فبراير - ١٤٨٣ م.
٤. تنتهي بتواقيع غير مقروءة.

التحقيق الخاص بهذه الفقرة

١. الحمد لله قبض البائع المذكور فوقه من المشتري منه من الثمن فيه
٢. سبعة دنانير ونصف دينار من الفضة والدنانير العشرية من السكة
٣. الجديدة وصارت بيده وإبراه من ذلك اتم ابراء وعرف قدره وشهد عليه
٤. بذلك من عرفه بحال صحة وجواز في التاسع عشر لمحرّم فاتح عام ثمانية وثمانين
٥. وثمان مائه . (تواقيع غير مقروءة).

الفقرة الرابعة والاخيرة والتي كتبت بظهر الوثيقة.

التحقيق الخاص بهذه الفقرة

١. تتكون الفقرة من اربعة أسطر.
٢. قبض الدفعة النهائية والمتبقية بذمة المشتري من قبل البائع.
٣. التاريخ: الحادي عشر من صفر للعام الهجري ٨٨٨هـ / ٢٦ - فبراير - ١٤٨٣ م.
٤. تنتهي بتواقيع غير مقروءة.

التحقيق:

١. الحمد لله تخلص البائع بمحولة من المشتري بمحولة من بقية الثمن
٢. تخلصاً تاماً بقبض مستوفياً على كمال وتمام وعرف قدره وشهد
٣. عليه بذلك من عرفه بحال صحة وجواز في الحادي والعشرين لصفر
٤. عام ثمانية وثمانين وثمان مائة . (تواقيع غير مقروءة).

الوثيقة الرابعة:

١. تبدأ الوثيقة بالبسملة والصلاة على الرسول محمد واله .
٢. كتبت الوثيقة بالخط الاندلسي.
٣. تتكون الوثيقة من اثنا عشر سطراً.

٤. نوع الوثيقة: عقد بيع وشراء كروم.
٥. المشتري: أبو الحسن علي بن إبراهيم المدني.
٦. البائع: اخوه عبد العزيز بن إبراهيم المدني.
٧. الموقع: جبل عين الدمع بغرناطة.
٨. الثمن: تسعون ديناراً من الذهب.
٩. التاريخ: التاسع من رجب للعام الهجري ٨٨٨هـ / ١٢ - اغسطس - ١٤٨٣ م.
١٠. تنتهي بامضاء جانبي غير مقروء.

التحقيق :

١. بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد واله
٢. أشتري المكرم أبو الحسن علي بن إبراهيم المدني من شقيقه عبد العزيز
٣. جميع الكرم بجبل عين الدمع خارج الحضرة قبلية الصندل وجوفيه
٤. ابن الفقيه وشرقيه شقيق المتبايعين محمد وغريبه مخدع بحقوقه وحرمة
٥. ومدخله ومخرجه اشترى تاماً بثمن قدره تسعون ديناراً من الذهب بصرف الفضة
٦. المعتاد من السكة البالية المطبوعة قبضها البائع بجملتها وصارت بيده
٧. وبراءه منها اتم ابرا وخلص بذلك للمشتري تملك مشتراه اتم خلوص واعمه على السنة
٨. والمرجع بالدرك ولم يبق للبائع فيه بقية حق بوجه ولا بحال وبعد النظر والتقليب
٩. والعلم بانه بعل فرضيه بذلك والتزمه وبلازمة المخزني وعرف قدره
١٠. واشهدا به من عرفه بحال صحة وجواز في التاسع لرجب الفرد المبارك من عام
١١. ثمانية وثمانون وثمان مائه.
١٢. (امضاء جانبي غير مقروء).

الوثيقة الخامسة

وصف عام للوثيقة:

١. تبدء الوثيقة بالبسملة والصلاة على الرسول محمد واله.
٢. كتبت الوثيقة بالخط الاندلسي.
٣. تتكون الوثيقة من تسعة اسطر.
٤. نوع الوثيقة: عقد بيع وشراء فدان أرض.
٥. المشتري: فاضل بن سعيد المولود.
٦. البائع: أحمد بن محمد الحاج.
٧. الموقع: الطفير خارج غرناطة.
٨. الثمن: أربعة دنانير ذهب بصرف الفضة.
٩. التاريخ: شعبان من عام ٨٩٠هـ/ اغسطس - ١٤٨٥ م.
١٠. (تنتهي بامضاءات غير مقروءة).

التحقيق:

١. بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد واله
٢. اشترى المكرم فاضل بن سعد المولود من أحمد بن محمد الحاج
٣. جميع الفدان السقوي بطفير^(٣٣) بل البعلي^(٣٤) السفلي خارج غرناطة قبله عبد الله^(٣٥) جوفية الاحباس شرقية
٤. الوادي غربية الشرقي وبحقوقه وحرمة ومدخله ومخرجه اشترى تاما بثمن
٥. قدره احد واربعون دينرا من الذهب بصرف الفضة المعتاد من السكة الجديدة قبضها
٦. وأبراه منها وبذلك خلص للمشتري تملك ماذكر على السنة والمرجع بالدرك وبعد التقلب
٧. والعلم بانه (رمله ومجر سيل)^(٣٦) ويضر به الوادي فرضيه كذلك والتزمه وبلازمه وعرفا معا

٨. قدره واشهدا به على نفسها في الصحة والجواز وعرفها في (مستفتح) ^(٣٧) شعبان من عام تسعين

٩. وثمان مائه فيه ملحق بل البعلي صح به . (امضائين غير مقروئين).

الوثيقة السادسة

وصف عام للوثيقة:

١. تبدء الوثيقة بالبسملة والصلاة على الرسول محمد واله.
٢. كتبت الوثيقة بالخط الاندلسي.
٣. تتكون الوثيقة من أثنى عشر سطراً.
٤. نوع الوثيقة: عقد بيع وشراء غرفة.
٥. المشتري: فاطمة بنت أحمد الجنان.
٦. البائع: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الرندي.
٧. الموقع: حي البيازين في غرناطة.
٨. الثمن: ستة عشر دينار فضية عشرية.
٩. التاريخ: الرابع والعشرين من صفر لعام ٩٠٥هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٤٩٩م.
١٠. تنتهي بامضاء غير مقروءة.

التحقيق:

١. بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وسلم
٢. اشترت العجوز المباركة فاطمة بنت احمد الجنان من
٣. المكرم الافضل ابي عبد الله محمد بن عبد الله الرندي جميع الغرفة
٤. الكاينة بقرب مسجد ششونه بالبيازين قبلها المريني
٥. وجوفها ابن فرج وشرقيها الزقاق وغربيها الموقر بثمان

٦. قدره ستة عشر دينارا فضية عشرية قبضها البائع وصارت
٧. بيده وبراها منه ابراً تاماً وبذلك خلص للمشتري تملك
٨. الغرفة المذكورة خلوصاً تاماً وعلى السنة والمرجع بالدرك
٩. وبعد النظر والتقليب والرضا وعرف قدره واشهد بذلك
١٠. من عرفهما بحال صحة وجوار في الرابع والعشرين لصفر
١١. عام خمسة وتسعمائة. (امضاءات غير موقعة)
١٢. (ثلاث كلمات اشبه بالامضاء غير مقروءة)

الوثيقة السابعة

وصف عام للوثيقة:

الصفحة الاولى :

١. تبدء الوثيقة بحمد الله تعالى^(٣٨).
٢. كتبت الوثيقة بالخط الاندلسي.
٣. تتكون الوثيقة من أربعة عشر سطراً أفقي وثلاثة أسطر جانبية وعي الوحيد من الوثائق التي كتبت بهذه الصورة.
٤. نوع الوثيقة : تجديد ولاء بين مسلم ونصراني.
٥. الطرف الاول: أبو عبد الله لطف الله.
٦. الطرف الثاني: قردنال (الكاردنال) لم يذكر اسمه سوى القاب التفخيم والتبجيل له.
٧. الوسيط وحامل الرسالة: محمد العبادي.
٨. التاريخ: عاشر شهر ربيع الثاني لعام ٩١٨هـ / ٢٤ - يونيو - ١٥١٢ م.
٩. امضاء غير مقروءة مكتوب في اعلى اليمين من الصفحة الاولى.

التحقيق:

١. الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
٢. السيد الاجل الاعز الاحب الافضل الاكمل
٣. القردنال اكرمه الله بعد السلام عليكم
٤. والسؤال عن كافة احوالكم اجراها الله
٥. على ما يسركم ويرضيكم نحن على صحبتكم وحفظكم
٦. ورعي جانبكم لانكم عندنا في ذاك المكان
٧. بمنزلة الصاحب الصديق وعوض منا وجراية
٨. علينا عند السلطان المعظم الكبير القدر
٩. دُنْ هَرَادُوا نصره الله ولا عندنا الا محبته وصحبته
١٠. وقربه والوفاء بما عملنا معه بنية خالصة
١١. وجاءنا كتابكم صُحبة ثقتنا وأمين سرنا
١٢. سيد محمد العبّادي وعرفنا من محبتكم في جانبنا
١٣. وما عملتم في حقنا وفي قضاء حوائجنا وما عملتم
١٤. مع قائدنا سيد محمد العبادي من الخير والفرح والاکرام

ثم يكتب الكاتب ثلاثة اسطر جانبية اولها

١. الله يجازيكم خير هذا ظننا فيكم الحمد لله الذي ما خابت محبتنا فيكم
٢. الله يعيننا على مكافاتكم ولا قوة الا بالله وكتب المتوكل على الله ابو عبد الله لطف الله
٣. وكتب في عاشر ربيع الثاني عام ثمانية عشر وتسع مائة عرفنا الله خيره .
٤. امضاء في الجانب الاعلى الايمن من هذه الصفحة غير مقروء .

الصفحة الثانية (ظهر الصفحة)

وفي ظهر الصفحة كتب عليها سطر واحد:

١. السيد الاجل الاعز الاحب القرطنال اكرمه الله.

الوثيقة الثامنة

وصف عام لوثيقة:

١. تبدي الوثيقة باحرف مبهمه ترمز الى شي لم افهمه
٢. تبدء الوثيقة بحمد الله.
٣. كتبت الوثيقة بالخط الاندلسي.
٤. تتكون الوثيقة من سبعة اسطر.
٥. نوع الوثيقة: سداد دين.
٦. الراعي: أبراهيم عطية.
٧. القابض: أبراهيم البوري.
٨. التاريخ: خلت منه الوثيقة.
٩. تنتهي بامضاء غير مقروءة.

التحقيق:

١. ع م مح / (٣٩)
٢. الحمد لله تحاسب الراعي أبراهيم
٣. عطية والقابض أبراهيم البوري أعزهما الله في مدة من ثلاثة وأربعين
٤. شهراً آخرها شهر ذي الحجة متمم عام (٤٠) وتبقى للرامي المذكور قبل
٥. القابض المذكور بالعدد المخرج ولكن ذلك بغير موافقة
٦. القابض حتى يتأمل نفسه في ذلك فيما بين القابض وبين
٧. مكري الحمام بالسباطيرين المعلم احمد التلمساني وكمل في عشرة جمدي الاولى عام (٤١)
٨. وتم هذا وكان الحساب بالحضرة. امضاءات غير مقروءة.

الخاتمة

١. أهتم البحث في ابراز الجوانب الاقتصادية من خلال الوثائق الاندلسية نظراً لما فيها من معلومات قيمة في هذا المجال.
٢. ذكر كتاب الوثائق الاسعار التي بيعت بها البساتين والغرف وغيرها.
٣. كتبت الوثائق في كثير من فقراتها بلهجة اهل الاندلس الدارجة، وهي تعرفنا على بعض المفردات التي كانت متداولة في ذلك الوقت وامكنا التعرف عليها.
٤. اعتناء كتبت الوثائق بتاريخ انشائها بدقة كبيرة باليوم والشهر والسنة.
٥. اهتمام الكتاب بكتابة اسماء البائعين والمشتريين وباسمائهم الكاملة والقباهم التي اشتهروا بها.
٦. حدد كتاب الوثائق المواقع الجغرافية للبساتين والغرف والفدادين وذلك بتحديد موقعهم جغرافيا شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وهو مايسهل على الباحثين تحديد تلك الاماكن بالنسبة لغرناطة.
٧. الملاحظ على تلك الوثائق انها امتازت بتشابهها في المقدمات والخواتيم، من حيث اسلوبها وصياغتها.
٨. كتبت الوثائق من قبل بعض الاشخاص بخط سي وخالي في بعض الاحيان من النقاط، وتشابك الخطوط احيانا، مما عسر قراءة بعض الكلمات.
٩. صعوبة قراءة بعض الكلمات احيانا مما اضطر الباحث الى قراءتها كما هي يساعدها في بعض الاحيان ان الكلمات كتبت بلهجة اهل الاندلس الدارجة، وهي من الصعوبة بحيث يصعب على الباحث قرائتها.
١٠. تنتهي تلك الوثائق بتواقيع لاولي الشأن من اصحاب الوثائق، وعادة ما تكون تلك التواقيع باسفل الكتاب، وفي بعض الاحيان تاخذ جانبا من الوثيقة.

الهوامش

- ١ سورة البقرة: الآية: ١٨٨.
- ٢ محمد بن أحمد بن أبي سهل، (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)، المبسوط، دار المعرفة، (بيروت، ١٩٩٣م)، ج ٣٠، ١٦٨.
- ٣ سورة البقرة: الآية: ٢٨٢.
- ٤ سورة النساء: الآية: ٦.
- ٥ سورة الطلاق: الآية: ٢.
- ٦ أبو اسحاق ابراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن، (ت ٥٧٩هـ / ١١٨٣م)، الوثائق المختصرة، أعداد مصطفى ناجي، مركز احياء التراث المغربي، (الرباط، ١٩٨٨م)، ص ١٣.
- ٧ المصدر نفسه، ص ١٠.
- ٨ الونشريسي، ابو العباس احمد بن يحيى بن عبد الواحد، (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م)، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأداب الموثق وأحكام الوثائق، تحقيق لطيفة الحسني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (المغرب، ١٩٩٧م)، ص ٣٣.
- ٩ أبو عمرو عثمان بن سعيد، (ت ٣٧١-٤٤٤هـ)، المحكم في نقط المصحف، تحقيق عزة حسن، دار الفكر، ط ٢، (لبنان، ١٩٩٧م)، ص ٣٧.
- ١٠ أبو العباس احمد بن عبد المؤمن القيسي، شرح مقدمات الحريري، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (بيروت، بلا)، ج ٣، ص ١٣٦.
- ١١ الامالة :- هي ان تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالف نحو الياء، في غير قلب خالص ولا اشباع مبالغ فيه، مثل باب تلفظ بيب . ينظر غالاً، انطونيو، غرناطة بني نصر، ترجمة، رفعت عطفة، دار ورد للطباعة، (دمشق، ٢٠٠٩)، ص ٢٠٥.
- ١٢ محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلمياني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ج ١، ص ١٣٤.
- ١٣ مجهول، من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، طرفة الظريف في اهل الجزيرة وطريف، تحقيق، محمد بن شريفة، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، ع ١، (١٩٧٧م)، ص ٣٧.
- ١٤ ابن الخطيب، الاحاطة، ج ١، ص ٣٩.
- ١٥ لويس سيكودي، وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد، ١٩٦١م)، ص ١٨.
- ١٦ المصدر نفسه، ص ١٨.
- ١٧ البرتو كانتو، الاندلس وعملياتها، بحث منشور في كتاب روائع أندلسية إسلامية، ترجمة صبري التهامي، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة، ٢٠٠٤م)، ص ١٣٦.
- ١٨ عثمان: كتبت بالرسم القراني.
- ١٩ الكدية: الكدية في اللغة المكان المرتفع من الارض، وهي موقع قرب غرناطة .
- ٢٠ ربض البيازين: بالاسبانية Albaicin يقع في مدينة غرناطة وهو احد أشهر احياء غرناطة يقع شرقي غرناطة، يشتهر بكثرة العمارة فيه، وكان يخرج منه نحو خمسة عشر الف مقاتل . ينظر القلقشندي، شهاب الدين ابو احمد بن علي، (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين ويوسف

- الطويل، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٧م)، ٥، ص ٢٠٧، ٢٠٩.
- ٢١ قبلي: جهة الجنوب. ينظر دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، (العراق، ١٩٩٧م)، ج ٨، ص ١٧٧.
- ٢٢ جوفي: جهة الشمال. كما يتضح من السياق، اذ ان بصدد ذكر الجهات الاربعة للدار فذكر جميع الجهات وبقية جهة الشمال وهي المقصوده بهذه الكلمة.
- ٢٣ الرابطة: ملجا يسكنها الزهاد، وينصرفون فيه الى العبادة، أو هي زاوية أو دير، او احيانا تطلق على المسجد خارج المدينة. ينظر دوزي، تكملة المعاجم، ج ٥، ص ٧٢.
- ٢٤ تكتب هذه الكلمة في بعض الاحيان هكذا وتاتي بعدها كلمة دينار في اغلب الاحيان ولا اعلم ما المراد من ذلك.
- ٢٥ الدرك: تعني الكفالة والضمان وهو قسمان ريسان، درك العيب اي ضمان العيب، ودرك الاستحقاق، أو درك الاسلام اي ضمان المطالبة والاسترداد. ينظر دوزي، تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٢٣٦.
- ٢٦ المصرية: هي غرفة أو شقة عليا معزولة تُستغل بمثابة بيت سكن أو تكون فوق الدكان أو داره مدخلها من دهليز البيت ومنفصلة عنه تستخدم لسكنى العبيد. ينظر دوزي، تكملة المعاجم، ج ١٠، ص ٧٥.
- ٢٧ جبل السند :- هو احد الذي يشق وسط غرناطة. ينظر عنه العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى ابن فضل الله، (ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، (دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٧١)، ج ٤، ص ١١٩.
- ٢٨ يوجد خرم في الوثيقة وبناء على كتابة الوثائق الماثلة في مثل هذه العقود فان الكلمة التي وضعناها في داخل الاقواس المعقوفة هي الكلمة المناسبة بحسب مقتضيات السياق والوثائق السابقة.
- ٢٩ كلمة غير مفهومة لوجود خرم فيها أنسب قراءة لها هي التي اثبتناها في المتن.
- ٣٠ كلمة غير مفهومة لوجود خرم فيها أنسب قراءة لها هي التي اثبتناها في المتن.
- ٣١ الربيط: موقع يقع بالقرب من غرناطة. ينظر مجهول، بُدّة العصر في اخبار دولة بني نصر، تحقيق، محمد رضوان الداية، ط ٢، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، (بيروت، دمشق، ٢٠٠٢م)، ص ١٠٢.
- ٣٢ توضع هذه الكلمة هنا ليستقيم المعنى.
- ٣٣ طفير السفلي: مكان بالقرب من غرناطة حسبما يظهر من الوثيقة.
- ٣٤ كتبت هذه الكلمة فوق كلمة طفير والسبب في كتابتها هنا ربما كتبها بعد ان اتم الوثيقة فتداركها. والبعل :- البعل المرتفع من الارض التي لا يصيبها مطر الا مرة واحدة في السنة، وقال الجواهري لا يصيبها سيح ولا سيل. ينظر، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد الإفريقي، (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق وإعداد يوسف خياط، بلاط، (بيروت، دار لسان العرب، بلات) مادة بعل.
- ٣٥ هنا مكان لكلمة غير مقروءة. ٣٦ أنسب قراءة لهذه الكلمات.
- ٣٧ كلمة غير مقروءة ربما تقراء مستفتح ليستقيم المعنى.
- ٣٨ لم تبداء هذه الوثيقة بالسلمة كالاعتاد في الوثائق السابقة وانما بدت بحمد الله وربما يعود ذلك لان المراسلة كانت بين مسلم ومسيحي ولاسيما بعد سقوط غرناطة وبدء عهد سيطرة الاسبان على الاندلس وبداية عهد القوة لهم وضعف العرب فلم يجزء هذا الكاتب على كتابة استفتاحيته المعتادة عند المسلمين لاسيما واسلوب التودد ضاهر من خلال تلك الوثيقة للاسبان .
- ٣٩ رموز لا تفهم ترمز الى التاريخ ولا اعلم لماذا لم يكتب التاريخ بصورة واضحة مثل بقية الوثائق.
- ٤٠ نفس الرموز السابقة التي تشير الى التاريخ.
- ٤١ نفس الرموز السابقة التي تشير الى التاريخ.

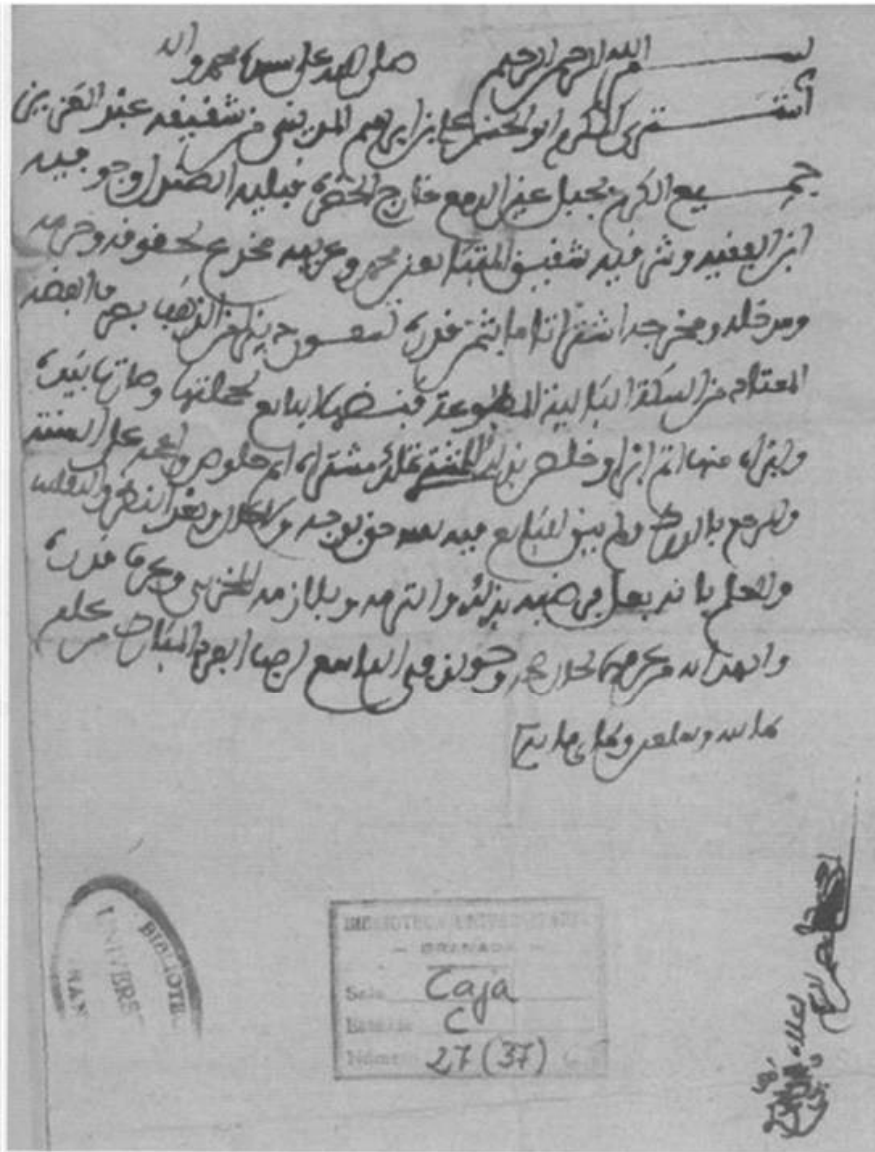
قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابو اسحاق ابراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن، (ت ٥٧٩هـ / ١١٨٣ م).
- ١. الوثائق المختصرة، أعداد مصطفى ناجي، مركز احياء التراث المغربي، (الرباط، ١٩٨٨ م).
- البرتو كانتو.
- ٢. الاندلس وعلامتها، بحث منشور في كتاب روائع أندلسية إسلامية، ترجمة صبري التهامي، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة، ٢٠٠٤ م).
- دوزي، رينهارت.
- ٣. تكملة المعاجم العربية، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، (العراق، ١٩٩٧ م).
- ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السِّلْماني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤ م).
- ٤. الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣ م).
- ابو العباس احمد بن عبد المؤمن القيسي.
- ٥. شرح مقدمات الحريري، تحقيق أبو الفضل أبراهيم، المكتبة العصرية، (بيروت، بلات).
- أبو عمرو عثمان بن سعيد، (ت ٣٧١-٤٤٤هـ).
- ٦. المحكم في نقط المصحف، تحقيق عزة حسن، دار الفكر، ط ٢، (لبنان، ١٩٩٧ م).
- العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى ابن فضل الله، (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ م).
- ٧. مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، (دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٧١).
- غالاً، انطونيو.
- ٨. غرناطة بني نصر، ترجمة، رفعت عطفة، دار ورد للطباعة، (دمشق، ٢٠٠٩).
- القلقشندي، شهاب الدين ابو احمد بن علي، (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م).
- ٩. صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين و يوسف الطويل، دار

- الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٧م).
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الائمة، (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)
- ١٠. المبسوط، دار المعرفة، (بيروت، ١٩٩٣م).
- لويس، سيكودي لوثينا.
- ١١. وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد، ١٩٦١م).
- مجهول، من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.
- ١٢. طرفة الظريف في اهل الجزيرة وطريف، تحقيق، محمد بن شريفة، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، ١٤، (١٩٧٧م).
- مجهول.
- ١٣. نبذة العصر في اخبار دولة بني نصر، تحقيق، محمد رضوان الداية، ط٢، دار الفكر المعاصر، دار الفكر (بيروت، دمشق، ٢٠٠٢م).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد الإفريقي، (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م)
- ١٤. لسان العرب، تحقيق وإعداد يوسف خياط، بلاط، (بيروت، دار لسان العرب، بلات).
- الونشريسي، ابو العباس احمد بن يحيى بن عبد الواحد، (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م).
- ١٥. المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأداب الموثق وأحكام الوثائق، تحقيق لطيفة الحسني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (المغرب، ١٩٩٧م).

الملاحق

نماذج للوثائق الواردة في البحث



وثيقة رقم (٦)

الفصل الرابع: الاعياد والأزياء الإسبانية وصداها في المجتمع الاندلسي

المقدمة

تُعد شبه جزيرة أيبيريا محط تلاقي الحضارات وتلاقي الأمم ذات الثقافات المختلفة من عرب وبربر وقوط ويهود وبقايا الرومان وغيرهم، ونتيجة للتفوق الحضاري للعرب على جيرانهم الإسبان ومن خلفهم الأوربيين فقد حطت قوافل طالبي العلم من طلبة وعلماء ورحالة وسفراء أوربيين رحلهم في بلاد الاندلس مشعل المعرفة في ذلك الوقت وقصدوا مكتبات قرطبة ومرسية وغرناطة وإشبيلية وغيرها من مدن الاندلس للاستزادة من علوم جيرانهم المسلمين، وكان لشركاء الأرض أثر مساهمتهم في الحياة العامة جنب إلى جنب مع المسلمين إذا ساهموا بصورة واضحة في تكوين الهوية الاندلسية عن طريق ذوبانهم في تعلم الحضارة الإسلامية واندماجهم في المجتمع، فمثلا ساهمت المصاهرة بين العرب والإسبان في خلق جيل جديد يحمل ثقافة الإسبان من جهة الأم وثقافة المسلمين من جهة الأب، وظهر ما يعرف بجيل المولدين الجيل الناشئ نتيجة لهذا الزوج، إذ ساهم هذا الجيل في نقل الموروث الحضاري لكلا الطرفين، وغيرها من عوامل التلاقح الفكري تطرقنا إليها في ثنايا بحثنا هذا.

وكان التأثير الحضاري للعرب على أوروبا واضح لكل ذي لب بحكم معارف العرب المتفوقة، والتخلف الظاهر على المجتمع الأوربي في ذلك الوقت، فاستمد الإسبان من تلك الحضارة ما سدوا به رمقهم المعرفي وحاولوا مجارة المسلمين في علومهم مقلديهم في كل نواحي الحياة، حتى وصل بهم الأمر في بعض الاوقات الى ان نسى شبابهم لغتهم الأصلية واخذوا يكتبون بلغة العرب، وترجموا كتبهم وأناجيلهم وأناشيدهم الى اللغة العربية، وهذا ان دل فإنما يدل على مدى تغلغل الثقافة العربية في المجتمع الآخر غير ان هذه الثقافة التي اكتسبت جلّ معارفها من الثقافة الوافدة على ارضهم لم

تستسلم بل انها جاهدت ان تؤثر بثقافة الاخر محاولة منها لإثبات وجودها، وبالفعل فقد ساهمت في تغذية المجتمع الاسلامي بما تحمله من تأثير مباشر وغير مباشر بثقافات متعددة رغم محدوديتها بالمقارنة مع الثقافة الاسلامية الا ان المتتبع لأثار العرب المسلمين يجد ان الاسبان قد اثروا بالمسلمين بعدة نواحي سوف نتطرق لبعض منها في هذا البحث. الذي سيقسم الى ثلاث محاور:

يتناول المحور الاول: قنوات الاتصال بين العرب واسبانيا.

واما المحور الثاني: وتناول الاعياد الاسبانية واحتفال المسلمين بها.

واخيرا المحور الثالث : الازياء الاسبانية وتأثر المسلمين بها.

المحور الاول: قنوات الاتصال بين العرب واسبانيا.

للتواصل الحضاري بين مجتمعين او اكثر يحتم وجود عدة طرق لهذا الاتصال، والذي يمثل المسلمون والنصارى الحيز الاكبر فيه، فتلاقيا ضمن رقعة جغرافية واحدة وكونا خطين من التأثيرات الثقافية المتبادلة لم تشهد غيرها من الامم مثل هذا التمازج الحضاري اذ "شهدت الاندلس الواناً مختلفة من التيارات الاجنبية تركت تأثيرها عليها بدرجات متفاوتة، الا ان الاتصال بالاسبان كان تأثيره اشد واعمق، اذ لم تكن العلاقة بين الاندلسيين الاسبان عابرة، وانما تعدت الى الاتصال المباشر بين الجانبين مما يترتب على ذلك شيوع الكثير من عادات الاسبان وتقاليدهم في الاندلس"^(١).

وكانت هناك عدة قنوات للاتصال فضلا عن ارض شبه جزيرة ايبيريا نفسها نذكر منها:

١- التجارة :- كان للتجارة دوراً مهماً في عملية التبادل الحضاري بين الطرفين اذ اهتم كلاهما بالتجارة والتجار الذين كانوا ينقلون ثقافة كل طرف الى لطرف الاخر، وقد نصت الكثير من المعاهدات التي كانت تبرم بين الاثنين على ضرورة تسهيل حركة التجارة وتوفير الحماية لهم^(٢). وكانت مدينة المرية الاندلسية ملتقى لتجارة المسلمين والروم ومراكبهم^(٣). وقد ذكر لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) مشاركة التجار الروم لاحتفالات اهل الاندلس قائلاً: "وتأتق من تجار الروم من أستخلص العدل هواه، وتساوى سره ونجواه، في طرق من البر ابتدعوها، وأبواب من الاحتفاء شرعوها، فرقعوا فوق الركاب المولوى على عمد الساج، مظلة من الديباج، كانت على قمر العلياء غمامة وعلى زهر المجد كمامة، فراقتنا بحسن المعاني"^(٤). ولم يقتصر دور التجار على التبادل التجاري بل نقلت "الكتب، التي لم تكن تقتصر على التداول بين الإقران من أبناء الثقافة الواحدة فحسب، بل كانت في الكثير من الأحيان تتم بتكليف من الملوك الذين سمعوا أخبار عن المفكرين

والإعمال الإبداعية والبحثية"^(٥). "ويكفي أن التجارة قد كسرت حاجز الخوف عند الأوروبيين وجعلتهم يتطلعون إلى بلاد جديدة، مما جعلتهم يتعرفون على غرائب الكائنات والموجودات، ومع التجارة كثرت قصص التجارة والرحالة، وهي التي قادت أوروبا إلى الاستكشافات الجغرافية التي قادتهم إلى الأميركيتين"^(٦).

ويتضح من كل ذلك ما للتجارة من اثار حضارية مكنتهم بصورة مباشرة وغير مباشرة من نقل موروثهم الحضاري من وإلى موطنهم.

٢ - السفارات :- واحدة من أهم قنوات الاتصال بين الأمم وقد حرص كلا الطرفين الاسلامي والنصراني "على اختيار سفراء ذوي قدرات عالية، وحنكة ودهاء، وذكاء، وفطنة، عاملاً مهماً من العوامل التي تساعد على انجاز المساعي التي يقومون بها، إلى جانب تحقيق التقارب الثقافي بين الطرفين من خلال إعجاب الملوك بثقافة من يفد إليهم من هؤلاء السفراء، وبخاصة أن بعض هؤلاء السفراء كان يقيم عدة أشهر وربما سنة أو أكثر في بلاط الملك الذي يُتدب إليه"^(٧).

ومن أشهر تلك السفارات سفارة يحيى بن الحكم الغزال (١٥٠ / ٢٥٠هـ)^(٨). وسفارة لسان الدين بن الخطيب^(٩)، وسفارة عبد الرحمن بن خلدون^(١٠).

٣ - الترجمة :- تعد الترجمة واحدة من منافذ عبور من وإلى كل حضارتين متفاعلتين وقد كانت النهضة الحقيقية في أوروبا لم تبدأ إلا منذ القرن الثاني عشر الميلادي حيث افاق الفرنسيون والانجليز والألمان من رقتهم ونفضوا غبار الخمول ووجدوا ضرورة الاشتراك في الحضارة الغربية فأخذ المسيحيون في فرنسا وما جاورها يتوافدون إلى إسبانيا لترجمة الكتب العربية، وأصبح العرب الامثلة العليا للشجاعة والشهامة وعزة النفس ومكارم الاخلاق"^(١١). ومن أشهر المترجمين في مدرسة طليطلة للترجمة هو الايطالي جيرارد الكريموني (ت ٥٨٣هـ / ١١٨٧م)، ويعد من أشهر المترجمين في هذه المدرسة، فقد ترجم حوالي "٧٠" كتاباً، من أشهرها كتاب التصريف لأبي القاسم الزهراوي، والقانون لأبن سينا، ساعده في ذلك مجموعة من المترجمين، أغلبهم من أصل عربي أو من المستعربين، ويدعى أحدهم غلييوس Gallipus، وهو تحريف لأسم غالب^(١٢). ويمكن ان نلمس الاثر الكبير للترجمة "في تعريف أوروبا بإنتاج المسلمين، فهي السبيل الطبيعي للأوروبيين لتحقيق نقل العلوم العربية الإسلامية إليهم، وكان نجاحهم فيها يتميز بالشمولية، ولا تحسب كتاباً عربياً ذا قيمة لم يترجمه المترجمون الأوروبيون، ولا سيما في القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر"^(١٣). وقد شكلت قناة غير مباشرة، ولكنها ملموسة جداً لنقل الثقافة الإسلامية من بلاد الأندلس إلى أوروبا، وأدت

مدارس الترجمة تلك إلى اجتذاب مجموعة من رجال الفكر، ذوي الأصول الأوروبية المختلفة، والمنتسبين إلى الأديان التوحيدية الثلاث (الإسلام، النصرانية، اليهودية) إلى شبه الجزيرة، مما اضطرهم بالضرورة إلى التعايش جنباً إلى جنب، خلال أعمال الترجمة، ليقوموا بعد ذلك بنشر نتائج ترجماتهم للمخطوطات العربية في بلدانهم الأصلية^(١٤). وبفضل هذه الترجمة "دخلت الأرقام العربية إلى الغرب، كما قدمت علم الجبر، وعلم المثلثات، وعلم الهندسة المتقدم، وفوق كل ما سبق، فقد سيطرت المؤلفات العربية في حقل الطب للقرون الوسطى، ولا يحتاج المرء إلى أكثر من أن يتذكر بعض الأسماء التي غدت معروفة بصيغها اللاتينية في هذا المجال، مثل ابن سينا، وهو صاحب كتاب القانون في الطب، والرازي، وموسى، وإسحاق ابن حنين، وإبي القاسم الزهراوي"^(١٥). لذا فإن انتفاضة العقل الاوربي دعمت اساساً بتلك الرحلة الكبرى للمعرفة العربية الاسلامية الى الغرب وذلك عن طريق حركة الترجمة بالأندلس ابتداءً من القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي والتي كانت من نتائجها ترجمة المئات من الكتب العربية الى اللسان الاوربي^(١٦).

٤- المستعربون :- "وهم نصارى الإسبان الذين كانوا يعاشررون المسلمين، ويتكلمون العربية، مع احتفاظهم بدينهم. وكان العرب يسموهم بعجم الذمة، أمّا من كان لهم عهداً منهم، فقد سُموا بالمُعاهدين"^(١٧). ويُعد هؤلاء من أهم العناصر التي عملت على نقل الحضارة العربية إلى إسبانيا، فقد كانوا - وبحكم عملهم - يارسون أشغلاً علمية وعملية مختلفة، ربما أهلت بعضهم إلى أن يصبحوا من ذوي النفوذ، وكانوا ينتقلون بين الأقاليم الإسلامية المسيحية، وقد هاجر عددٌ غير قليل منهم، إلى الامارات المسيحية في فترات تقوية الوجود الإسلامي في الأندلس^(١٨). ومن "المستعربين من كانت لهم رغبة في التعريف بتراثهم الديني - لغاية من الغايات لم تكن واضحة في هذه الفترة - لدى أصحاب هذه الحضارة الجديدة، وذلك بنقل هذا التراث من اللاتينية إلى العربية، وخيرٌ مثال على ذلك، ما قام به المستعرب القسُ بسنت من تعريب لقوانين وقرارات الكنيسة من اللاتينية إلى العربية، وذيلها بمداخل من نظمه، واهدى كتابه إلى أسقف مستعرب اسمه عبد الملك، بل لقد وصل الأمرُ بالمستعربين إلى درجة أنَّهم كانوا يستحسنون القيام ببعض طقوسهم الدينية باللغة العربية، فعربوا هذه الطقوس"^(١٩). ونقل هؤلاء بعض اساليب البناء والازياء وجانباً مهماً من العادات الاجتماعية والاصطلاحات اللغوية^(٢٠).

٥- المدجنون: يطلق "على تلك الجماعات التي كانت تعيش في حماية الدولة المسيحية نتيجة لحروب الاسترداد المستمرة، اسم (المدجنين)، وهم المسلمون الذين أقاموا في الأراضي المستردة"^(٢١). وكانت هذه الفئة "من قنوات الاتصال بين الحضارة الإسلامية الزاهرة في الأندلس وبين إسبانيا النصرانية المتخلفة، وكان لهم تأثير كبير في الحياة هناك، مُنذ نهاية القرن الثالث الهجري [التاسع الميلادي]، عندما

استولى الفونسو الثالث على المدن الإسلامية التي تقع شمال وادي دويرة، وكانوا يؤلفون اليد العاملة فيها. وازداد نشاطهم، ولا سيما في القرن الخامس الهجري [الحادي عشر الميلادي]، ووفد على علمائهم - وخاصة في طليطلة - طلاب العلم من أنحاء إسبانيا وأوروبا، لينهلوا من الثقافة الإسلامية التي تُرجمت إلى اللاتينية، وما تفرّع عنها من اللهجات الإسبانية^(٢٢).

٦- المصاهرة: امتزجت الدماء العربية بالدماء الإسبانية نتيجة المصاهرة بين الطرفين، ونشاء هناك جيل جديد نتج عن هذا الزواج وهم ما يعرف بالمولدين، ومن أشهر هذه المصاهرات زواج الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير (ت ٩٧ هـ / ٧١٥ م)، بالأميرة إبله، المعروفة عند الأسبان بإسم Equilona، أرملة لذريق Rodrigo، آخر ملوك القوط، وقد تكتت بأُم عاصم وأقامت في اشبيلية^(٢٣). وقد تأثر هذا الجيل بأُمهاتهم الإسبانيات في لغتهم وعاداتهم واعيادهم وطرق معيشتهم، وهي بلا شك مؤثرات حضارية انتقلت اليهم من اسبانيا المسيحية^(٢٤) وكان هؤلاء النسوة أثرًا كبير في نقل التأثيرات الثقافية والأدبية بين الطرفين، فنجد قصور السلاطين الأندلسيين تعجُّ بالجواري والسبايا الإسبانيات والأوروبيات، مثلما نجد قصور الملوك الأوربيين تشتمل على نساءٍ مُسلماتٍ من أصول أندلسية ومغربية، ولم يقتصر دور هؤلاء النسوة على نقل موروثنهم الثقافي والأوروبي إلى الطرف الآخر بل أن زواجهن وإنجابهن من سادتهن أو من أبناء المجتمع الجديد الذي انتقلن إليه كان يُعمِّق من الامتزاج الثقافي بين عناصر النسيج الاجتماعي الأندلسي، وليس أدل على ذلك من كون الكثير من أمراء الأندلس وخلفائهم من أبناء الجواري الإسبانيات والأوروبيات^(٢٥).

ثانياً:- احتفال المسلمون باعياد النصارى

يعد المجتمع الأندلسي خليطاً من العرب والبربر والنصارى واليهود والمولدين والمستعربين والصفالبة وإقلييات رومانية وغيرهم، وقد الجأهم الظروف الجغرافية المشتركة على شبه جزيرة ايبيريا الى ان يعيشوا جنباً الى جنب تحت الحكم الاسلامي ونتيجة لهذا الخليط فقد ظهر في الاندلس مجموعة من الشخصيات المهمة ذوي اصول مشتركة يمثل قطبيها حضارات مختلفة، أمثال أبْن غرسية وابن القوطية وابن بشكوال وغيرهم، ساهموا في الحياة العامة في الاندلس فضلاً عن العامة الذين انحدروا من كل تلك الارومات والاديان لذلك فقد عاشت الاندلس في اجواء تسودها التعايش السلمي من خلال بين المسلمين وغيرهم ولاسيما الاسبان الذين شاركوا المسلمين بأعيادهم واحتفالاتهم متأثرين بهم نتيجة ذلك الاختلاط. وأول ما نلاحظه من ذلك التأثير هو احتفال المسلمين بعيد مولد السيد المسيح (ع) جنباً الى جنب مع النصارى متناسين الاحتفال بميلاد الرسول محمد (ص)، وكانت اول دعوة رسمية

للاحتفال به جاءت من صاحب سبته أبو القاسم العزفي (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) * ثم أنتقل الى الأندلس. (٢٦) وجاء الاحتفال بهذا العيد كردة فعل لاحتفال المسلمين بأعياد السيد المسيح (ع) دون الرسول محمد (ص) اذ انتقد هذا الفعل صاحب سبته بقوله " وإن تعجب أيها الناصح لنفسه فعجب من إحصائهم لتواريخهم [يقصد مسلمو الأندلس] والاعتناء بمواقيتها، فكثيراً ما يتساءلون عن ميلاد عيسى (على نبينا وعليه السلام) وعن يَنير، سابع ولادته، وعن العنصرة، ميلاد يحيى (على نبينا وعليه السلام) فما أعانهم التوفيق، ولا القرين المرشد، ولا الرفيق، ان يكون سؤالهم عن ميلاد نبيهم محمد (صلى الله عليه وسلم)، خيرة الله من خلقه" (٢٧). ثم يذكر السبب وراء ذلك التأثير قائلاً: " وارى انه ما جرَّ على أهل الأندلس هذا إلا جوار النصرارى... ومخالطتهم لتجارهم، ومكاشفتهم عند الكينونة في أسرارهم" (٢٨).

وسنستعرض اعياد الاسبان التي احتفل بها المسلمون وهي:-

١. عيد يَنير أو النوروز:

وهو الاحتفال بأول ليلة من يَنير (٢٩) أو ليلة بعده (٣٠) ويعرف كذلك بالنوروز. (٣١) وكذلك وصفها صاحب المعيار بقوله: " ليلة يَنير التي يسمونها الناس الميلاد". (٣٢) ولقد دأب الأندلسيون على الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية وعيد النوروز معاً في الأول من يناير من كل عام ويسمونه عيد يَنير ويطلقون على ليلة العيد ليلة يَنير (٣٣).

٢. عيد العنصرة: وهو عيد ميلاد النبي يحيى (ع) (٣٤) ويعرف بالمهرجان ايضاً (٣٥) قال عنه المقرئ "يوم مهرجان أهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن في ست بقين من شهر يونيو الشمسي من شهورهم الرومية". (٣٦) ويطلق عليه حالياً في اسبانيا عيد San Juan وتؤكد المصادر على احتفال المسلمين بعيد القديس خوان حيث أورد بيريث دي إيتا (من أهل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي) تفاصيل عنه وعن احتفال المسلمين به بقصيدة ذكرها قائلاً :

في صباح عيد القديس خوان

عند طلوع النهار

يقيم المسلمون احتفالاً كبيراً

في مرج غرناطة

يحركون أحصنتهم

ويلعبون بسيوفهم

عليها رايات قيمة (٣٧)

٣. عيد ليلة العجوز:

ذكرت المصادر الاسلامية ان الاندلسيين كانوا يحتفلون بهذه الليلة^(٣٨) وهي "خمسة وقيل سبعة، ثلاثة في فبراير واربعة من مارس"^(٣٩)

٤. عيد خميس ابريل (نيسان):

يصادف اليوم السابق لأحد عيد الفصح ويسمى عند اهل الاندلس خميس ابريل.^(٤٠) احتفل به المسلمون تأثرا بالنصارى، والذي من مظاهره عمل ما يدعى بالمجنبات والتي تصنع في مثل هذه الاعياد.^(٤١)

٥. عيد العصير:

وهو من الاعياد المشتركة بين المسلمين والنصارى^(٤٢) يحتفل به المسلمون تأثرا بجيرانهم الاسبان، وقد اشار الى ذلك ابن الخطيب الغرناطي قائلا: "وعادة أهل هذه المدينة الانتقال الى حلل العصير"^(٤٣)

٦. عطلة يوم الاحد:

تأثر الأندلسيون بالاسبان في جعل تعطيل الخدمة ليوم الاحد، اذ يروي ابن حيان ان "أول من سن لكتاب السلطان وأهل الذمة تعطيل الخدمة يوم الأحد من الأسبوع والتخلف عن حضور قصره قومس بن انتيان كاتب الرسائل للأمير محمد، وكان نصرانيا دعا إلى ذلك لنسكه فيه، فتبعه جميع الكتاب طلب الاستراحة من تعبهم والنظر في أمورهم، فانتحوا ذلك ومضى إلى اليوم عليه".^(٤٤) وقد نهى الفقهاء من التعطيل ليوم الاحد فضلا عن يوم السبت إذ خاطب الونشريسي نساء غرناطة قائلا: "واياكنَّ تعظيم يوم الأحد والسبت، وترك العمل فيها وفي أعياد النصارى واعملن الأيام كلها ويوم الجمعة حتى ينادي بالصلاة ثم تصلين".^(٤٥)

ثالثا:- ازياء النصارى واثرها على المسلمين

تعد الازياء واحدة من مظاهر الحضارة المتأثرة بعوامل التأثير والتأثر، وكانت أرض شبه جزيرة ايبيريا محط ذلك الصراع الحضاري والتي شهدت عملية الاخذ والعطاء بين تيارين الاسلامي والنصراني، فكانت نتيجة ذلك التفاعل تأثر كل طرف بحضارة الاخر وكان واحد من تلك المظاهر هي الازياء وتأثير الاسبان فيها على المجتمع الاسلامي في الاندلس، ففي غرناطة ظهرت ظاهرة ازدواجية اللون

في الملابس الاندلسية بتأثير أسباني، وهو تقليد قوطي أنتشر في قشتالة خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي.^(٤٦) وقد وضع ابن سعيد المغربي ذلك التأثير قائلاً: "وكثيراً ما يتزيا سلاطينهم واجنادهم بزّي النصارى المجاورين لهم، فسلاحهم كسلاحهم، واقبيتهم من الاشكرلاط [**] وغيره، كأقبيتهم، وكذلك اعلامهم وسروجهم"^(٤٧) وأشار الى ذلك ابن خلدون قائلاً: "كما هو في الأندلس لهذا العهد مع امم الجلاقة، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم".^(٤٨) وهناك نوع من اللباس الاسباني عبارة عن ستره ذات ذيل طويل مشدودة على الخصر، التي لبسها المسلمون، وهي ذات تأثير أسباني.^(٤٩) وقد كانت النساء في غرناطة يغطين يغطي أجسامهن ورؤوسهن بقماش أبيض كان يصل إلى ريلة [**] الساق وهو مشابه إلى الرعاة الإسبان في القرى، وكن يخفين الجزء الاسفل من الوجه"^(٥٠). وقد نزع الأندلسيون عماهم التي كان يشتهر بها العرب تأثراً منهم بالإسبان^(٥١) فكانوا حاسري الرؤوس^(٥٢) على الرغم من ان خلع العمامة لم ينتشر في كل الاندلس الا انهم في بعض اجزاء الاندلس حتى من قبل بعض سلاطين غرناطة.^(٥٣)

أما اهم الملابس الاسبانية التي لبسها المسلمون فهي:

١. الدرندين:

ثوب شتائي غليظ يصنع في اسبانيا ولبسه العرب تأثراً بجيرانهم الاسبان^(٥٤).

٢. الملوطة:

ثوب واسع فضفاض يلبس فوق الملابس وربما تكون أشبه بالجبة.^(٥٥) وتلبس هذه الملوطة من قبل المسيحيين والمسلمين وتتميز المارلوتة العربية بقصر كبير جداً بالنسبة للإسبانية، ولكنها مريحة بشكل متساوٍ، ومفتوحة أحياناً من الأمام بأكام عريضة. أمّا المارلوتة الإسبانية، فتتميز بأن طولها كان يصل إلى نصف الساق، وإلى الركبة أحياناً^(٥٦) لبسها العرب بتأثير أسباني^(٥٧)، وأشار الطوخي بصورة واضحة الى ذلك التأثير قائلاً: "وظهر التأثير المسيحي في أردية الرجال والنساء في غرناطة على المسلمين فلبس المسلمين الملوطة Marlota التي يكثر ذكرها في الوثائق الغرناطية والمدونات الإسبانية"^(٥٨).

٣. الشاية:

هي عبارة عن عباءة واسعة لا أزرار فيها يرتديها القرويين الاسبان.^(٥٩) أقتبس الأندلسيون لبس الشاية تأثراً بالإسبان.^(٦٠) وأشهر من لبسها سلطان غرناطة محمد الأول، مؤسس السلطنة، وأثناء

دخوله إلى غرناطة سنة (٦٣٥هـ / ١٢٣٨م)، اذ كان عليه شاية ملف مضلعة تشبه هذه التي كان يرتديها فلاحو قشتالة.^(٦١)

٤. الغشكون:

لباس أندلسي لبسه الأندلسيون مقلدين فيه الاسبان، ورد على لسان أحد الشعراء ذاما اهل الاندلس لتقليدهم الاسبان في لبسها قائلاً:

نزار يانزار يانزار	عليك اللوم هو المذار
مانت الارجل خوار	لباسك الغشكون والزناز ^(٦٢)

٥. الاشكر لاط:

هو من البسة النصارى كان يرتديه المسلمون.^(٦٣) ويمكن ان يكون نوعاً من أنواع السراويل، التي تصل إلى أقدام لابسها وتكاد تلتصق بالساقين، إذ تبدو كما لو كانت جواريب.^(٦٤)

٦. فسطان:

شاع استعماله في الاندلس، ويعني نوع من انواع الثياب المسمى بثياب الروم.^(٦٥)

٧. الزنار:

هو نوع من انواع الاحزمة لا يلبسه الا المسيحيون واليهود، وتدل هذه الكلمة في اسبانيا على مئزر غليظ يلبسه الفلاحون.^(٦٦) لبسه المسلمون تأثراً بالاسبان وأنتقدوا على ذلك وعلى لسان احد الشعراء قائلاً:

لباسهم الزنار والسحت اكلهم	صبي بزناز وشيخ مقدم
صغت لنواقيس النصارى عقولهم	فمهما رأوا اهل الصليب تبسموا ^(٦٧)

وكانت السيدات الغرناطيات يلبسن جميعاً سراويل من الكتان والسروال مسترسل به طيات تربط بزناز عند السرة^(٦٨).

الخاتمة

١. تعد المصاهرة واحدة من اهم قنوات التواصل الحضاري اذ انها تعتبر معبرا مباشرا للحضارة من الى كلا الطرفين.
٢. نتج عن طول المدة التي قضاها الطرفين على ارض واحدة نقبل ثقافة الاخر سواء كان من الجانب المسيحي او الاسلامي.
٣. تأثر المسلمون بأعياد الاسبان واحتفالهم بها نتيجة الاختلاط بين الثقافتين.
٤. نهى الفقهاء من الاحتفال بأعياد النصارى وعدوا ذلك مخالفة للشرع الاسلامي، غير ان تلك الدعوة لم تلقي اذانا صاغية من قبل الاندلسيين.
٥. حرص المسلمون على الاحتفال بتلك الاعياد الاسبانية، وتقابلها في الطرف الاخر حرص نصراني على حضور الاسبان لا عياد المسلمين.
٦. اجتمع الاندلسيون والاسبان على الاحتفال بالأعياد بصورة جماعية ومشتركة.
٧. تأثر المسلمون بأزياء الاسبان ولبسوها اعجابا منهم بتلك الازياء.
٨. ابقى المسلمون اساء الازياء الاسبانية على حالها.
٩. انتقد بعض الاندلسيون ابناء ملتهم لتشبههم بالنصارى بلبسهم لأزياء النصارى.

الهوامش

١. الدسوقي، نوال، التأثير الإسباني في المجتمع الأندلسي وصورته في الأدب، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٦م، ص٦.
٢. ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف، (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، عني بنشره الأب ملشورم أنطونيه، بلاط، (باريس، يولس كتر الكتي، ج٣، ١٩٣٧م)، ص٤٤٩-٤٥٥.
٣. المقرئ، احمد بن محمد بن احمد المقرئ التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣٢م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٨م)، ج٣، ص٥٧١.
٤. ابن الخطيب، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، خطرة الطيف، رحلات في المغرب والاندلس، تحقيق، احمد مختار العبادي، دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (الامارت العربية المتحدة بيروت، ٢٠٠٣م)، ص٤٨.
٥. ثوثويا، خوان، التجارة في العصور الوسطى المتأخرة، ترجمة لمياء الأيوبي، بحث منشور في كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر، مكتبة الإسكندرية، (القاهرة، ٢٠٠٧م)، ص٢٠٩.
٦. ربابعة، حسين محمد، أثر الحضارة العربية الإسلامية على حضارة الغرب، منشورات بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠٠١م)، ص٢٢٨.

٧. جرّار، صلاح، زمان الوصل دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ٢٠٠٤م)، ص ٢٤.
٨. المقرئ، نفح الطيب، ج ٢، ص ٢٥٤.
٩. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١١٢.
١٠. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٧٩م)، ص ٨٨-٨٩.
١١. أحمد اليوسف عبد القادر، العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين ١١-١٥م، منشورات المكتبة العصرية، (بيروت، ١٩٦٩م)، ص ٢٥١.
١٢. أليوت، ج. هـ، مسألة التعايش بين أهل الديانات في التجربة الاندلسية، مجلة التسامح، مؤسسة عمان للصحافة، ع ٢٦، السنة السابعة، (عمان، ٢٠٠٩م)، ص ٦٠.
١٣. عُبَيْة، طه عبد المقصود عبد الحميد، الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٤م)، ج ٢، ص ٩٧٠.
١٤. نمر، أمين محمد، الجامعات الإسلامية في الأندلس واثراها على النهضة الأوروبية، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م، ص ١٩١-١٩٢.
١٥. بيرنيت، تشارلز، حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في إسبانيا، بحث منشور في موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الجيوسي، ج ٢، ص ١٤٦٦.
١٦. داودي، مصطفى الترجمة في الأندلس ودورها في النهضة الأوروبية الحديثة، دار التنوير، (الجزائر، ٢٠١٢م)، ص ١٧٤.
١٧. السيد، عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مطابع شباب الجامعة، (الإسكندرية، ١٩٦١م).
١٨. هونكة، زيفريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة، فاروق بيضون، المكتبة التجارية، (بيروت، ١٩٦٥م)، ص ٥٣٤.
١٩. شيخة، جمعة، القيم والخصال في شجرة الاستشراق الإسباني الوارفة الظلال، شركة سيتي جرافيك، (الكويت، ٢٠٠٤م)، ص ٢٤.
٢٠. ترند، ج. ب، إسبانيا والبرتغال، بحث منشور ضمن كتاب تراث الإسلام، سلسلة المشروع القومي للترجمة، ترجمة، قاسم عبدة قاسم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (مصر، ٢٠٠٧م)، ج ١، ص ٢٠.
٢١. عبيدة، الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٩٦٤.
٢٢. عبد الحليم، رجب محمد، العلاقة بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، (القاهرة، بيروت، بلا ت)، ص ٤١٧-٤١٨.
٢٣. ابن القوطية، أبو بكر بن محمد بن عمر بن عبد العزيز، (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الأندلس، ط ٢، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، (القاهرة، بيروت، ١٩٨٩م)، ص ٣٧.
٢٤. العبادي، أحمد مختار، الإسلام في أرض الأندلس اثر البيئة الأوربية، مجلة عالم المعرفة، مج ١٠، ع ٢، (الكويت، ١٩٧٩م)، ص ٦٦.
٢٥. جرار، زمان الوصل، ص ١٠.
٢٦. *العزفي: محمد بن أحمد الشهير بأبي القاسم، ولد سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م، تولى حكم سبتة سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م، ودخل في طاعة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني سنة ٦٧٢هـ / ١٣٥٣م. توفي سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م، كان عالماً واديباً فاضلاً. ينظر ترجمته، ابن الأحرر، الأمير إسماعيل بن محمد بن الأحرر (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)، نثر الجمان

- في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٧٦م) ص ٩٩.
٢٧. المقرئ، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق، مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٣٩م) ج ٢، ص ٣٧٦.
٢٨. العزفي، أحمد أبو القاسم بن أبي العباس، (ت ٦٦٧هـ / ١٢٧٨م)، الدر المنظم في مولد النبي معظم، نشره فيرناندو دي لاغرانزا ضمن كتاب دراسات أندلسية وموريسكية، تأليف نخبة من الباحثين، ترجمة، جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة ٢٠٠٨م)، ص ٣١.
٢٩. المصدر نفسه، ص ٣٣.
٣٠. المصدر نفسه، ص ٢٣-٢٩.
٣١. المصدر نفسه، ص ٢٧.
٣٢. ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى، (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٨م)، المغرب في حلّ المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط ٤، دار المعارف، (مصر، بلا.ت)، ج ١، ص ٢٩٤.
٣٣. الونشريسي، عباس أحمد بن يحيى، (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الباحثين، بإشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٨١)، ج ١١، ص ١٥٠.
٣٤. الشافعي، محمد أحمد، الكناسة الأندلسية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٢٩، (مدريد، ١٩٩٧م)، ص ٣١.
٣٥. ابن سعيد، المغرب، ج ١، ص ٢٩٤.
٣٦. العزفي، الدر المنظم، ص ٣٤.
٣٧. نفح الطيب، ج ٣، ص ١٢٨.
٣٨. الحروب الأهلية في غرناطة، ترجمة، مروة محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، (مصر، ٢٠٠٩م)، ج ١، ص ١٣٧.
٣٩. الونشريسي، المعيار المغرب، ج ١١، ص ١٥٠؛ لاغرانا، الاحتفال بأعياد مسيحية في الأندلس، ص ٢٩.
٤٠. ابن عريب بن سعيد، (ت ٣٦٩هـ / ٩٨٠م)، تقويم قرطبة، تحقيق رينهارت دوزي، مطبعة برييل، (لايدن، ١٨٧٣م)، ص ٣٢.
٤١. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي، (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقرئية، دار صادر، (بيروت، بلا.ت)، ج ١، ص ٢٦٥.
٤٢. بيرس، هنري، الشعر الأندلس في عصر الطوائف، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمه الوثائقية، ترجمة، الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٨م)، ص ٢٨٢.
٤٣. دندش، عصمت عبد اللطيف، دراسات أندلسية في السياسة والاجتماع، دار الغرب الإسلامي، (تونس، بلا.ت)، ص ١٨٩.
٤٤. الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ج ١، ص ١٣٨.
٤٥. ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)، المقتبس من انباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٧٣م)، ص ١٣٨.
٤٦. المعيار المغرب، ج ١١، ص ١٥٢.
٤٧. آريه، راشيل، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة، أوس ناصر عبد العزيز، (رسالة دبلوم، غير منشور، كلية اللغات جامعة بغداد، ٢٠٠٠م)، ص ٣٧.
٤٨. ***الاشكر لاط: نوع من الجوخ، ينظر، المقرئ، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٢٣.
٤٩. المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٣-٢٢٤.

٥٠. أبْن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق، عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠١٠م)، ص ٤٥٠-٤٥١.
٥١. آريه، المنمنمات في اسبانيا الإسلامية، ترجمة، محمد خير البقاعي، دار الفیصل للثقافة، (الرياض، ٢٠٠٢م)، ص ٦٠.
٥٢. ***هي باطن الفخذ. ينظر ترجمتها إبن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد الإفريقي، (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق وإعداد يوسف خياط، بلاط، (بيروت، دار لسان العرب، بلات)، مادة ريلة.
٥٣. آريه، تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص ٤٤.
٥٤. العظمة، عزيز، اعداد الداء، جيران اخفاء: الشهابيون في عيون الأندلسيين، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجيوسي، ج ١، ص ٣٩٤.
٥٥. المقرئ، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٢٣.
٥٦. أبْن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق، السعدية الفاغية، مطبعة النجاح الجديدة، (الدار البيضاء، ١٩٨٩م)، ج ٣، ص ١٣٨.
٥٧. ينظر الونشريسي، المعيار المغرب، ج ١١، ص ٢٧-٢٨.
٥٨. دوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة، أكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧١م)، ص ٣٣٣-٣٣٤.
٥٩. آرية، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ٤١.
٦٠. المرجع نفسه، ص ٤٢.
٦١. احمد محمد، مظاهر الحضاري في الأندلس في عصر بني الأحمر، مطابع رويال، (مصر، ١٩٩٧م)، ص ٧٧.
٦٢. دوزي، المعجم المفصل، ص ١٧٨.
٦٣. دسوقي، التأثير الاسباني، ص ٦٢.
٦٤. ابن أبي زرع، علي بن عبد الله بن احمد، (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، الذخيرة السننية في الدولة المرينية، (الرباط، والمنصورة، ١٩٧٢م)، ص ٥٧.
٦٥. مجهول، طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف، تحقيق، محمد بن شريفة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع ١، (١٩٧٧م)، ص ٣٤.
٦٦. المقرئ، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٢٣.
٦٧. سالم، سحر عبد العزيز، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، بحث منشور في كتاب بحوث ندوة الأندلس الدروس والتاريخ، دار المعرفة الجامعية، (مصر، ١٩٩٤)، ص ٢٦٠.
٦٨. الاهواني، عبد العزيز، الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، بحث منشور في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج ٣ (مدرياً ١٩٥٧م)، ص ٣٠٢.
٦٩. دوزي، المعجم المفصل، ص ١٦٢.
٧٠. دسوقي، التأثير الاسباني، ص ٦٢.
٧١. مونزر، خير ونيمو، رحلة الى اسبانيا والبرتغال ١٤٩٤-١٤٩٥م، تعريب أحمد محمد الطوخي، مركز الاسكندرية للكتاب، (مصر، ٢٠٠١م)، ص ١١٥.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأحمر، الأمير إسماعيل بن محمد بن الأحمر (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م).
- ١. نثير الجمان في شعر من نظمني وياه الزمان، تحقيق، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٧٦م).
- الاهواني، عبد العزيز.
- ٢. الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، بحث منشور في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مج ٣ (مدريداً ١٩٥٧م).
- احمد محمد.
- ٣. مظاهر الحضاري في الأندلس في عصر بني الأحمر، مطابع رويال، (مصر، ١٩٩٧م).
- أحمد اليوسف عبد القادر.
- ٤. العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين ١١-١٥م، منشورات المكتبة العصرية، (بيروت، ١٩٦٩م).
- آريه، راشيل.
- ٥. تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة، اوس ناصر عبد العزيز، (رسالة دبلوم، غير منشور، كلية اللغات جامعة بغداد، ٢٠٠٠م).
- ٦. المنمنمات في اسبانيا الإسلامية، ترجمة، محمد خير البقاعي، دار الفيصل للثقافة، (الرياض، ٢٠٠٢م).
- أليوت، ج.هـ.
- ٧. مسألة التعايش بين اهل الديانات في التجربة الاندلسية، مجلة التسامح، مؤسسة عمان للصحافة، ع ٢٦، السنة السابعة، (عمان، ٢٠٠٩م).
- بيرنيت، تشارلز.
- ٨. حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في إسبانيا، بحث منشور في موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الجيوسي.
- بيرس، هنري.
- ٩. الشعر الأندلس في عصر الطوائف، ملاحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ترجمة، الطاهر احمد مكي، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٨م).
- بيرث دي إيتا (من أهل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي).
- ١٠. الحروب الاهلية في غرناطة، ترجمة، مروة محمد ابراهيم، المجلس الاعلى للثقافة، (مصر، ٢٠٠٩م).
- ترند، ج.ب.
- ١١. إسبانيا والبرتغال، بحث منشور ضمن كتاب تراث الإسلام، سلسلة المشروع القومي للترجمة، ترجمة، قاسم عبدة قاسم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (مصر، ٢٠٠٧م).
- ثوثويا، خوان.
- ١٢. التجارة في العصور الوسطى المتأخرة، ترجمة لمياء الأيوبي، بحث منشور في كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر، مكتبة الإسكندرية، (القاهرة، ٢٠٠٧م).
- جرّار، صلاح.
- ١٣. زمان الوصل دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ٢٠٠٤م).
- أبو حيان، ابو مروان حيان بن خلف، (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م).
- ١٤. المقتبس من انباء اهل الاندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٧٣م).
- ١٥. كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، عني بنشره الأب ملشورم أنطونيه، بلاط، (باريس، يولس كتر

- الكتبي، ج ٣، ١٩٣٧ م).
- أبن الخطيب، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤ م).
 - ١٦. خطرة الطيف، رحلات في المغرب والاندلس، تحقيق، احمد مختار العبادي، دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (الامارات العربية المتحدة بيروت، ٢٠٠٣ م).
 - ١٧. الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣ م).
 - ١٨. نفاضة الجراب في علالة الاعترا ب، تحقيق، السعدية الفاغية، مطبعة النجاح الجديدة، (الدار البيضاء، ١٩٨٩ م).
 - أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦ م).
 - ١٩. التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٧٩ م).
 - ٢٠. مقدمة ابن خلدون، تحقيق، عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠١٠ م).
 - داودي، مصطفى.
 - ٢١. الترجمة في الاندلس ودورها في النهضة الاوربية الحديثة، دار التنوير، (الجزائر، ٢٠١٢ م).
 - دسوقي، نوال.
 - ٢٢. التأثير الإسباني في المجتمع الأندلسي وصورته في الأدب، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٦ م.
 - دندش، عصمت عبد اللطيف.
 - ٢٣. دراسات أندلسية في السياسة والاجتماع، دار الغرب الإسلامي، (تونس، بلا.ت).
 - دوزي، رينهارت.
 - ٢٤. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة، أكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧١ م).
 - ربابعة، حسين محمد.
 - ٢٥. أثر الحضارة العربية الإسلامية على حضارة الغرب، منشورات بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠٠١ م).
 - أبن أبي زرع، علي بن عبد الله بن احمد، (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦ م).
 - ٢٦. الذخيرة السننية في الدولة المرينية، (الرباط، والمنصورة، ١٩٧٢ م).
 - سالم، سحر عبد العزيز.
 - ٢٧. ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، بحث منشور في كتاب بحوث ندوة الأندلس الدروس والتاريخ، دار المعرفة الجامعية، (مصر، ١٩٩٤).
 - أبن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى، (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٨ م).
 - ٢٨. المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط ٤، دار المعارف، (مصر، بلا.ت).
 - السيد، عبد العزيز سالم.
 - ٢٩. تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مطابع شباب الجامعة، (الإسكندرية، ١٩٦١ م).
 - الشافعي، محمد أحمد.
 - ٣٠. الكناشة الاندلسية، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، مج ٢٩، (مدريد، ١٩٩٧ م).
 - شيخة، جمعة.
 - ٣١. القيم والخصال في شجرة الاستشراق الإسباني الوارفة الظلال، شركة سيتي جرافيك، (الكويت، ٢٠٠٤ م).
 - العبادي، أحمد مختار.
 - ٣٢. الإسلام في أرض الأندلس اثر البيئة الأوربية، مجلة عالم المعرفة، مج ١٠، ع ٢، (الكويت، ١٩٧٩ م).

- عبد الحليم، رجب محمد.
- ٣٣. العلاقة بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، (القاهرة، بيروت، بلات).
- غُنية، طه عبد المقصود عبد الحميد.
- ٣٤. الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٤م).
- ابن عريب بن سعيد، (ت ٣٦٩هـ / ٩٨٠م).
- ٣٥. تقويم قرطبة، تحقيق رينهارت دوزي، مطبعة بريل، (لايدن، ١٨٧٣م).
- العزفي، أحمد ابو القاسم بن ابي العباس، (ت ٦٦٧هـ / ١٢٧٨م).
- ٣٦. الدر المنظم في مولد النبي معظم، نشره فيرناندو دي لاغرانا ضمن كتاب دراسات أندلسية وموريسكية، تأليف نخبة من الباحثين، ترجمة، جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة ٢٠٠٨م).
- العظيمة، عزيز.
- ٣٧. اعداء الداء، جيران اخفاء: الشاليون في عيون الأندلسيين، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجيوسي.
- ابن القوطية، أبو بكر بن محمد بن عمر بن عبد العزيز، (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م).
- ٣٨. تاريخ افتتاح الأندلس، ط ٢، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، (القاهرة، بيروت، ١٩٨٩م).
- مجهول.
- ٣٩. طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف، تحقيق، محمد بن شريفة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤، (١٩٧٧م).
- المقرئ، أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣٢م).
- ٤٠. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٨م).
- ٤١. أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق، مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٣٩م).
- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي، (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).
- ٤٢. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، دار صادر، (بيروت، بلا. ت).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد الإفريقي، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).
- ٤٣. لسان العرب، تحقيق وإعداد يوسف خياط، بلاط، (بيروت، دار لسان العرب، بلات)، مادة ريلة.
- مونزر، خير ونيمو.
- ٤٤. رحلة الى إسبانيا والبرتغال ١٤٩٤-١٤٩٥م، تعريب أحمد محمد الطوخي، مركز الاسكندرية للكتاب، (مصر، ٢٠٠١م).
- نمر، أمين محمد.
- ٤٥. الجامعات الإسلامية في الأندلس واثرها على النهضة الأوروبية، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م.
- هونكة، زيغريد.
- ٤٦. شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة، فاروق بيضون، المكتبة التجارية، (بيروت، ١٩٦٥م).
- الونشريسي، عباس أحمد بن يحيى، (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م).
- ٤٧. المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الباحثين، بإشراف محمد الحججي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٨١).

